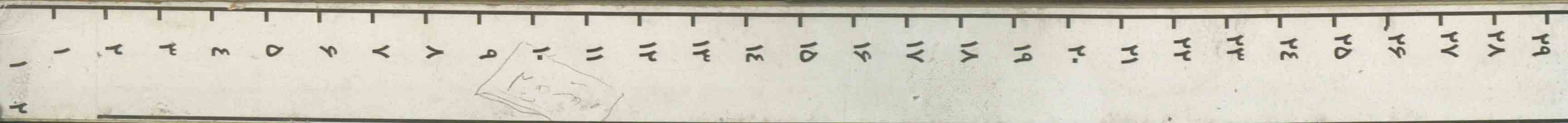




ف

٨
٨
٣
٥
٤
٨
٧
٦
١
١١
٨١
٨١
٣١
٥١
٤١
٨١
٧١
٦١
٨
١٨
٨٨
٨٨
٣٨



الصفحة	
٤٣	الشيعة أيام الصادق
٤٦	الشيعة أيام الكاظم
٤٩	الشيعة أيام الرضا
٥٤	الشيعة أيام الجواد
٥٨	الشيعة زمن المهدي
٦١	الشيعة أيام العسكري
٦٣	الشيعة في الغيبة الصغرى
٦٦	الشيعة في الغيبة الكبرى
٦٦	الشيعة في العراق
٧٦	الكوفة
٧٨	بغداد
٨٦	الحلة
٨٩	كربلاء
٩٤	النجف الاشرف
٩٩	الكاظمية
١٠١	سامراء
١٠٤	الموصل وشمال العراق
١٠٨	البصرة

جملة القول في شيعة العراق	١١٠
الشيعة في الحجاز	١١١
الشيعة في اليمن	١٢١
الشيعة في سوريا	١٣٤
حاج	١٣٩
جبل عامل	١٤٩
بعلبك	١٦١
الشيعة في مصر	١٧١
الشيعة والعباسيون بمصر	١٧٤
الشيعة والفاطميون بمصر	١٨٣
الشيعة والايوبيون بمصر	١٩٢
مصر والتشيع اليوم	١٩٤
الشيعة في ايران	١٩٨
الاماره الطاهرية في هرات	٢٠١
الدولة العلوية في الديلم	٢٠٢
الشيعة والبويهيون في ايران	٢٠٦
الشيعة والمغوليون في ايران	٢١٤
الشيعة والصفيونية في ايران	٢٢٠

الشيعة ونادر شاه في ايران	٢٢٥
الشيعة والقاجارية في ايران	٢٢٦
الشيعة في الهند	٢٣٢
التشيع في الازمنة الوسطى	٢٣٨
العادل شاهيه والتشيع	٢٣٩
القطب شاهيه والتشيع	٢٤٢
النظام شاهيه والتشيع	٢٤٤
الشيعة والتشيع في الهند	٢٤٧
دولة اوده والتشيع	٢٤٩
دولة تالپور ودولة ميرپور	٢٥٤
دولة بنغال وبهار واربعة	٢٥٤
دولة ترجنايلي	٢٥٥
الدول الشيعية الحاضرة	٢٥٦
انبلاد الشيعية في الهند	٢٥٧
الراجات الشيعية في الهند	٢٥٩
نفوس الشيعية في الهند	٢٦٠
فرق الشيعة في الهند	٢٦٠
مهن الشيعة وحرفهم في الهند	٢٦٠
الشيعة في البحرين	٢٦١

٢٢٦٨٨٠



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي من علينا بمعرفته ، ووقفنا لتصديق نبيه (محمد)
صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته ، وهدانا نجد الحق من التمسك
بالتقليد كتاب الله وعترته ، وصلاته وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

باعت التأليف

يزعم بعض حملة الأقلام : إن العصر الحاضر عصر العلم والنور
قد أزيلت فيه حجب التمويه عن أوجه الحقائق ، فتجلت مشرقه ،
وأنه قد تحرى فيما ألف سبل الحق ، ولم يتخط الحقيقة فيما جمع ، وما
نجد إلا ضارباً على أوتار من سبقه من أبناء تلك العصور المظلمة
بالمصبيات ، وناسجاً على منوالهم من تفريق الكرامة وغمط الحق عناداً .
ولئن دفع أولئك الشذاذ المصبية العمياء ، أو أعشام الأصفر
الوهاج من ملوك ذلك اليوم ومتنفذهم ، فما بال كتاب هذا اليوم
تستن تلك النزعة تقليداً ، من دون أن تتورع في معرفة الأسباب

الصفحة	
١٦٤	الشيعة في القطيف والاحساء وفطر
٢٦٥	الشيعة في الكويت وبلاد الساحل
٢٦٦	الشيعة في الأفغان
٢٦٨	الشيعة في أفريقيا
٢٧٠	الشيعة في أمريكا
٢٧٢	الشيعة في الصين
٢٧٣	الشيعة في جاوى
٢٧٥	الشيعة في روسيا
٢٧٦	الشيعة في سائر البلاد
٢٧٦	الخاتمة

المدافعة إلى ذلك التحامل من أولئك الأولين .

فبدلاً من أن يجتهد هؤلاء الكتاب سعيًا في نبذ الفوارق وتوحيد الصفوف في هذا العصر دفاعاً عن مجد الاسلام عادوا مجدين في إلقاء الحطب فوق النار المتأججة ، وإشعال القلوب حقدًا وغيظًا .

ولو ساغ للقدماء أن يعتذروا بجهلهم حال التشيع مبداءً وتقيده عند ما سلت السلطات على الشيعة سيوف الفتنك فألجأتهم التقيية إلى الاختفاء ، فلا يسوغ هذا عذراً لأبناء اليوم ، وهذه بين أيديهم كتب الشيعة وصحفهم في كل علم وفن ناشرة عن الماضي والحاضر ما يحملون من علوم ومعارف وعقائد وآداب .

وحينما كنا نرقب من أبناء النور أن يستقبلوا مذهب أهل البيت بالترحاب والقبول لا قترانه بالبرهان ونمسيه مع الكتاب والذوق والفطرة ، نجد العشوة تحول دون النظر إليه ، بل نشاهد ونقرأ ونسمع من الغمز والهمز ما يربو على ما كان في عصر الظلمة والطمس للحقائق .

ولا نريد أن نكيل لأولئك وهؤلاء بصاعهم - وكيف نفعل شيئاً نتركه - وهذا القرآن الكريم يرشدنا إلى طريق الجدل فيقول : - وجادلهم بالتي هي أحسن - وتلك تعاليم مرشديننا محمد وآله عليهم الصلوة جميعاً تلزمنا بحسن الأدب في المناظرة وتنهانا عن كثرة الجدل وإن كنا على حق ، وتأمرونا بحميل المعاشرة ، وبالدعوة إلى الحق بالأعمال قبل الأقوال .

بل لا أريد في هذه الرسالة إلا أن يعلم القوم أن التشيع انحد من عهد صاحب الرسالة لا من الفرس ولا من ابن سبأ .

ولا أحاول إلا إثبات سابقة التشيع على كل فحلة من الناحية التاريخية فحسب ، ومن ثم نستعرض تاريخ التشيع من البدء ونموه في الآفاق والبلاد ، وسألمي عليك صحائف سجلها التاريخ آملاً أن تعود بنا جميعاً إخواناً على سرر متقابلين ، ملتصقين أن يرشدني القاريء إلى نواحي الخلل والاصلاح لتعاون على إبراز الحقيقة نقية من كل كدر .

معنى الشيعة

الشيعة في اللغة الاتباع والأنصار والأعوان ، ويقع على الواحد والاثنيين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ، وأصل ذلك من المشايعة وهي المطاوعة والتابعة ، وقد اختص هذا اللفظ بمن تولى علياً وبنيه عليهم السلام وأقر بامامتهم ، حتى صار ينصرف إليهم إذا أطلق عند الاستعمال من دون قرينة وإمارة .

قال ابن خلدون في مقدمته ص ١٣٨ : « أعلم أن الشيعة لغة هم الصاحب والاتباع وبطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على اتباع علي وبنيه رضي الله عنهم » .

في اختص اسم الشيعة بالمواليين

لعلك تخال أن اسم الشيعة لم يختص بأولياء أهل البيت إلا بعد عهد طويل من مجيء الاسلام، وذلك عند ما كثر أولياؤهم وانتشروا في البلاد فانتحل لهم هذا الاسم ليمتازوا عن سواهم. ولكنك لو استقرت الحديث النبوي لعلمت أن هذا الاختصاص جاء مع الاسلام في يومه وكان فرعه المثمر عند أول غرسه وإفراعه، ولدريت أن صاحب الشريعة هو واضع هذا الاسم.

وهذه لواضع من حديثه أضعها أمامك لتستنطقها عن ذلك الاختصاص، فهذا الزمخشري في (ربيع الأبرار) يروي عن النبي (ص) أنه قال: يا علي إذا كان يوم القيامة أخذت بحجزة الله وأنت أخذت بحجرتي، وأخذ ولدك بحجرتك، وأخذ شيعة ولدك بحجرتهم، فترى أين يؤمر بنا.

والحجزة بضم الحاء المهملة - معقود الأرار، ثم قيل للأزار حجزة للمجاورة، والأخذ بالحجزة هنا كناية عن شدة الاعتصام والمبالغة في الاتباع.

وفي «الصواعق المحرقة» لابن حجر (١) وأخرج الطبراني عن

(١) عقيب الآية الثامنة التي أوردها في فضل أهل البيت وهي قوله تعالى «وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى»

علي عليه السلام أن خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا علي أنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين، ويقدم عليه عدوك غضابى مقمحين، ثم جمع على يده يربهم الاقحاح.

ومن الغريب أن ابن حجر زعم: أن المراد بالشيعة هنا أهل السنة، ولا أدري أن ذلك لترادف اللفظين أم لوحدة الفرقين، أم لأن أهل السنة أظهروا في الاتباع والموالاة لآل محمد من الشيعة، أم لماذا؟

وقال ابن حجر أيضا: وأخرج الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس أن هذه الآية وهي قوله تعالى «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية» وهي الآية الحادية عشرة من الايات التي أوردها في فضل أهل البيت: لما نزلت قال صلى الله عليه وآله إلهي هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضابى مقمحين.

وقال أيضا بعد الآية العاشرة مما أورده في فضلهم، وهي قوله سبحانه «ولسوف يعطيك ربك فترضى»: وأخرج أحمد في المناقب أنه صلى الله عليه وآله قال لعلي: أما ترضى أنك معي في الجنة والحسن والحسين وشيعتنا عن إيماننا وشماننا.

وقال: وأخرج الطبراني أنه صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: إن أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين،

وشيعتنا من ايماننا وثمانتنا .

وقال : وأخرج الديلمي : يا علي انت قد غفر لك ولذريتك
ولشيعتك ومحبي شيعتك .

وقال : وأخرج الدارقطني يا ابا الحسن اما انتك وشيعتك
في الجنة .

وأخرج عن ام سلمة قوله « ص » لعلي عليه السلام انتك
واصحابك في الجنة ، انتك وشيعتك في الجنة .

وقال ابن الاثير في « النهاية » في « ق م ح » وفي حديث علي
عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله : ستقدم على الله انت
وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم عليه عدوك غضابى مقمحين ، ثم
يجمع يده الى عنقه يريهم كيف الاقباح .

وقال السيوطي في تفسيره « الدر المنثور » في قوله تعالى « ان
الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية » : اخرج ابن
عساكر عن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي صلى الله عليه وآله
فاقبل علي عليه السلام فقال النبي : والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته
لهم الفائزون يوم القيامة ، ونزلت ان الذين آمنوا ، الآية ،

وقال : وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال : لما نزلت « ان
الذين آمنوا » الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام :
تأتي أنت وشيعتك يوم اقامة راضين مرضيين .

وقال : وأخرج ابن مردويه عن علي عليه السلام قال : قال لي
رسول الله صلى الله عليه وآله : ألم تسمع قول الله « ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية » انت وشيعتك ، وموعدي
وموعدكم الحوض اذا جاءت الامم للحساب تدعون غداً غراً محبليين .
وفي غاية المرام عن المغازلي بسند عن انس بن مالك قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وآله : يدخل من امتي الجنة سبعون الفا (١)
لا حساب عليهم ، ثم التفت الى علي عليه السلام فقال : هم شيعتك
وأنت امامهم .

وفيه عنه ايضاً بسنده عن كثير بن زيد قال : دخل الاعمش
على المنصور وهو جالس المظالم فلما بصر به قال له : يا سايمان تصدر
قال انا صدر حيث جلست ، الى ان قال في حديثه : قال حدثني
رسول الله (ص) قال : اتاني جبرئيل عليه السلام آنفاً فقال :
تختموا بالحق فانه اول حجر شهد الله بالوحدانية ولي بالنبوة ولعلي
بالوصية ولولده بالامامة ولشيعته بالجنة .

وفيه عن مرفق بن احمد بسنده الى سلمان الفارسي عن النبي
صلى الله عليه وآله انه قال : يا علي تختم باليمين تكن من المقربين ، قال
يا رسول الله : وما المقربون ؟ قال : جبرئيل وميكائيل ، قال : فيما
(١) وعدد « سبعين » يستعمل في لغة العرب الببالغة
عن الكثرة .

انضم يارسول الله؟ قال: بالمعيق الاحمر، فانه جبل أقر الله بالوحدانية
ولي بالنبوة ولك بالوصية ولولذلك بالامامة، ولحببك بالجنة، ولشيعتك
وشية ولدك بالفردوس.

وهذا غيض من فيض مما حملته اليينا الاحاديث النبوية عن
تسمية الرسول الاطهر لاولياء علي واولياء اولاده بالشيعة.

وما قصد من ايقافك على هذه الروايات ان احمل لك البشائر التي
بشر بها الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله شيعة وشية آله، وان
كانت تلك بشائر جديدة بالمحفظ والرواية، وجدير بالشيعة ان
تفخر بها عمر الدهر، ولكن الغرض من هذا ان تقف موقف نصف
من اولياء اهل البيت وتحاسب نفسك عند موافقتهم فلا تسرعن في
مهاجنتهم دون جرم سوى انهم شيعة آل محمد، فانك لو انصفت
نفسك لوجدت التشيع لهم مفخرة سامية يدعو لها الكتاب والسنة،
ولو وجدت ان التسرع بالغمز فيهم ظلم لهم ولك.

فمن هذه الاحاديث وأمثالها تعرف ان لفظ الشيعة استعماله
صاحب الشريعة فيمن تولى عترته وآله، فمن يومه كان هذا اللفظ اذا
اطلق عند الاستعمال يفهم منه ان المعنى به من: الى عليا وبنيه عليهم السلام،
ويبتجلى لك ان هذا الاسم له معنى في ذلك العهد.

متى ابتدأ التشيع

لا غرو لو قلنا، ان الدعوة الى التشيع ابتدأت من اليوم الذي

هتف فيه المنفذ الاعظم « محمد » صلوات الله عليه وآله صارخا بكلمة
« لا اله الا الله » في شعاب مكة وجبالها، فانه لما نزل عليه قوله
(وانذر عشيرتك الاقربين) وجمع النبي (ص) بني هاشم وانذرهم
قال (ص) ايكم يوازرني ليكون اخي ووارثي ووزير ووصي
وخليفتي فيكم بعدي، فلما لم يجبه الى ما اراد غير المرتضى قال لهم
الرسول (ص) هذا اخي ووارثي ووزير ووصي وخليفتي فيكم
بعدي فاسمعوا وله واطيعوا.

فكنت الدعوة الى التشيع لابني الحسن عليه السلام من صاحب
الرسالة تمشي منه جنبا لجنب مع الدعوة للشهادتين، ومن ثم كانت
ابوذر الغفاري شيعة علي عليه السلام وهو رابع الاسلام أو سادسهم (١)
واقدر كفانا مؤنة الدلائل على ما نريد محمد كرد علي في كتابه
خطط الشام (٥: ٢٥١ - ٢٥٦) قال: عرف جماعة من كبار
الصحابة بموالاة علي في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
مثل سلمان الفارسي القائل: بايعنا رسول الله علي النصيح للمسلمين
والاثام بلي بن ابي طالب والموالاة له، ومثل ابي سعيد الخدري
الذي يقول: امر الناس بخمس فعملوا باربعة وتركوا واحدة، ولما
سئل عن الاربعة قال: الصلوة والزكاة وصوم شهر رمضان والحج،
قيل: فما الواحدة التي تركوها قال: ولاية علي بن ابي طالب،

(١) الاستيعاب.

قيل له : وإيها المفروضة معين ، قال : نعم هي مفروضة معين ، ومثل
أبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وذو الشهادتين
خزيمة بن ثابت وأبي أيوب الأنصاري وخالد بن سعيد بن العاص
وقيس بن سعد بن عبادة »

وقال : « وأما ما ذهب إليه بعض الكتاب من أن أهل مذهب
الشيعة من بدعة عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، فهو وهم ، وقلة
معرفة بحقيقة مذهبهم ، ومن علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة وبراءتهم
منه ومن أقواله وأعماله وكلام علمائهم في الطعن فيه بلا خلاف
بينهم علم مبالغ هذا القول من الصواب ، لا ريب في أن أول ظهور
الشيعة كان في الحجاز بلد التشيع له » وقال : « وفي دمشق يرجع
عهدهم إلى القرن الأول للهجرة »

إن محمد كرد علي ليس من الشيعة ولا من أنصارهم غير أنه
رأى أن من الأمانة إبداء هذه الحقيقة ناصعة دون أن يشبهها بفرض
ودون أن يركن إلى النزعات المذهبية التي أضاعت الحق وشوهت
الحقيقة .

فهذا كرد علي بوحيز كلامه واستدلالة على بيه غ التشيع أيام
صاحب الشريعة أغنانا عن الغني في التدليل على هذا الأمر .

انتشار التشيع

كانت بيعة الغدير آخر ما مهده رسول الحكمة والاصلاح
لخلافة علي بعده ، فكانت حدثاً مفاجئاً للناس فقد نزل الغدير في
غير وقت نزوله . كانت هناك دوحات ، فامر ان يقوم ما تحتهن من
شوك ، وكان المسلمون عند ذلك مائة الف أو يزيدون وعند خم
مفترق الطرق ، فوجدها الرسول (ص) فرصة لا لبلاغ الحاضرين
قبل ان يفترقوا وهم الرسل لتبليغ من غاب ، فكم كان الغيب الذين
لم يحضروا ويبلغهم الأمر أقبل يبقى أحسن بني الاسلام لم تبلغه هذه
اليمة يومئذ .

وقد نزل عليه في ذلك المكان قبل ان يأمر باجماع الناس
قوله تعالى « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل
فما بلغت رسالته » (١) ولما كان الملاء الحضور بذلك العدد لا يمكن
اسماعهم بغير منبر ، فصنعوا له منبراً من حذوج الابل ، والآية
كما تخبرنا ان بيعة علي من الله سبحانه تنبئنا ان شأن الرسالة لا يتم
بدون البيعة لملي وبدون امامته على الناس ، وهذا جلي لمن تدبر

(١) روى نزول هذه الآية يوم الغدير جماعة انظر - الدر المنثور -
للسيوطي - واسباب النزول - الواحدي ، وتفسير الثعلبي ، والحلية
لابي نعيم ، وتفسير الرازي وما سوى هؤلاء .

الامر ، لأن الرسول يقوم بوظائف عديدة تشريعية وتنفيذية ، سياسية ودينية ، ادارية وقضائية ، الى كثير سواها ، وكلها قائمة بنفسه ، واذا فاجأه الاجل لم يستثن الناس عن المسؤول عن هذه الوظائف سوى المشرع الذي هو من خصائص النبوة وهذه الشؤون لا يقوى على النهوض بها سوى امام معصوم يستمد علمه ورأيه من الفيض الاعلى ، ومثل هذا الامام لا يعرفه ولا يعرف كفايته لهذا المقام غير من فطره ، وغير الرسول الاين على الآية .

قام رسول الله (ص) فسمعت ذلك المنبر والوقت قانظ في ضحي النهار والناس تضم فضل ثيابها فوق رؤسهم وقاية من الشمس وتحت ارجلهم وقاية عن حرارة الارض ، فما زال النبي يخطب من صدر الضحى الى الزوال ، فيبين جهاده في الله ونصحه للناس ، واختياره لعلي اماماً عن الله تعالى ، وكانت فيما قاله : ألسنت أولى بالثقلين من انفسهم ، قالوا : اللهم بلى ، فقال : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، وبهذا أصبحت لعلي منزلة الرسول (ص) من الاولوية ، وتلك منزلة الخلافة الالهية ، وعلى هذا بابسه الناس ذلك اليوم حتى قال له ابو بكر وعمر : هنيئاً لك يا بن ابي طالب أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة (١) .

(١) ذكر ارباب الفضائل والحديث والتاريخ والتفسير تهنئة عمر لامير المؤمنين و اضاف اليها بعضهم تهنئة ابي بكر ، انظر -

وما تفرق الناس حتى نزل قوله تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » (١) . فكان اماماً علي وولايته اكمل الدين واتمام النعمة ورضى الله بالاسلام ديناً للامة .

فلو كان الامر بعد الرسول الي عليهما وآلهما السلام ، لكان الناس كلهم شيعة لي بعد هذه البيعة وبدت تلك الآيات النازلة والروايات الواردة في فضله ، ولما ان حالت الحوائل دون انتهاء الخلافة اليه وفوجىء الناس بامر لم يحتملوه ، فما عم الامر الا وابو بكر خليفة ، كيف تنتظر من الناس اتباع السلطان ان يقولوا على الولاء والتشيع لاهل البيت ، اجل غير فئة تمد بالاصابع لم يغير ذلك الزلزال المفاجىء ثباتها على الولاء والامامة ، فاقبعت التشيع بانقباع أبي الحسن في بيته ، وما كان انتشاره بعدئذ في البلاد العربية الا كديب النمل على الصفا من دون حس أو جلبة ، فلم تبق قبيلة أو بلد إلا والقي

- الرازي في تفسير قوله : يا ايها الرسول بلغ ، الآية ، واحمد في مسنده عن البراء بن عازب ، والثعلبي ، وابن حجر في أوئل الصواعق في الشهادة الحادية عشر ، غير انه ذكر ان ابا بكر وعمر قللا له امسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة .

(١) انظر - الدر المنثور - والخطيب البغدادي وابن عساكر وما جمعه الطبري ، وابن عقدة من طرق حديث الغدير ، واثمعي وابن المغازلي ، والحافظ الجزري الشافعي وغيرهم .

التشيع بمرانه فيها وهو هادي وديع .

المجاهرة بالتشيع

لا يرى الشيعة خلافة إمامية لغير علي وبنيه عليهم السلام فمن
ثم لا تنجح السلطات بانتشاره ، ولا ترى ان ينتشع التسمي الطلق
فهي تحفة ما استطاعت ، لأن بظهوره وقوته الخوف على عروشهم .
اشتلت الدنيا عثمان وبني أمية عن الحيلولة دون ظهور التشيع
فوجد انصاره فحة للدعوة اليه ، ولقد كبر الناس بيوم الغدير وفضائل
المرتضى وأهل بيت النبوة عليهم السلام ، واقبوا يوم حادثة علي
عثمان ورهطه باستشاره بالفني ، وتأثيرهم رافطهم الضياع واشارهم
بالخس والصقاي .

ومتى كان يتي لا مثال أبي ذر رضي الله عنه أن يذكر الناس
معداً بولاء المرتضى ويطوف على بيوت المدينة صائماً : أدبو أرلادكم
على حب علي بن أبي طالب ومن أبي فانظروا في شأن أمه ، وعلى
منواله يذبح جابر بن عبد الله الانصاري .

ومتى كان أبو ذر وغيره يطيقون انكار المنكر والفساد في الارض ،
فكان ذلك منه عاملاً في تفسير أبي ذر الى الشام ، فدأب في الشام
على سيرته ولم يثب الوعد ولا الوعيد عن خطته ، فكان لصراخه
في الشام اثر محمود وخشي معاربه ان تنقلب عليهم الشام وتذهب

أمانيه العذاب سدى ، ان استمر أبو ذر على هتافه ، فاعاده الى المدينة
على اخشن مركب مجدين به السير وهو شيخ ضيف القوى ، فتناثر
لحم فخذه ، فلما لم يجد عثمان حيلة في سكوته من تبعيد أو اغراء بالمال
أو تبرع وتأنيب ، سفره الى الريزة - داره قبل الاسلام - حتى مات
فيها جوعاً (١)

الله اكبر ماذا يفعله قول الحق بالمرء وما ذا يلاقيه من جراء
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا بدع فان من يريد ان
لا تأخذه في الله لومة لائم ، وطن نفسه على احتمال المكارة والتنكيل
والتعذيب ، وذلك في ذات الله قليل ، حقاً انه لقليل فقد لاقى
رسول الله « ص » قبله ما هو انكى وأشد والحسين بعده ما هو
أوجع وأفجع ، وهكذا كل من أراد احقاق الحق وابطال الباطل ،
وما خلد ذكرى أولئك الأبطال إلا تلك التضحية الغالية ، وانهم
لنا احسن قدوة ومثال ، لا سيما في هذا الوقت الذي امتشرت فيه
الموبقات والضلالة ، ولكن اين العاملون .

فكان التجاهر بالتشيع أيام عثمان ، ولم يطق ان يحقه بغير
أبي ذر وبغاب عمار وكسر اضلاعه ولها امثال في الناس ، وكيف
يزال وقد ثبتت قدمه راسخة ، لا سيما في المدينة ومصر والكوفة .

(١) ذكر حال أبي ذر وما لاقاه جميع المؤرخين وان شئت
ان تقف على شيء منه فدونك شرح النهج « ٢ : ٣٧٦ »

خبر أمير المؤمنين والشيعة (١)

لما انكر الناس اعمال عثمان وحرضت عليه عائشة وطلحة والزبير وعمر وبن العاص وغيرهم، ولم يرضخ لما طلبه منه الناس لم يكفوا عنه بل اجتروا على قتله، وبعد ان قتلوه طلبوا أمير المؤمنين للبيعة — ومن لهم كافي الحن راع ومصلح فاستمع عليهم، وقال لهم: أنا وزير خير لكم مني أمير، لانه خير بالناس ونواياهم، وترك حب الدنيا في نفوسهم، وطموح فئة للخلافة، فكيف نهذا الحال وتلك الخواطر معتلجة في النفوس، فلم ينفع دفعه للناس عما يريدون فاثالوا عليه كعرف الفرس يهتفون به لا يريدون عنه بدلا ولا تحويلا وبعد الحاجة لم يجد بدا من الاجابة، فبايعه الناس وبيته يوم الغدير طوق الأعناق.

وكان الزبير وطلحة بطمعان بالخلافة وما كان تحريضها وعائشة على عثمان إلا لذلك الامل الذي يعتقد ان بلوغه، ان قتل عثمان

(١) كانت بيته عام ٣٥، وولادته بمكة في الكعبة يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل بعد ولادة النبي بثلاثين عاما، وضربه ابن ملجم ليلة التاسعة عشرة من شهر رمضان، وقبض ليلة احدى وعشرين منه عام اربعين للهجرة، فكان عمره الشريف ثلاثا وستين عاما وشهرين واياما

وبحسبان ان الناس لا تعدل عن أحدهما، غير ان المهم لديهما التوفيق بين رغائبهما، وان عائشة لمن تدعو فان لديهما فصل الخصام ونيل الارب، وحين ائثال الناس على أبي الحسن شعرا بالخيبة، ومن يستطيع ان يقف دون هوى الرأي العام ساعة ثورته، وهما يعرفان وعائشة من هو أبو الحسن في صلاحه عوده في دينه، واني لها بالعطاء كيلا بلا حساب، وبالجاه والامرة والزعامة في ايامه (١) ولو كان في وسعهم لحالوا دون ائثال الناس عليه، وعائشة لم تكن حاضرة البلد لتعين على صرف الناس عنه لانها المطاعة في الناس، فبايع طلحة والزبير حين لم يجدا مناصا عن البيعة.

فلما تم الامر المرتضى نكث هؤلاء، وقسط آخرون، ومرفت اخرى، واعتزلت رابعة، ولكن ابا الحسن لا يثنيه عن عزمه اجتماع الناس عليه، فصرخ بالحق حين وجد أعوانا، ويكفيه من الأمة أن تجيب اندائه طائفة منهم يصلحهم ويصلح بهم.

اهتزت الشيعة انما حين آب الحق الى وجاره، وما احيلاها ساعة عرفوا فيها انفسهم انهم شيعة، وارتفع كابوس الضغط عنهم، وانتشقوا نسيم الحرية في القول والعمل، غير انها ايام قصيرة قضوها

(١) انظر شرح المهيج (٦: ٣) و(٢: ٢٩٩) والطبري (٥: ١٥٣ و ١٨٢) يعلمانك عن نوايا القوم في ذلك الخروج على ابي الحسن، وما كان لهم فيه من مطمع ومغزى.

بالحرب والصراع ، وان راق لهم ان يقدموا انفسهم قرايين للدين ،
ولاعلاء كلمة الحق والعدل .

ابن الفرس منه هروب المرتضى

كانت لابي الحسن ايام خلافته حروب ثلاثة ، اولاهن
« حرب الجمل » في البصرة ، وسميت حرب الجمل لأن عائشة كانت
يومذاك على جمل ، وحملها الخروج من بيتها الذي امرها الله تعالى
ان تقر فيه بقوله : « وقرن في بيوتكن ولا تخرجن تبرج الجاهلية »
طلحة والزبير وابنه عبد الله ومروان بن الحكم ، وصادف ذلك
هوى في نفسها لانحرافها عن علي منذ عهد الرسول ، وكان لكل
من هؤلاء الاربعة امنية واراد ان يحمل من عائشة ذريعة للوصول
اليها ، ودولاهم الذين سماهم الرسول « ص » الناكثين ، لانهم
بايعوا عليا طائعين ثم نكثوا بيمينته ، وخرجوا الى البصرة امامهم
عائشة ، والبصرة يومئذ موافقة لابي فاغروها وحملوها على الخلاف ،
فسار اليهم ابو الحسن بالمهاجرين والانصار وباهل الكوفة فوقع بهم
بعد الانذار والاعدار ، وكان جيشه كله عربا اقحاحا ، بين ثديانية
وقحطانية ، أفكانت قريش من الفرس أم الاوس والخزرج ، أم
مذحج أم همدان أم طي أم كندة أم نعيم أم مضر أم اشباحها من
القبائل ، وهل كان زعماء جيشه غير رؤساء هذه القبائل ، أكان

عمار فارسيا أم هاشم المرقال أم مالك الاثر أم حصص بن صوحان
أم أخوه زيد أم قيس بن سعد بن عبادة أم ابن عباس أم محمد بن
أبي بكر أم حجر بن عدي بن حاتم أم اضرابهم من اولئك القواد .

وبهذا الجند واولئك الزعماء والقواد فتح أمير المؤمنين البصرة ،
وبهم حارب « اقباطين » معاوية وجنوده يوم « صفين » ، وبهم
قضى على « المارقين » الخوارج يوم النهروان ، ورسول الله صلى الله
عليه وآله هو الذي سمي أهل الجمل الناكثين ، ومعاوية واتباعه
الاقباطين ، والخوارج المارقين ، والحديث عنه في هذا الشأن جم
كثير (١)

فان الفرس في ذلك الجيش واولئك القواد ليكون الحجر
الاساس للفتح ، ولما صار الشيعة فرسا لأن التشيع دخل فارسا
ولم يكن سواه تركيا أو هنديا لأن الترك والمنود اعتنقوا مبادئه ،
بل كان سواه اجدر بانتهابه الى الفارسية ، لأن ابا حنيفة المذهب
الاعظم لأهل السنة وهو فارسي قبل ان يعم التشيع الفرس ، ولو
استقرت ارباب الصحاح الستة لمرت انهم جميعا من غير العرب ،
وهذه الصحاح أسن الفقه وغيره لأهل السنة ، بل وابن انت عن

(١) انظر المستدرک للحاكم ، وكنز العمال في فضائل علي
عليه السلام « ٦ : ١٥٨ و ٣٩١ » وجعله ابن أبي الحديد في
الشرح « ٢ : ٣٩٠ » من المتفق عليه بين الناس كافة .

أهل التفاسير أمثال النيشابوري والسيوطي والزنجشيري والرازي وغيرهم ، أنا لا أقصد النيل من السنة بما أشير إليه من ارتكاز مذهبهم على الاعجام فإنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى - وإن أكرمكم عند الله اتقاكم - ولكن لأذب عن الشيعة بما جعله بعض كتابها وصمة عليهم .

الشيعة ومعاوية

ما انقضت على الشيعة تلك الايام الغضة الجميلة ، المشرقة بنور الحق ، حتى فاجأهم عصر الظلم والظلمة عصر معاوية ، فما رأت الشيعة فيه إلا الجور والاعتداف والاضطهاد ، فكانت تأمر ليقضي عليهم ، وكانوا تشيئوا ليستقبلوا بنحورهم سهام جورره ، فاضطر ابو محمد الحسن عليه السلام لموادعة معاوية - حين خذلته الناس ، يقول الباقر عليه السلام كما في شرح النهج « ١٥ : ٣ » : « ما لقينا من ظلم قريش ابانا وتظاهروا علينا ، وما لقي شيعةنا ومحبوينا من الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وقد اخبر الناس فمالات علينا قريش حتى اخرجت الامر عن معدنه واحتجبت على الانصار بحقنا وحجتنا ، ثم تداوتها قريش واحداً بعد آخر حتى رجعت اليها فكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا ، ولم يزل صاحب الامر في صعود كؤود حتى قتل فبويع الحسن سلام الله عليه ، وعوهد ثم غدر به واسلم ، ووثب

عليه أهل العراق حتى طعن بمخنجر في جنبه ونهب عسكره ، وعولجت خلاخيل امهات اولاده ، فوادع معاوية وحقق دمه رده أهل بيته ، وهم قليل حق قليل .

وحين وادعه ابو محمد عليه السلام اشترط عليه شروطاً كثيرة منها ان يكف عن سباب من قام الاسلام بحسامه ، وتأسست بقواعده قواعد الحكم لمعاوية وغيره ، وان لا ينال شيعة بسوء ، فلما وصل معاوية النخيلة أو دخل الكوفة واعتلى المنبر قال : ألا اني قد منيت الحسن بن علي شروطاً وكلها تحت قدمي هاتين (١) يقول ابو الفرج في المقاتل صلى معاوية الجمعة بالنخيلة ثم خطب فقال : إني ما قاتلتكم لتصلوا ولا تصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا انكم لتفعلون ذلك ، انما قاتلتكم لأناس عليكم وقد اعطاني الله ذلك وانتم كارهون ، قال شريك في حديثه : هذا هو التهنك .

إن ابا محمد عليه السلام ليعلم ان معاوية لا يفي بشيء من الشروط ، ولكن ما اشترط عليه إلا ليتجلى للناس غدره ونكته باليهود . فكانت مصالحه على ان يجتهد في سب المرتضى وتبعية شيعة ما استطاع ، وما اكتفى بسب نفسه حتى كتب الى عماله ان يسبوه على المنابر ودبر كل صلوة ، ولما عوذب على ذلك قال : لا والله حتى

(١) الامامة والسياسة لابن قتيبة ص ١٣٦ ، وشرح النهج « ٦ : ٤ » والطبري في حوادث عام ٤١ « ٩٣ : ٩٤ » وتاريخ العبري ص ١٨٦ الى كثير سواها .

يرو عليه الصغير ويهم الكبير ، فما زال سب أبيه اثنتين سنة في
دولة بني أمية الى ان انقرضت ، سوى ايام الخليفة ابن عبد العزيز في
بعض البلاد ، وزاد معاوية على السب أن كتب لعماله برئت الذمة
ممن روى حديثاً في فضل ابي تراب (١)

وما زال منتبهاً اثر شيعته حتى انتهك منهم كل حرمة وارتكب
كل محرم ، يقول المدائني كما في شرح النهج « ١٥ : ٣ » : وكان
أشد الناس بلاءاً أهل الكوفة لكثرته فيها من شيعة علي عليه السلام
فاستعمل عليهم زياد بن أبيه وضم اليه البصرة ، فكان يبيع الشيعة
وهو بهم عارف ، لانه كان منهم ايام علي عليه السلام ، فقتلهم تحت
كل حجر ومدر ، وأخافهم وقطم الايدي والارجل وسمل العين ،
وصلبهم على جذوع النخل ، وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق
بها معروف منهم .

هذه بعض سيرة معاوية مع الشيعة فكان لا يجهر أحد بالولاء
لابي الحسن ولآل محمد الاطهار إلا حمل خشبة الصلب على عاتقه
وسن الحسام لعنقه بيده ، وما حيلة البعض منهم وهو جهير بالشيعة
معروف فيه لا يستطيع كتمه ولا دفعه ، امثال حجر بن عدي
واصحابه ، وعمر بن الحق الخراعي واضرابه .

(١) انظر شرح النهج « ١٥ : ٣ » نقلاً عن المدائني وابن
عرفة المعروف بشقراطية .

وما وقف معاوية عند هذا الحد من شقائه حتى أراد أن يقتل
امام الشيعة ابا محمد الحسن عليه السلام فدس اليه السم على يدي زوجته
جمعة بنت الاشعث فنال بذلك منه ما اراد (١)

وحسب معاوية أن بمطاردة الشيعة والقضاء عليهم واقتل لامامهم
يغالب القدر فيمحو ذكر أهل البيت ويقضي على شريعة الرسول (ص)
خصمه الألد ، ولكن « يأبى الله إلا ان يتم نوره » ، فانه بالرغم من
تلك الجهود المظيمة التي كانت لمعاوية ومن جرى على سيرته في
حرب أهل البيت ، كان شأن أهل البيت لا يزداد إلا رفعة وسناء
كما تراه اليوم ، فان أيام معاوية في سلطانه بلغت عشرين عاماً وقضاها
مجداً بالقضاء على أهل البيت وشارهم الرفيع حتى خيل أن لا يعرف
عواقب الامور ان رعاة الدين لم يبق منهم نايخ ضربة ، وان المنكر قد

(١) انظر تاريخ ابي الفداء « ١٨٣ : ١ » والاستيعاب
لابن عبد البر ، ومروج الذهب « ٢٦ : ٢ » ومقاتل الطالبين ،
والشرح « ٤ : ٤ و ٧ و ٢٦٨ » الى غير هؤلاء وما اكتفى بالسم
وحده بل خر ساجداً لما بلغه موت الحسن عليه السلام ، كما ذكر
ذلك الطبري والدميري وابو الفداء وابن قتيبة وابن عبد ربه ،
وغيرهم ، وبالعجب مما جناه معاوية كانه لم يتوصل الى الملك
إلا للقضاء على الشريعة واربابها ، وان الاعجب منه ان ترى له
انصاراً ومدافعين حتى اليوم ، وكانت ولادة الحسن في النصف
من شهر رمضان لسنتين مضتا للهجرة أو لثلاث وموته في السابع
من صفر عام ٥٠ للهجرة .

تقلب رجاله حتى لم يبق من رجال المعروف أحد يعرف ، ولكن ما مضت الايام إلا وانهار كل ما بناء معاوية وأسس غيره وشاده اعقابه ، وعلا الحق مرتفعاً في حجته وآثاره ، والحق يملو ولو بعد حين . وهذا أمر بارز للبيان ينتبه اليه أهل البصائر في كل أوان وقد اخبروا عنه أهل العصور الاول ، يقول الشعبي لولده « وهو التهم بالانحراف عن علي عليه السلام » : يا بني ما بنى الدين شيئاً فهدمته الدنيا ، وما بنت الدنيا شيئاً إلا وهدمته الدين ، انظر الى لي وأولاده فان بني أمية لم يزالوا يجهدون في كتم فضائلهم واخفاء امرهم وكانما يأخذون بضبعهم الى السماء ، وما زالوا يبدلون مساعيتهم في نشر فضائل اسلافهم ، وكانما ينشرون منهم جيفة .

ويقول عبد الله بن عروة بن الزبير لابنه : يا بني عليك بالدين فان الدنيا ما بنت شيئاً إلا هدمه الدين ، واذا بنى الدين شيئاً لم تستطع الدنيا هدمه ، ألا ترى علي بن أبي طالب وما يقول فيه خطباء بني أمية من ذمه وعيبه وغيبته والله لكانما يأخذون بناصيته الى السماء ، ألا تراهم كيف يندبون موانعهم ويرثيهم شعراؤهم والله لكانما يندبون جيف الحر (١)

ولا غاية فان الله لا يخزي أوليائه وقد ضحوا بنفوسهم ونفد هم في ذاته ، وكيف ينصر أعداءه وهم حرب له ولا وليائه

(١) انظر شرح النهج « ٢ : ٤١٤ »

« إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » - النحل : ١٢٩

نهضة الحسين عليه السلام (١)

إن تلك الافاعيل التي كانت لمعاوية وعتاة مردوا على النفاق ، وهاتيك التدابير التي حسبوا انها تقضي على روح الشريعة ومقام أهل البيت ، وآخر سهم في كنانة معاوية تأمير ابنه يزيد ، لا بد لها من نهضة تكشف للامة الاسلامية عتوها وخروجها عن الدين وعلى الدين ، ولما بلغ السيل الزبي والحزام الطيين حان الوقت للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واعلام الناس جهرة بضلال بني أمية وأشياءهم وحربهم للشريعة ، ومن لهذا الشأن العظيم والامر لا يتم بدون تضحية كبرى يطبق ذكرها الآفاق وتبقى خالدة عمر الدهر لا تنسيها الحوادث ، ولا تماثلها الوقائع ليقتضى مفعولها على تلك البدع والمنكرات ، غير أبي عبد الله الحسين عليه السلام .

نهض أبو عبد الله نهضة فضح بها اعمال أمية وثوايا القوم مع الدين والناس ، وأظهر للعالم كله ان دين الحق الذي صدع به جده رسول الله صلى الله عليه وآله هو ما يريد الدفاع عنه ويطلب احياه

(١) ولد عليه السلام في الثالث من شعبان بعد ثلاث سنين

من الهجرة ، وقتل في العاشر من المحرم عام ٦١ هـ

ولو ياراقة دمه الزاكي ، وان يزيد ومن سبه هم المجدون في امامته
بالاعمال والاقوال .

فمن يوم نهضته الرشيدة امتاز الحق من الباطل ، وعرفت شيعة
آل محمد من اشباع بني امية ، وما زالت تتجدد نهضته الكريمة يوما بعد
آخر ، وتتجلى اسرارها الزاكية لذوي الابصار والبصائر ، فان
موقفه ذلك اليوم وتضحيته بنفسه ونفوس تلك الصفوة الطاهرة من
آل ابي طالب ، والنخبة المنتجة من أنصاره ، وسوق الامويين لبنات
الرسالة ، وعقائل هاشم كالسيء المجلوب ، بعد السلب والضرب ، هو
الذي أحيا الحق بعد الدثور ، وأظهر الدين بعد الافول ، وأعلن
للعالم ان معاوية وابنه يزيد هما الاذان ضلا واضلا العباد ، وأفسدا
الناس والبلاد ، فصار التشيع لآل محمد (ص) يمضي في سبيله يجتاز
العقبات التي وضعت أمامه ، ويقتلع الاسلاك الشائكة التي نسجت
في طريقه .

اسرار شهادته

ان المتتبع للأسباب التي حدث بالكثير من الناس على التمسك
بالثقلين ، والاهتداء بنور آل البيت يجد القسم الكبير منها ناشئا عن
ظهور مظلومية الحسين عليه السلام ، وارتكاب اعدائه منه مالا يسوغه
دين أو مروءة أو غيره ، فلو انهم كانوا أهل دين لما عارضوه في
دعوته ، فضلا عن ان يرتكبوا منه فظيع الاعمال التي يندى منها وجه

الحق والشرف والانسانية ، لأن الواقف على أسباب نهضته يعلم ان
الذي حدا به على تلك النهضة هو احياء شريعة جده الرسول «ص»
من الامر بالمعروف والنهي عن البدع والمنكرات التي غمرت الناس
لعدم الزاجر عنها ، بل لوجود الامر بها الحامل عليها ، فما اصدق
الغائل : - إن الاسلام علوي والتشيع حسيني - ، قال سيف
أمير المؤمنين عليه السلام الذي ضرب به خراطيم الناس حتى قالوا :
« لا إله إلا الله محمد رسول الله » هو الذي نشرت به رايات النصر ،
ورفعت به اعلام الفتح ، واخراج الناس من ظلمات الكفر الى
نور الايمان ، وكان علي عليه السلام في كل حرب حضرها لرسول الله (ص)
هو الفاتك الفاتح .

كما انه لولا قيام الحسين بتلك التضحية الكريمة لكان الدين
كله امويا بسعي ملوك أمية ، وما هو إذ ذاك إلا فساد في الارض
وارتكاب لكل منكر وهتك للحرمت وفسق بالاعراض وسفك
للدماء ونهب للاموال ، الى غير هذا مما جاء الدين لاستئصال
شأفته ، وقلع جرثومته ، وتطهير جسم المجتمع من أمراضه الفتاكة ،
وهذا ابو عثمان الجاحظ يقول : وتفخر هاشم على بني أمية بانهم لم
يهدموا الكعبة ، ولم يحولوا القبلة ، ولم يجعلوا الرسول دون الخليفة ،
ولم يختصوا في اعناق الصحابة ، ولم يغيروا أوقات الصلوة ، ولم ينقشوا
الكف المسلمين ، ولم يأكلوا الطعام ويشربوا على منبر رسول الله

صلى الله عليه وآله ، ولم ينهبوا الحرم ، ولم يطأوا المسلمات في دار
الاسلام بالسب (١)

وهذا بعض ما ذكره ابو عثمان وما يذكره ارباب التاريخ من
اعمالهم ، ولو استقامت تلك الاعمال من دون نكر يطهرها من على
وجه الارض لاصبحت عرفا بين الناس ، ومتى تعود الناس الى العمل
بالشريعة وقد استقبلوا هذه البدع والموبقات ترتكب جهراً ، ولا يخشى
الله في اقترافها اعلاناً وسراً .

فهذه الحسين هي التي ابانت ضلال القوم وجرأتهم على الشريعة ،
وانتهاكهم لحرمات الدين ، وخروجهم عنه بل عليه اقوال واعمال ، فكان
بزوغ بدر آل البيت بعد أن أفل أو كاد من اسرار شهادته التي
ما زال الكثير منها مجهولاً ، وما تجلى إلا شطر منها حتى كاد أن
يلمسها بيده حتى الغربي ، وعسى أن يكشف لنا المستقبل شطراً آخر
محبوباً حتى اليوم عن البصائر والابصار .

نهضة وانصار أمية

ان الذي يرشدك الى ان شجرة التشيع كان نموها وافراعيها
مما استنقته من تلك الدماء الطاهرة ، هو ان انصار الامويين تكاد
ان تنقطع قلوبهم غيظاً من هاتيك النهضة الحسينية ، وما زالوا
ينسجون الحجب بشتى الاساليب فيضعونها على شمس تلك التضحية ،

(١) شرح النهج الحديدي « ٣ : ٤٢٩ »

زعماً منهم ان عين الشمس تحجب بالغربال ، وهيئات الذي دبروه
من تمويه وخداع ، فان انوار تلك الشهادة قد استضاء منها الافق
الاسلامي ، ومزقت ظلام تلك الاضاليل الاموية ، ونهبت الحواس
الى الفوائد المموسة من ذلك القربان ، وخسران أمية في ما جنته ،
وان هزتهم نشوة الظفر اياماً معدودة ، وما زال انصار أمية مجدين
في كتمان الحق ظناً منهم ان الباطل يعلو بالاراجيف وتستتر عيوبه
نسائج الاوهام واسلاك الهباء ، ولا يفضحه قر الحق الطالم ، وما
دعاهم الى بنس الحق لتلك النهضة الشريفة إلا ما شاهدوه ولمسوه
لها من الآثار وهي انتشار التشيع ونموه حيناً بعد آخر ، واقتضاح
سلفهم بما جنوه على انفسهم ، واكتسبته ايديهم ، وكفى باقتضاحهم
اعترافهم بالفضيحة ، فهذا عبيد الله بن زياد طالب عمر بن سعد بالكتاب
الذي كتبه له في قتل الحسين ، فقال : مضيت لامرك وضاع الكتاب ،
قال لتجيئن به قال ضاع : قال : والله لتجيئن به ، قال : ترك والله يقرأ
على عجائز قر يش اعتذاراً اليهن بالمدينة ، اما والله لقد نصحتك في
حسين نصيحة لو نصحتها ابي سعد بن ابي وقاص كنت قد اديت
حقه ، قال عثمان بن زياد أخو عبيد الله : صدق والله وددت انه
ليس من بني زياد رجل إلا وفي انفه خزاة (١) الى يوم القيامة
وان حسيناً لم يقتل ، قال : فوالله ما انكر عليه ذلك عبيد الله (٢)

(١) احسب انه كناية عن الذل .

(٢) انظر الطبري « ٦ : ٢٦٨ » في حوادث عام ٦١ ،

وابن الاثير « ٤ : ٤٠ » في حوادث هذا العام .

وأني لهم اليوم بستر تلك التضحية وقد ملأت البلاد طولاً
وعرضاً ذكراًها والاشادة بها على المنابر ، وهذه الصحف والكتب
ما زالت تندب ذلك القربان وتبكي تلك الفاجعة الموحشة ، في كل
زمان ومكان .

ولماذا تذهب يميناً وشمالاً وهذه عاصمة أمية - الشام - التي
اتخذت يوم قتل الحسين عيداً واستقبلت الرؤس والسبي بالدفوف
والطبول وبقيت أياماً وعليها منشورة معالم الزينة والفرح أصبحت
والمآتم تقام فيها نادبة للحسين باكية عليه لا عنة من اجترح منه
ذلك الذنب العظيم ، وهذا اسم الحسين مكتوب على مسجدنا الاعظم وقد
وضع ثوب السواد شعار الحزب على موضع صلب الرأس من ذلك
المسجد ، وهاتيك القبور من أهل البيت وما اكثرها في ذلك البلد
- دمشق - معمورة بالقباب والزائرين ، وقد فرشت بانفس السجاد
واضيئت باجمل المصابيح ، وابن قبر معاوية يزيد من عاصمتهم الشام
وابن الزائر لهما من اشيائهم ومن سائر الناس .

هذا هو شأن الحق واهله لا تميته الايام ولا يظفر به الباطل
واشيائه ، ولا ينخدع بهرجة الدنيا واربابها - إلا من نسي الله
فانساه ذكره ، فاني لامية وانصارها ان تطاول الحق فتمحي شخصه
الكريم من الوجود .

وفعة الطف عند أهل البيت

كان دأب أهل البيت بعد حادثة كربلاء نشر ما حل بقتلى
الطف ، وبما جرى على النسوة والصبية من فزع ودهشة وسلب
وضرب وسبي ، فان زين العابدين عليه السلام قضى سني حياته
كلها (١) بالبكاء على أبيه ، فانه ما قدم له طعام أو شراب إلا مزجه
بدموع عينيه ، وعلى هذا المنوال نسج الأئمة من أولاده ، بل
ما زالوا يعتقدون ما تم العزاء للبكاء واستماع شعر الرثاء ، ولربما
ضربوا الاستار وجعلوا خلفها بنسات الرسالة ليستمعن شجي المراثي
فيمكن على صرعى الطف وسبي العقائل بل كانت شعارهم حث
المؤمنين على نصب مآتم الحزن للبكاء على ذلك الحدث الجلل ، وعلى
زيارته ولو على الخشب اشارة منهم الى الصلب ، وقد لبى المؤمنون
تلك الدعوة فما زالت مآتمهم قائمة ، وزياتهم دائمة ، ولقد لا قوا من
أجل ذلك فنون الاذنى والتشكيل ايام بني امية وشرطاً من دولة
بني العباس خصوصاً في عهد المتوكل ، حتى ادركوا الامل فصارت
المآتم تقام علناً والزيارة تفعل جهره الى ان بلغت الى ما تشاهده اليوم .
وما زال أئمة أهل البيت يأمرون بنشر الدعوة الحسينية بكل

(١) اشهر الاقوال انه قتل بالسهم في محرم من عام ٩٥
فتكون حياته بعد ابيه خمساً وثلاثين سنة ، كما ان المشهور ان
عمره الشريف يوم قتل ابيه اثنان وعشرون عاماً .

وسائل النشر ، وقد سبقهم الى ذلك جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله
فقد بكى ولده الحسين عليه السلام وحض على البكاء عليه ، وحث
على نصرته عند نهوضه وعلى زيارته بعد قتله ، والحسين بعد في
الاحياء وسمع أنس بن الحارث بن نبيه رسول الله صلى الله عليه وآله
يقول : ان ابني هذا يعني الحسين عليه السلام يقتل بارض يقال لها
كر بلاه فمن شهد ذلك منكم فلينصره فخرج أنس الى كر بلاه فقتل
مع الحسين عليه السلام (١) ، وقال ابن عباس : أوحى الله تعالى الى
محمد صلى الله عليه وآله اني قتلت يحيى بن زكريا سبعين الفاً واني
قاتل بابن ابنتك سبعين الفاً (٢) والاحاديث عنه في هذا الشأن
كثيرة (٣) .

أراك على علم بأسرار تلك الاوامر واقامة هاتيك الشعائر ،
فانهم حاولوا بتلك وهذه ائمت الانظار الى المصائب التي جرت على
قتيل الظلم ، وصرع الجور ، وبذاك اعلاء كلمة الشهادتين ، وتنفيذ
احكام الشريعة ، فانه ماضى بنفسه ونفيسه إلا لأجل ذلك ، واحسبك
خيراً بنجاح تلك التضحية منه وهاتيك الدعوة منهم .

(١) انظر في ذلك ترجمته من الاستيعاب والاصابة .

(٢) مستدرک الحاكم « ١٧٦ : ٣ »

(٣) انظر العقد الفريد « ٢١٩ : ٢ » والصواعق ص ١١٥

وكنز العمال « ٢٢٣ : ٥ » وكثيراً سواها من كتب الحديث
والفضائل والتاريخ .

ولولم يكن إلا انهطاف الناس على ما فجع به ذلك القتل ، وبغضهم
لمن اجترأ عليه بذلك الفعل الاشنع لكان أجراً يستحقه الاشفاق
على المظلوم وان كان من غير ابناء جلدته ودينه ، والشنآن للظالم
وان كان منه قبيلة ودينا ، ومن ثم نجد الامم وان لم تكن مسلمة
تنطف على تلك التضحية وتقدر تلك البسالة والاقدام من سيد
الشهداء ، وتعد الجرأة على قتله وهو بتلك الحال شناعة وخزياً لا يفصل
عاره تطاول السنين والاعوام .

فنجاح هاتيك الشهادة ليس بكثرة الاولياء من المسلمين
للعين « ع » وتكثر الشيعة لاهل البيت في كل بلاد خيم عليها
الاسلام فحسب ، بل بالتقدير من العالم كله الذي اطاع على تلك
الحادثة لذلك الابي الباسل الذي صرعه سيف الظلم والعدوان ، فان
التاريخ لم يقرهم والعيان لم يرمهم حرباً تقابل فيها الحق والباطل
فتغلب الباطل وانتقم من الحق انتقاماً تسقنكره الوحوش الكوامر
والامم الجاهلية التي لم تعرف الدين أو العاطفة أو النظام ، فكيف
بأمة تنسب الى دين الرحمة والعطف دين العدل والحق ، وكان
الانتقام نفسه ممن بدعهم الى العمل بذلك الدين واحكامه وهم بعد
يزعمون انهم مستظلون برواق ذلك الدين ، ويعترفون بان ذلك
القتيل داعية الحق وابن صاحب الشريعة .

الشيعة وابنه زياد

ولما دخل عبيد الله بن زياد الكوفة وظفر بمسلم بن عقيل رسول الحسين وداعيته اخذ يقتل من يظن ولاءه لأمر المؤمنين عليه السلام، ويحبس من ينهم به، حتى ملأ السجون منهم خشية ان يقتلوا لنصرة الحسين عليه السلام، ومن ثم تجدد قلة في انصاره مع كثرة الشيعة بالكوفة، ولقد كان في حبسه اثنا عشر الفا كما قيل، وما أكثر الوجوه والزعماء فيهم، أمثال المختار وسليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وابراهيم بن مالك الاشتر.

وبعد أن خرجوا من حبسه نهض منهم اربعة آلاف يرأسهم سليمان بن صرد وجاؤا لقبر الحسين عليه السلام فنحوه وبكوه واشتدوا الحرب الامويين حتى قني أكثرهم ولم يحجزهم عن المقاومة تفاني أكثرهم حتى ظهر المختار بالكوفة فالتحقوا به.

وصلب ابن زياد جماعة من الشيعة كان في طليعتهم العبد الصالح ميثم التمار (١) وقد أمر به فقطعت بداه ورجلاه، وبقي وهو بتلك الحال يحدث الناس بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام كأنه خطيب على أعواد قامر به فاستلوا لسانه وقطعوه، ثم بقروا بطنه فمات رحمة الله عليه، وهذا الفعل انما هي الفظيعة نزر مما ارتكبه ابن زياد

(١) دونت احواله وعلومه في رسالة اخرجها مطابع النجف.

من الشيعة، ولو لم يكن له إلا قارعة العطف وقتل الحسين ورهطه وصحبه لكفى به حدثا تهزله السموات والارضون عظما وجزعا.

يقول الباقر عليه السلام، كما في شرح النهج ١٥: ٣٥: ثم لم نزل اهل البيت نستذل ونستضام ونقصي ونمنهن ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دماننا ودماء أولياننا، الى ان قال عليه السلام وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام فقتلت شيعةنا بكل بلدة، وقطعت الايدي والارجل على الظنفة، وكان من يذكر مجبنا والاقطاع اثنا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد الى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام.

فهذا الباقر عليه السلام - وهو الصادق الامين - كيف يحدثنا بشجي اللحن عما جرى عليهم وعلى شيعتهم من المحن وعظيم البلاء أيام ابن زياد ومن قبله كما سيحدثنا عما جرى عليهم زمن من بعده، والتاريخ اصدق شاهد لحديثه.

الشيعة ايام المختار

لما عاجل الهلاك يزيد ونضمضت من بعده اماره الامويين اياما، بقيت الشيعة في الكوفة تتطلب زعيما يلم شملها، ويشفي غيظ صدورها، فما لبثوا أن وثب بهم المختار وثبة الاسد الغضبان بعد

الربض الطويل ، فالتفت الشيعة حوله ، وساروا تحت ركابه ، وجعل
على الجند ابراهيم بن مالك الاسنر فارقع بعسكر الشام ومزقه شر
ممزق ، وقتل قائده ابن زياد ، وتلك أمنية اهل البيت والشيعة عامة ،
وبعث برأسه الى زين العابدين فسجد لله شكرآ ، وعند ذاك خلع
الهاشميات ثياب الحزن على الحسين عليه السلام .

ولما انحدر جيش الشام قويت شوكة المختار والشيعة وصار
يستأصل قتلة الحسين عليه السلام وما ابقى احداً منهم يعرف إلا ان
يكون قد هرب من بين يديه ، فمن ثم تحامل عليه من ملك قلبه حب
الامويين وقتلة السبط الشهيد فصار يدنس غايته الغزبية التي وثب
من اجلها وهي الطلب بدم سيد الشهداء ، فرصموه تارة بانه اراد
الوقية بالعروبة فكأنه لم يكن من العرب ، فوجد الفرصة للانتقام
من الاسلام والعرب ، واخرى انه تطلب بتلك النهضة الزعامة ،
ولا أدري لماذا استقصى اولئك القتلة وما اكتفى بقتل شطر منهم
وتأمين الباقين لينضموا الى لوائه ، هذه هي سياسة الملك والامرة
فان الاستقصاء يملا قلوب وانزبه حقدآ عليه ، فيحملهم على الوثبة
عليه عند الفرصة . إن طالب الرياسة مثل معاوية الذي موه نهضته
في حربه لأمر المؤمنين بالطلب لدم عثمان ، ولما آل الامر اليه لم
يتعرض احداً من قائله بسوء فاغضى اعضاء متجاهل بهم فكأنما
لم تكن تلك الحرب الضروس من أجل الطلب بدم عثمان ، حتى طالبت ابنة
عثمان بالانتقام فاعتذر .

ولو كان المختار غير صحيح القصد في وثبته لما روى الكثير من
الؤرخين نهضته - وشعارها الطلب بالثار - فهذا ابن عبد ربه في
العقد الفريد (٢ : ٢٣٠) يقول : ثم ان المختار لما قتل ابن مرجانة
وعمر بن سعد جعل يتبع قتلة الحسين بن علي ومن خذله فقتلهم اجمعين ،
وامر الحديبية وهم الشيعة ان يطوفوا في أرقعة المدينة - الكوفة -
بالليل ويقولوا : يا ثارات الحسين .

وقال ابو الفداء في حوادث عام ٦٦ هـ : ١٩٤ « وفي هذه
السنة خرج المختار بالكوفة طالباً بثار الحسين واجتمع اليه جمع كثير
واستولى على الكوفة وبايعه الناس بها على كتاب الله وسنة
رسوله « ص » والطلب بدم اهل البيت ، وتجرّد المختار لقتال
قتلة الحسين .

وبمثل هذا ذكر الكثير من أرباب التاريخ سبب قيامه ، ولعل
هذه الغاية الشريفة من نهوضه بغضه لكثير من الاول فسدوا
الاحاديث في قدحه ، ونسبوا له كل شناعة في الرأي والمذهب .
وما ذنب المختار إلا انه طهر الارض من فئة حاربت الله
والرسول والاسلام بحربها للسبط الشهيد وجرأنها على اهراق دمه ،
وانتقم لاهل البيت ، فكيف يهون عليهم ان ينتقم لاهل البيت ،
سبحانك اللهم وغفرانك لهذا النصف والعدل من الانسان .

السبعة أيام السجادة عليه السلام (١)

ظهر ابن الزبير بمكة واستتب له الامر في الجزيرة تسع سنين ، فاشتغل الامويون بابن الزبير وابن الزبير بالامويين ، وزين العابدين في عزلة عن هذا التطاحن الدنيوي ، وانصرف شطر من الناس الى العلم وشطر الى السياسة ، واصبح لكل من امرى السياسة والعلم شأن في البلاد ، وتكاد ان تنفصل كل طائفة عن الاخرى ، وابتدأ في هذا العهد ارتكاز العلم على القواعد والاصول ، وابتدأت المناظرات والمحاججات ، والمذاهب والطرائق ، وكان في هذا العصر الفقهاء السبعة في المدينة ، الذين يرجع الناس اليهم في الفقه وكانوا يفتون على آراء أهل السنة واصولهم ، فكان في هؤلاء شيعيان هما القاسم ابن محمد بن ابي بكر وكان من حوارى زين العابدين ، وسعيد بن المسيب وقد رباه أمير المؤمنين عليه السلام ، وكانا في الظاهر على رأي أهل السنة ، ومن ثم تعرف ان التقيّة كانت دريئة الشيعة قبل عهد الصادق عليه السلام .

وكانت الشيعة ترجع الى زين العابدين في ذلك الانعزال والوحدة ونصبه المأتم الدائم على أبيه (ع) ، وتلك هي السياسة

(١) ولد في الخامس من شعبان عام ٣٨ هـ وقبض بسم الوليد بن عبد الملك بالمدينة في محرم من عام ٩٥ ودفن بالبقيع مع عمه الحسن عليهما السلام .

الآلهية التي اختطها ابو محمد عليه السلام لنفسه خدمة للشيعة ، فان الناس أشغلها التضاير على الملك فوجدوا فرصة لا بداء مظلومية سيد الشهداء ، فكان بكاءه المستمر على شهيد الظلم اكبر ذريعة لاحقاق الحق وابطال شمائر دون الجور ، وانصرافه عن السياسة واهلها نهضة لتوارد الناس عليه دون ان يؤخذوا بذلك .

اذعلت حادثة الطف الناس كلهم وما كان يحسبون ان تلك الفئة العاشقة الاموية يبلغ بها العتو الى ما كان ، ولا الناس في الطاعة لهم والارتكاب من آل الرسول « ص » الى ما وقع ، فتقدم شطر من أولئك المحاربين وطلبوا من زين العابدين التهوض بهم الى الانتقام من بني امية فابى عليهم اشد الاباء ، وأسف من تخلف من الشيعة عن الالتحاق بالحسين وعن القتل بين يديه وما علموا ان الناس يلفون منه ذلك الفعل الاشنع ، وأصبحوا على حزن عميق بين نادم وآسف ، وهذا أحد العوامل على انتفاض الناس على يزيد ووقوع حادثة الحرة ، فان كارثة كربلاء لم تبق هوى لاكثر الناس في آل أبي سفيان ، هذا فوق ما كان عليه يزيد من الخلاعة والتهتك والطيش . فالشيعة بالعراقين والحرمين في هذه الفترة هادئة الاعصاب لم يتفرغ ابن الزبير لمناوئتهم حتى بعد اسقياء مصعب على الكوفة وقتل المختار وان كانت نزعة ابن الزبير شنان أهل البيت ومحاربتهم في خططه وخطبه .

الشيعة زمن الحجاج

ما مضت تلك الليال القصيرة التي استقل فيها آل الزبير بالجزيرة إلا وعاد الحكم لآل مروان من بني أمية بعد ان قضوا على آل الزبير ، ولما بسط عبد الملك نفوذه على البلاد وقامت دعائم سلطانه التفت الى أهل البيت وشيعتهم ، ولم تطب نفسه لأن يكونوا على تلك العزلة والوداعة ، وكان سيد آل البيت وامام الشيعة يومئذ زين العابدين فحمله الى الشام ليغض من مقامه ، وينقص من قدره ، ولكن لم يزدد الامام بذلك إلا عزاً وكرامة لما ظهرت له من الفضائل والمعارف ، وكانت الكوفة مغرس دوحة التشيع فحاول ان يجتثها من على الأرض ، وأي ساعد اقوى من ساعد الحجاج وله قلب قد من حديد لا يعرف الرقة واللين ، وأي رجل أبيع لدينه بالثمن الا وكس - لو كان ثمة دين - من الحجاج ، وان فعله بالبيت الحرام ليسلم قصر الملك لعبد الملك أخسر صفقة .

ومنا يخبرنا الباقر عليه السلام عن عيان ومشاهدة عما كان من الحجاج مع الشيعة ، كما يحكيه شارح النهج « ١٥ : ٣ » يقول عليه السلام : ثم جاء الحجاج فقتلهم - يعني الشيعة - كل قتلة ، وأخذهم بكل ظنة وتهمة ، حتى ان الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب اليه من ان يقال له شيعة علي عليه السلام .

ويقول المدائني كما في الشرح « ١٥ : ٣ » : وولي عبد الملك ابن مروان فاشتد على الشيعة وولى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب الناس اليه يغيض علي عليه السلام وموالاة اعدائه وموالاة من يدعي قوم من الناس انهم أيضاً اعداؤه ، فاكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبتهم واكثروا من الغض من علي عليه السلام وعييه والطمع فيه والشنآن له .

وماذا يذكر الكاتب عن الحجاج وأعماله فلقد سود صحائف من التاريخ لا تنسى عمر الدهر ونزني باقلامنا عن ذكرها وكيف تنشر تلك الفضائح على صحائف بيض تريد الفضيلة بما ترويه وتسطره ، ولو كانت أعماله القاسية مجهولة ولو لبعض الناس لآثرنا للفضيلة استطراد شطر منها رجاء ان ينتهجها من له امرة وسلطان عندما يعرف ان المرء حديث بمسده وان التاريخ يحفظ عليه الجليل والقييح ، ولكن الناس كلهم يهملون ما ارتكبه ذلك الفظ الغليظ من الكعبة ومن اتخذ الكعبة قبلة دون ان يميز بين شيعي أو سني أو حروري ، وبين حجازي أو عراقي أو تهامي .

الشيعة أيام الباقر عليه السلام (١)

ما وجد الشيعة زمن محمد الباقر عليه السلام تضيقاً شديداً من بني أمية كما وجدوه فيما سبق على عصره ، فكانوا يشدون الرحال اليه للارتشاف من مناهل معارفه وعلومه ، وفي أيامه كثرت الرواة والرواية عنه ، وكانت الرواية عنه أكثر من آبائه السابقين عليهم السلام فانتشر الحديث الباقر في كل قطر ، حتى ان جابر الجعفي وهو من ثقات رواة واعاظم ثقله الحديث ، روى سبعين الف حديث عنه فحسب ، وكان من حملة علوم أهل البيت ، وعلمهم صعب مستصعب لا يحتمله إلا نبي أو ملك مقرب أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان كما في نص الحديث عنهم يقول جابر كما في الحديث عنه : عندي خمسون الف حديث ما حدثت منها شيئاً كلها عن النبي (ص) من طريق أهل البيت ، وروى ايضاً محمد بن مسلم عن الباقر خاصة ثلاثين الف حديث ، فما اعظمكم من رجال كيف كانت أوعيتكم صالحة لتحمل تلك المقادير العظيمة من علم أهل البيت ذلك العلم الصعب المستصعب ، ولا بدع فان الناس معادن .

(١) ولد عليه السلام بالمدينة عام ٥٧ هـ وكان بالطف وهو ابن أربع وقبض بسم هشام بن الحكم على يد عامله بالمدينة في السابع من ذي الحجة عام ١١٤ ، أو ١١٧ ودفن بالبقيع مع عمه وأبيه عليهم السلام .

ونبع في زمنه من رجال الحديث علماء كان المعول على حديثهم بعد - بن وكانوا المتقدمين عند الامام الصادق عليه السلام ، يعطف عليهم ويرفق بهم وجاءت عنه فيهم مدائح جليلة أمثال جابر ومحمد ابن مسلم ووزارة وحران ابني ائین وابن ابي يعفور وبريد العجلي وسدير الصيرفي والاعمش وابي بصير ومعروف بن خربوذ وكثير سواهم ، كما نبغ فطاحل من الشعراء بقيت آثارهم خالدة حتى اليوم أمثال الكميت .

الشيعة أيام الصادق عليه السلام (١)

مني الامام الصادق عليه السلام بمعاصرة الدولتين الروانية والعباسية ، وشاهد منها مما ضررب الاذى والتضييق ، فكم ازعجوه من دار الهجرة يحمل الى فرعون أيامه من دون جرم سوى انه صاحب الخلافة والامامة حقاً ، فحمل مرة الى الشام مع أبيه الباقر عليه السلام أيام بني مروان ، والى العراق عدة مرات في عهد بني العباس أبناء عمه ، مرة في عهد السفاح الى الخيرة ، ومرات في عهد المنصور الى الخيرة والى الكوفة والى بغداد .

(١) ولد عليه السلام بالمدينة عام ٨٠ أو ٨٣ من الهجرة ، وقبض بالمدينة بسم المنصور على يد عامله على المدينة في الخامس والعشرين من شوال وقيل في رجب من عام ١٤٨ هـ وقد ساعدني التوفيق فكتبت في احواله كتاباً اخرجته مطابع النجف بجزئية .

وأحسن أيام مرت على الشيعة في عصره في الفترة التي امتزجت من أخريات دولة بني مروان وأوليات دولة بني العباس ، في اشتغال أولئك بقتل بعضهم لبعض وبانتفاض البلاد عليهم ، ودؤلا بالحرب مع الروانين مرة وبتهجير البلاد منهم واستتباب الأمن أخرى ، فانهز الشيعة هذه الفرصة - والوقت فرص - للارتواء من مناهل علمه وعرفانه ، فشدوا الرحال اليه من كل حذب وصوب لأخذ أحكام الدين والمعارف عنه ، فروي الحديث عنه في كل علم وفن ، كما تشهد به كتب الشيعة ، ولم تقتصر الرواية عنه على الشيعة فحسب ، بل روت عنه سائر الفرق كما تفصح بذلك كتب الحديث والرجال من الشيعة وغيرهم ، وقد احصى ابن عقدة والشيخ الطوسي طاب ثراه في كتاب رجاله ، والمحقق رحمه الله في المعبر ، وغيرهم من روى عنه من الشيعة ومن غيرهم ، فكانوا أربعة آلاف ، وكان أكثر الاصول الاربعة مروية عنه ، وهذه الاصول هي الاساس لكتب الحديث الاربعة: الكافي لثقة الاسلام الكليني (١)

(١) قبض محمد بن يعقوب الكليني عام ٣٢٨ أو ٣٢٩ في شعبان عام تناثر النجوم وهي سنة وفاة علي بن محمد السمری رضي الله عنه الذي انقطعت السفارة بموته ووقعت الغيبة الكبرى وكتابه الكافي من اعم كتب الشيعة .

ومن لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (١) والتهذيب والاستبصار للشيخ الطائفة الطوسي طيب الله مرادهم (٢)

وصارت الشيعة في غضون هذه الفترة تنشر الحديث ، وتجهز بولاء أهل البيت عليهم السلام ، وربا عددهم في مختلف الجهات على مئات الألوف ، ولما قامت دعائم السلطان المنصور وعرف كثرة الشيعة في الآفاق ، وتجاهرهم بالولاء لآل محمد عليه وعليهم السلام ضيق على مصدر معارفهم وامام عصرهم - الصادق - عليه السلام ، حين علم انه يمسر عليه استئصال الشيعة لآلهم وانتشارهم في البلاد ، فاراد ان يقطع الاصل ، وبه يكون جفاف الفرع ، فكم حمله الى العراق وأوقفه بين يديه ، يريد بذلك استنقاصه امام الناس ، وكم خاطبه بما يقصر القلم عن سطره ، وما كفاه ما ارتكبه منه من تلك الاذايا والمكارة والمواقف التي يهتز لها العرش عظاما ، دون ان دس

(١) هو محمد بن علي بن بابويه القمي نزيل الري ، ورد بغداد عام ٣٥٥ وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن وله ثمانمائة مؤلف مات بالري رحمه الله عام ٣٨١ .

(٢) هو محمد بن الحسن بن علي الطوسي ولد في شهر رمضان عام ٣٨٥ وقدم العراق عام ٤٠٨ وانتقل الى النجف عام ٤٤٨ ومات فيها ليلة الاثنين ٢٢ من المحرم عام ٣٦٠ ودفن في داره وهي اليوم مسجد وله مؤلفات كثيرة وكلها مهمة جليلة .

اليه السم على يد عامله على المدينة ، فمات روي فداء قتيلاً بسم
المنصور (١)

وما اقتصر المنصور في فظيع أعماله على ما اجتريحه من سيد
العلويين - الصادق - بل سن الشفرة للعلويين كفرة ، فضع أرض
الهاشمية من دماهم الطاهرة ، واكثر الفجائم في بغداد من اهلاك
تلك الفتية الفتية ، فخافته الشيعة فانكشت في بيوتها ، وتستر بالثنية
خشية من صارم عقابه ، اراه يكف عن علوي بعد أن اجتراً على
سيدهم ، أو يعف عن شيعي بعد أن قفى على امامهم .

السبعة ايام الكاظم «ع» (٢)

قضى الامام موسى الكاظم عليه السلام ايام امامته (٣) بين
سجنين ، سجن داره بعيداً عن الناس خوفاً من بني العباس ، وسجن
بني العباس الشديد الظلمة والظلم ، حتى ان الراوي اذا روى الحديث
عنه لا يسنده اليه بصريح اسمه ، بل بكناه مرة كابي ابراهيم

(١) اتفقت الشيعة على ذلك وذكر ذلك كثير من مؤلفي
السنة ، انظر « اسعاف الراغبين » و - نور الابصار - و - تذكرة
الخواص - و - الصواعق المحرقة - وغيرها .

(٢) ولد عام ١٢٨ ، أو ١٢٩ ، وقبض لخمس خلون أوبقين
من رجب عام ١٨٣ ودفن بمقابر قريش حيث قبره اليوم .

(٣) جاءته الامامة عام وفاة أبيه سنة ١٢٨ فكانت ايام
امامته خمساً وثلاثين سنة .

وابي الحسن ، وبالقائه اخرى كالعبد الصالح والعالم وامثالهما ، وبلاشارة
اليه تارة كقوله عن الرجل ، إذ قلما تجد اسمه الشريف مريباً في
حديث ، لشدة التقية في أيامه ، واكثر التضييق عليه ممن عاصره
من العباسيين كالمنصور والمهدي والهادي ، وما تربع الرشيد على
دست الملك إلا وزجه في اطباق السجون ، وبقي سلام الله عليه يحمل
الى السجن مرة ويطلق منه اخرى اربع عشرة سنة وهي مدة أيامه
مع الرشيد .

وبهذه الاعمال القاسية أزهبوا العلوية واخافوا الشيعة ، وكانت
تطمح عيون الجميع الى امامهم السجين ، ولم يجد عليه السلام منجى لاطالبيين ،
وخلاصاً للشيعة ، اصوب من استسلامه للحكم العباسي القاسي ،
وما كفى الرشيد ما ارتكبه من الامام حتى دس اليه السم وهو في
حبس السندي بن شاهك ، فمات روي فداء في السجن قتيل
الجور والاعتساف .

وذو الملح على الجرح انه لم يسمح لاوليائه بتشيعه ، بل امر
فعله الخالون فوضعه على الجسر ، ونكا القرحة بالنداء عليه : هذا
امام الرافضة . تلك اعمال لا تطفى من العباسيين لخب الحسد ،
ولا تنقص من شأن الامام ، وانما تكشف لنا عن قسوتهم ساءة
الانتقام ، وذهولهم عن سياسة الاقليات ، وغفلتهم عن شحن القلوب
عليهم حقداً وغيظاً ، والنار تفتح بلزناد ، وما كانت النار خامدة

وأما الجر تحت الرماد ، على أن الامام لا ذنب له عندهم سوى أنه صاحب المقام حقاً .

ولما شاهد سليمان بن جعفر عم الرشيد ما يصنع السندي بجنابة الامام أمر فآخذوها من أيدي الشرطة ووضعها في الجانب الغربي ، وأمر مناديه : فنادى بالناس لحضور الجنابة وتشيعها ، وأكثر الشيعة في بغداد تقيم في الجانب الغربي وكانت محلة الكرخ على سعتها كلها شيعة ، فهرع الناس فحملوه على الأعناق حتى أوصلوه إلى تربته الطاهرة من مقابر قريش ، وكانت قلوب الشيعة تنفلي كالمراجل غيضاً على ما يصنعه الرشيد ولولا ما كان من سليمان لاوشكت الفتنة أن تقع وإن يأخذوا الجنابة قهراً إلا أن يكن الرشيد أميناً بضغطه وشدة من وثبة الشيعة حتى وإن كثرت الضغط والضرب عليهم ، ولعل انتباه سليمان إلى الخطر حمله على ذلك الصنع حتى مشى حافياً حاسراً خلف جنازة الامام ، فإن في ذلك إيراداً للغلل وإطفاء للهب وإخماداً للناثرة لو جار اشتعالها ، أو لعل الرشيد أوعز إليه سرّاً أن يعمل ذلك بعد ما يقضي أربه ، وعسى أن يكون فعل سليمان غيرة على ابن عمه واستياءاً من ذلك الفعل الأشنع .

إن كثرة الشيعة ذلك اليوم في بغداد وسواها من بلاد العراق لجديرة بأن تقف حاجزاً دون أرهاق السلطات لهم وأزاع السوء بهم متواليك ، ولكن هل كانت تلك الضربات المتتالية على رؤسهم وشدة

الضغط عليهم اذهبت بقواهم ، أو لأن النقية حملتهم على الاستسلام للقسوة ، أو لأن عددهم بلا عدة ، أو لأن الامام لا يرضى لهم الثورة لعله بانها لا تصل بهم إلى الغاية ، أو لأنهم بغير سائس وزعيم ينهض بهم فقتلهم بهم الأحوال ؟ أحسب أن خلوعهم من الرئيس النعاض هو الذي أسلمهم إلى ذلك الخضوع ، ومن ثم تجدد العراقيين والحرمين واليمن قد تردت على الحكم العباسي أيام الأمن عندما وجد الناس زعماء من العلويين يثبون بهم في وجوه بني العباس ، ويحلون عن عواقبهم نير ذلك الاستعباد .

الشيعة أيام الرضا عليه السلام (١)

إن السياسة الإلهية للأئمة الأطهار عليهم السلام مع العباسيين قضت بمسالمتهم ، والنصير على أحكامهم الجائرة ، لغاية اذاعة الحق ولا ية-خني ذلك إلا إصراراً دون أن تشعر بذلك السلطات ، ولا رحمة لهم عند بني العباس لو شعروا منهم بتلك الدعوة .

ولولا تلك المسالمة لقضي عليهم وعلى شيعتهم قبل أن تظهر منزلتهم وكراماتهم من فضائل وعلوم ومعارف ، تلك التي نهبت ذوي البصائر إلى أنهم خزان علم الرسالة ، وأهل بيت النبوة .

(١) ولد عليه السلام بالمدينة عام ١٥٣ ، أو ١٤٨ ، وقبض بطوس في السابع عشر من صفر عام ٢٠٣ قتيلاً بسم المأمون ، ودفن فيها حيث قبره اليوم بقصد من كل حذب وصوب .

وبهذه السياسة الآلمية ، وتلك الكرامات الباهرة ، كثر أولياء
أهل البيت ، وتلك المسألة حققت دماؤهم بعض الشيء كما حفظت
نفوس شيعتهم قدر الامكان .

انبسط التشيع على البلاد ، وطمح كثير من الطالبيين للنهضة
بل وثب محمد بن ابراهيم من أولاد الحسن عليه السلام بالكوفة
واستفحل امره حتى دعي له بالبصرة ومكة ، و ابراهيم بن موسى
ابن جعفر عليها السلام باليمن واستولى على اليمن كله ، وكان في مكة
الحسين بن الحسن الافطس ، وبعد موت محمد بن ابراهيم وداعيتهم
ابي السرايا بالكوفة بايع الحسين محمد بن جعفر الصادق عليه السلام
وسماه أمير المؤمنين ، بل لا تجد قطراً إلا وفيه علوي يعني نفسه
أو يحميه الناس بالوثبة .

بل امتدت جذور التشيع حتى الى البلاط المملوكي فكان الفضل بن
سهل ذو الرياستين وزير المأمون شيعياً وطاهر بن الحسين الخزاعي
قائد المأمون الذي فتح له بغداد وقتل أخاه الأمين شيعياً ، وكثير
سواهما ، حتى ان المأمون خشي عاقبة هذين فقتل الفضل وولى طاهراً
امارة هرات ، وفعل ذلك مع أولاد طاهر فانهم بعد القيادة بوليهم
امارة هرات ، وكانت الطاهرية كلها تشيع كما يقول ابن الأثير
٢٥ : ٤٠ في حوادث عام ٢٥٠ ، وقال في حرب سليمان بن
عبدالله الطاهري مع الحسن بن زيد الناهض بطبرستان : (تأثم سليمان

من قتاله لشدة في التشيع)

وبلغ من شأن طاهر ان كان له حرم ببغداد يأمن من دخله
وان يخاطب دعبل المأمون من أجل ما كان لطاهر من الفتح بقوله :
إني من القوم الذين سيوفهم قتل أخاك وشرفتك بمقهمة
فكيف لا يخافه المأمون .

إن المأمون من رجال الدهاء والسياسة فلما رأى انتشار التشيع
في الآفاق ووثبات العلويين في اطراف البلاد ، وسريان التشيع الى
بلاطه ، خشي من عقبى هذه النزعة العلوية على سلطانه ، فرأى ان
يكيد لهذه الوثبات التي ظهر بها بعض العلويين ، والكائنة في
نفوس الآخرين .

إن الرضا عليه السلام ذلك اليوم إمام الشيعة وسيد آل أبي طالب
فبعث اليه يستقدمه واطهر انه يريد أن يقتازل له عن العرش ، وجعل
الامر له في الحل والترحال واختيار الطريق ، فجاء على طريق البصرة
فلاهور فينشاوور ، وجعل طريقه عدة شهور ، ظهرت له في خلالها
الكرامات الدالة على إمامته ، وكانت له من الآثار ما بعضها
ماثل الى اليوم .

لما دخل خراسان واجتمع به المأمون اظهر المأمون للامام انه
يريد ان يزل له عن الخلافة لانه وجده احق بها فضله ، فقال له
الامام : ان كانت الخلافة حنالك من الله فليس لك ان تخافها

عنك وتوليها غيرك وان لم تكن لك فكيف نهب ما ليس لك ، فقال
اذن تقبل ولاية العهد ، فابى عليه الامام اشد الاباء ، فقال له المأمون :
ما استقدمناك باختيارك فلا نهسد اليك باختيارك ، فوالله ان لم تفعل
ضربت عنقك ، فلم يجد الامام بدا من الاستسلام ، غير انه اشترط
على المأمون ان لا يتدخل في شؤون الدولة أبداً ، فقبل المأمون منه
ذلك ، وأمر فباع الناس الرضا عليه السلام بولاية العهد ، وضرب
السكة باسمه وأجرى المراسيم الباهرة ، ووفدت الشعراء للنهنية
واجزل لهم العطاء ، وكتب الى البلاد كلها باخذ البيعة بالولاية
للرضا عليه السلام (١)

نجح المأمون بهذا التدبير من العهد للرضا (ع) فهدأت بذلك
نفوس الشيعة ومنعت انفسها بان الامر سيعود لوليه امام الامة ،
وقرت شقيقة العلويين ، واطمأنت قلوب اوليائهم من القواد والوزراء
غير أمل الرأي والسياسة .

إن الامام الرضا اخبر المأمون بما يكيد به هذه البيعة فاعتظ لذلك
المأمون وقال : ما زلت تقابلني بما اكبره . إن الفطن من ارباب
السياسة لا تخفى عليه تلك المكيدة ذلك اليوم فكيف بالرضا ، ولكن

(١) كان ذلك في عام قدومه من المدينة وهو عام ٢٠١
وزوجه بابنته ام حبيبة في عام ٢٠٢ وقتله بالسم في الشهر الثاني
من عام ٢٠٣

ذلك التدبير يجهل مغزاه سواد الناس ، واذا هدأت فورتهم فيمن
ينهض الزعيم الثائر .

ولما بلغ الخبر العباسيين ببغداد ساءهم قبل المأمون وجهلوا ما يرمي
اليه فاجتمعوا على خلعهم والبيعة لعمه ابراهيم بن المهدي الشهير بالغناء ،
وعندما بلغ ما أراده المأمون من الكيد وسم الرضا كتب الى بني العباس
ببغداد : ان الذي انكرتموه من أمر علي بن موسى قد زال وال
الرجل قد مات .

وكان المأمون يحضر للرضا عليه السلام العلماء لينظروه ،
وهكذا كان يعمل مع ابنه الجواد عليه السلام ، يظهر بذلك انه يريد
ان يعلم الناس ما لهما من فضل ، ولكنه يدس السم في العسل ،
لانه كان يرجو أن يمترا ولو مرة في جواب مسئلة ليجمله ذريعة
للحط من كرامتهما وانقاصهما امام الناس والشيعة ، وبذلك يرجو أن
ينصرفوا عن ولائها والحب لهما ، إلا انهما كانا لا يزدادان إلا سناءً
ومكانة وظهوراً للناس انهما معدن العلم وأهل الخلافة وغصنان من
شجرة النبوة الباسقة .

كان المأمون يريد ان ينقص الرضا بتلك المناظرات ويحط من
قدره بولاية العهد ويرى الناس ان الدنيا زاحدة فيه رانه لو كان
زاحداً فيها لما قبل العهد بالولاية فصار الأمر على خلاف ما يمتدح به
المأمون فان المحاججات رفعت شأن الرضا المهدي وتطاع الناس لليوم

الذي يستلزم فيه مقاليد الامور .

نجاح المأمون في تديره السابق وفشل في تديره اللاحق ،
وخشي ان يستفحل الامر و يصبح اكثر الناس شيعة للرضا فيكون
ملكه عرضة للاخطار فاحتال عليه بالسهم ودسه اليه في عنب فقضى عليه
سجما بطوس ودفن بها في قبة هرون أمام قبره فاندرس قبر هرون
وظهر قبر الرضا وصار مقصداً لزوار الشيعة من أطراف البلاد
وشاسع الامصار .

وفي عهد الرضا نشطت الشيعة وجأهروا بالولاء وعلت كلمتهم ،
لا سيما أن المأمون كان جهورياً به يجمع ارباب الكلام وينظرهم
في خلافة أمير المؤمنين ، ويقطع حججهم بصارم براهينه ، ولكنه
بعد ان سم الرضا وهدأت اجراس العلوية والشيعة أوصد ذلك الباب
كان لم يكن ذلك الحجاج وتلك الحجج .

الشيعة أيام الجواد عليه السلام (١)

مات أبو الحسن الرضا عليه السلام وأبو جعفر الجواد عليه السلام
ابن سبع فتهافتت الشيعة عليه يستقون من سائغ نعيمه شأنهم مع آبائهم ،
(١) كانت ولادته في العاشر من رجب عام ١٩٥ كما قيل ،
وقضى مسموماً في ذي القعدة أو ذي الحجة من عام ٢٢٠
فيكون عمره ٢٥ عاماً ودفن الى جنب جده الكاظم
عليهما السلام .

وما حال صغر السن دون ارتشافهم من غامر علمه ، لأن الامامة
الالهية لا فرق فيها بين ابن سبع أو سبعين ما دامت منابها تستمد
من العلامة جل شأنه ، كما هو شأن النبوة ، فهذا عيسى كلم الناس
وهو في الهدى ، وهذا يحيى اخذ الكتاب بقوة وآناه الله الحكم
وهو صبي .

إن المأمون لا يبجل ذلك الشأن من الامام ولا رأي الشيعة فيه
فاقتضت سياسته ان يرفع مكانة أبي جعفر عليه السلام ويهظم شأنه ،
كما تظاهر قبل هذا مع أبيه أبي الحسن عليه السلام فاستدعاه من
المدينة مكرماً الى بغداد واطهر له من العناية ما استفز بني العباس حتى
خافوا ان يهد اليه كما عهد الى أبيه من قبل ، ولكنهم جهلوا
ما يقصده وراء ذلك الاكرام ، وجهلوا ان السياسة ألوان وان
لكل عهد عملاً ولوناً ، فاستمروا في ملامته واستمر في كيدته حتى
زوجه بابنته أم الفضل وهي التي قتلتها بالسهم بشارة من المعتصم ، فكانت
ادخروها للجواد لمثل هذا اليوم .

كثر الخاح بني العباس على المأمون على ان يطرفوه عن تزويجه
بابنته وعن رفع مقامه وهو لا يعبا بهم فقالوا : دعه حتى يئادب فانه
صبي فاحضر له العلماء والفقهاء لينظروا فيظهر له من الفضل ما يقطع
ألسنتهم ، فكان من الجواد مع يحيى بن اكنم ما هو مسطور في كتب
التاريخ والحديث والفضائل ، وما هو قاطع للحجة ولذارب الألسنة

من بني العباس ، وما بلغ ابو جعفر ذلك اليوم العاشرة .

ولا أدري كيف بلغ الجبل بني العباس الى ذلك الحد ، فقد سبق من المأمون مع الرضا عليه السلام ومنهم في لومه ما دل على نجاحه في سياسته وكيدته ، وخطأهم في تأنيده ، فكيف عادوا الى تنفيذ حيل عاد الى اظهار الاعزاز لابي جعفر عليه السلام ، ولا أدري كيف لم ينتبهوا الى مراميهم في اعماله ولها امثال سابقة ، وكيف يأملون ان يكشف لهم عن نواياه في فعله ، والسياسة ان ظهرت للعيان استفزت من يراد به الكيد ، ونهت مشاعره ، واذا اخذ الحيلة لنفسه كيف تعمل فيه تلك المكيدة ، واذا ظهر للملوية والشيعية القصد من مراميهم في اجلاله لابي جعفر عليه السلام لم يحنفوا بما يصنع فلا يثبطهم عن الوثبة في وجهه .

عاد الجواد عليه السلام الى المدينة وبقى بها مقصداً لاوليائه الى ان اعلى المعتصم منصة الحكم عام ٢١٨ ، فاستدعى الجواد ومعه زوجته أم الفضل وقد علم بانحرافها عن ابي جعفر فارادها ذريعة لتفريده في ابي جعفر ، ولم يكن المعتصم شقيق المأمون في دهائه ولا رضى لبايئه في سياسته ، ومن ثم انقضت عليه كثير من البلاد وخلعوا ربة الطاعة واسقلوا بالامر ، فكان لقرب غوره يضيق على الجراد مرة ، ويوسع عليه اخرى ، ويحبسه مرة ويطلقه تارة .

وكان يجمع له العلماء ليحاججوه زعماء منه ان يجر له زلة يؤاخذة

فيها أو يسقط مقامه بها ، وزور عليه مرة كتباً تتضمن الدعوة لبيعه ، فلا يكون مغبة ذلك إلا إعلاء شأن ابي جعفر واظهار الكرامة والفضل له ، فكان المعتصم لا يزداد لذلك إلا حنقا وغيظا ، ولا يقوى على كتمان ما يسره من الحسد والحقد ، فحبسه مرة وما اخرجه من السجن حتى دبر الامر في قتله ، وذلك ان قدم لزوجته ابنة المأمون ممكاً وحملها على ان تدفعه للامام فاجابته الى ما اراد ، فمات قتيلاً بسم المعتصم ، وعندما شاهدت أثر السم قد بان في بدن الامام تركته وحيداً في الدار ، حتى قضى نحبه ، واحتشدت الشيعة على الدار واستخرجوا جنازته والسيوف على عواتقهم وقد تعاقدوا على الموت لأن المعتصم حاول ان يمنعهم عن تشييعه .

وتعرف من مثل هذه الحادثة كثرة الشيعة ذلك اليوم في بغداد وقوتهم على المراس ، ومن كثرة الرواة منهم تعرف كثرة العلم فيهم ، ومن كثرة الحجاج والجدال لاسيما في الامامة تعرف قوة الحجة عندهم ، وقوة الكفاح عن المذهب ، واتضح امرهم .

الشيعة زعمه الرادي «ع» (١)

قضى الجواد نجبه والمهدي ابن ست أو ثمان كما جاءت الامامة
أباه وهو ابن سبع، فكان موثق الشيعة ومرجعهم ومنهل ورآد العلم
ومرتع رواده، قتلوا من مشرعيه، ورتعوا الخصب من ربيعه، كما
كان حالهم مع آباءه الفر، وهذا أمر يسترعي الانتباه، ويستلفت
الانظار، أحسن ابن هذه السن من الناس القراءة والكتابة دون
ان يكون له شيء من معرفة أو علم، فكيف يكون جامعة العلوم لا يستل
عن شيء إلا والجواب لديه حاضر، ولا يبتدىء في البيان عن مسألة
إلا وابهت العقول فيما يبيده، أيجوز هذا في غير من ألهمه الله العلم
والعرفان، ولو كان على غير تلك الحال من العلم الإلهي لما انتقادت
اليه خاضعة شيوخ الفضل والعلم، وأخذت عنه أخذ مأموم عن إمام،
ورأت فيه انه الحجة من الله والمعصوم عن الرجس والعالم بكل شيء،
ولولم يكن كما رأوه وشاهدوه لكذبت الحوادث والامتحانات ذلك
الرأي والعقيدة فيه.

بقي المهدي في المدينة والشيعة نافرة اليه للتفقه في الدين واغتنام
محاسن الاخلاق حتى سنة ٢٣٦ وكانت ناصية الحكم يومئذ بيد
(١) ولد بالمدينة في رجب أو ذي الحجة من عام ٢١٢
أو ٢١٤، وقبض مسموما بسامراء في رجب أو جمادى الآخرة
من عام ٢٥٤، ودفن في داره حيث قبره اليوم.

المتوكل وهو شديد البغض لعلي ولاهل يتبعه عليهم السلام وزاد في
الطين بلة انه احيط بندماء قد اشتهروا بالنصب والبغض لعلي، منهم
علي بن الجهم الشاعر الشامي من بني شامة وعمر بن فرخ الرخجي
وأبو السمط من ولد مروان بن أبي حفصة من موالي بني أبيه
وعبد الله بن محمد بن داود الهاشمي المعروف بابن اترجه، وكانوا
يخوفونه من العلويين ويشيرون عليه بإعدام والاعراض عنهم
والإساءة اليهم، ثم حسنوا له الواقعة في اسلافهم الذين يعتقد الناس
علو منزلتهم في الدين، ولم يبرحوا به حتى ظهر منه ما هو معروف.
ومما ذكره ابن الاثير في حوادث عام ٢٣٦ (٧: ١٨) وابن
جرير (١١: ٤٤) وصاحب فوات الوفيات (١: ١٣٣) فعله بقبر
الحسين عليه السلام من الهدم والحرق والبذر والسقي ومنع الناس
من زيارته الى غير ذلك مما هو مشهور عنه، وقال صاحب الفوات:
وكان معروفا بالنصب فتألم المسلمون لذلك، وكتب أهل بغداد
شتمه على الحيطان وهجاء دعبل وغيره. وفي ذلك يقول ابن السكيت
وقيل هي للبسامي.

قال الله ان كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتته بنو أبيه بمثله ففدا لعمر ك قبره مهدوما
اسفوا على ألا يكونوا شاركوا في قتله فتقبعوه ربما
وما اقتصر على ما فعله بقبر الحسين عليه السلام من الإساءة

لأهل البيت وأوليائهم ، بل جدّ في النيل من العلوية نسباً ومذهباً ، واستقدم أبا الحسن المهدي عليه السلام من المدينة الى سامراء في عام ٢٣٦ وأبقاه في سامراء يتعاهده بالاذى والسوء كما يتعاهد المحب حبيبه بالتعف والطرف ، وقد وجد أعداء آل محمد انحراف المتوكل عنهم ذريعة للاساءة الى ابي الحسن عليه السلام فسعوا به الى المتوكل واخبروه ان في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعة فوجه اليه ليلاً من حجم عليه الدار على غرة فوجدوه في بيت وحده وعليه مدرعة من شعر وعلى رأسه ملحمة من صوف ولا بساط في البيت إلا الرمل والحصى متوجهاً الى ربه يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد ، فاخذ على ما وجد وحمل الى المتوكل (١)

وما كان ذلك باول سعي ولا أول هجوم على داره من المتوكل ، وكلما أغراه اولئك النواصب خف به بغضه الى الاجابة لسعيهم وان وجد كذب ما قالوه .

فكان المتوكل دائباً على ذلك الاذى وتلك الاساءة لأبي الحسن من دون رحمة ولا هوادة الى ان قتله ابنه المنتصر انتقاماً لأبي المؤمنين لما شاهده منه ومن الفتح بن خاقان وجلسائه من المس بكرامة المرتضى والاستخفاف بحرمته .

(١) أنظر تاريخ أبي الفداء « ٤٧ : ٣ » ، ومروج الذهب « ٢٦٥ : ٢ » .

وما زال المهادي مقيماً في سامراء الى ان مات مسموماً بها بسم المعز العباسي عام ٢٥٤ فكانت مدة اقامته فيها ١٨ عاماً يتجرع غصص الآلام من بني العباس من ملك لآخر وكان أكثر ايامه سجين الدار لا يصل اليه شيعة إلا اختلاساً على كثرة الشيعة في هذا العهد وكثرة احتياجهم الى رؤية الامام واخذ معالم الدين عنه ، وكان جل استفادتهم منه بتوسط رجال مدودين من قوامه يترددون عليه وربما قصدوا الشيعة في بلادهم .

وفي هذا العصر كان صوت التشيع جهيراً ، وعلواؤه تناضل وتناظر ، وكثرت التأليف في كل علم ، واتسعت في الاخلاق والكلام خاصة .

الشيعة ايام العسكري « ع » (١)

جاء الحسن العسكري عليه السلام من المدينة مع أبيه المهادي عليه السلام يوم استقدمه المتوكل ، وما زال مع أبيه الى ان التحق ابوه بالرفيق الاعلى ، وبقي هو مدة امامته القصيرة في سامراء ،

(١) ولد في ربيع الآخر عام ٢٣١ ، أو ٢٣٢ ، وقبض في سامراء ثمان خلون من ربيع الاول على الاشهر عام ٢٦٠ . ودفن مع أبيه في دارها فكانت ايام امامته ست سنين وعمره ٢٨ أو ٢٩ عاماً فهو اصغر الائمة بعد الجواد عمراً .

وقضى أيام حياته التي في سامراء في نكد وأذى ، فكان شريك
أبيه المهادي فيما أصابه ، وانفرد بعد أبيه فيما قصده به العباسيون
من سوء ، وكان حالهم معه من الاساءة والفض من مقامه والتضييق
عليه والسجن كحالهم مع أبيه ، دون أن يلاقي منهم فسحة أو إرفاقا .
والشيعة في أيامه كحالها مع أبيه ، وأصبحت - قم - في عهده
وعهد أبيه من قبل عاصمة كبرى من أعواصم العلم الشيعية ، وفيها
من روايتها مالا عد له ، ومن المؤلفين في الحديث وفنون العلم
جم غفير .

وكان في سامراء وما جاورها من الشيعة عدد لا يستهان به ،
وفي بغداد خلق كثير ، وكانت المدائن يومئذ عامرة ، وللتشيع فيها
القدح الملقى ، وما زالت المواصلات بينهم وبين الامام متوالية ، ولعل
سلمان الفارسي أول من وضع فيها حجر التشيع ، وبنى عليه حذيفة
ابن اليمان ، ولا تسلم عن الكوفة في ذلك اليوم بل وفيما قبله وما بعده ،
فانها من اكبر مدن الشيعة في الولاة ، وسنبعث انشاء الله تعالى
عن كثير من البلاد التي دخلها التشيع ، ومن أين استقت ذلك المبدأ ،
ودبت اليها تلك الروح .

وما زال العباسيون على حالهم مع الامام العسكري عليه السلام
الى ان اغتاله المعتد العباسي بالسهم ، وما زال الشيعة على ذلك الشأن
الى ان قبض الامام عليه السلام .

الشيعة في الفقيه الصغير

كان مولد الامام المهدي عجل الله فرجه يوم الجمعة في النصف من
شعبان عام ٢٥٥ (١) وكان الامام العسكري عليه السلام يخاف عليه
ويحتفظ به ، ولا يسمح لكل أحد بمشاهدته ، وما رآه أيام أبيه
إلا النزر من الشيعة ، وكيف لا يهمه المحافظة عليه وهو آخرهم وبه

(١) ذكر ولادته عدة من أهل السنة انظر ابن خلكان
في ترجمته ، وابن حجر في (المصواعق) ص ١٠٠ و ١١٤ ،
ومحمد بن طلحة الشافعي في مطاب السؤل ص ٨٩ طبعة ايراز ،
وبنايع المودة ، و «الفصول المهمة» لابن الصباغ المالكي في
الفصل الثاني عشر و «كفاية الطالب» لمحمد بن يوسف الكنجي
الشافعي مخطوط ، و «البيان في اخبار صاحب الزمان» لمحمد
المذكور مطبوع ، وتذكر الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٢٠٤
و «اليواقيت» لعبد الوهاب الشعراني في المبحث الخامس والسعين
و كتابه بمنزلة الشرح للفتوحات المكية لمحي الدين بن عرب
و «سبائك الذهب» ص ٧٦ للسويدي البغدادي و «عمدة الطالب»
ص ١٨٦ وابن الاثير «٧ : ٩٠» وتاريخ ابي الفداء «٢ : ٥٢»
الى كثير سواهم وقد ذكر العلامة المبرور الشيخ مرزا حسين
النوري في كتابه «كشف الاستار» كثيرا من أهل السنة
من ذكر ولادته وحياته ووجوده وتقل عن بعضهم انه اجتمع
به وروى عنه .

أحياء الشيعة وبه يملأ الله الأرض قسطاً وعدلاً ، وكيف لا ينجي
عليه وبنو العباس يرتقبون ولادته ليقضوا عليه ، فكانت غيبته
الصغرى من يوم مولده ، وهذا لا يخالف فيه اثنان من الشيعة ،
وأشار اليه بعض أهل السنة أيضاً مثل ابن الصباغ المالكي في كتابه
« الفصول المهمة » في الفصل الحادي عشر في أخريات ترجمة
الامام العسكري ، قال : وخلف أبو محمد الحسن من الولد ابنه
الحجة القائم المنتظر لدولة الحق ، وكان قد أخفى مولده وستر أمره
لصعوبة الوقت وخوف السلطان وتطلبه للشيعة وحبسهم والقبض عليهم .
ولما قضى أبو محمد الحسن عليه السلام ، جدد المعتد العباسي في
العشور على الامام المهدي حتى حبس جوارى العسكري وجعل عليهم
الرصد خشية ان يكون عند احدهم حمل من الامام ، فاختفاه الله
عنه وعن اعدائه ليوم يريد به ان يظهر الارض من الجور والظلمان
والشرك ، ويستبدل عنها العدل والامن والايمان .

وبعد ابيه العسكري عليهما السلام جعل بينه وبين الشيعة سفراء
أربعة وهم عثمان بن سعيد العمري وكان من وكلاء جده وأبيه ،
وابنه محمد ، وكان من وكلاء أبيه أيضاً ، والحسين بن روح ، وعلي بن
محمد السمرى (١) وتنتقل السفارة لاحدهم بعد موت الآخر ،

(١) كان عثمان بن سعيد من قوام العسكريين ووكلائهما
ويلقب بالسنان كما يلقب بالعمري وخرج التوقيع من الحجة -

فكانت لمحمد بعد ابيه ، ثم للحسين بعد محمد ، ثم لابي السمرى بعد
الحسين ، وبعد موت السمرى عام ٣٢٩ انقطعت السفارة ، وكان
مسكنهم جميعاً ينفداد وبها مواضع قبورهم ، وهي اليوم معروفة وزارها
وكان هؤلاء السفراء وسطاء بين الشيعة والامام لحل امثلتهم اليه
وأخذ الجواب منه بتوقيعه اليهم ، والسفير هو استاذ التدريس في
وقته ، يحمل الى وراد العلم علوم الامام الغائب ، ومن بعدهم انقطع
الوصول اليه والاخذ عنه رأساً ، وانحصر أخذ الاحكام بالاجتهاد .
وكان للامام عليه السلام في هذه الغيبة الصغرى وكلاء كثيرون
في بغداد وغيرها غير ان السفارة مختصة بهؤلاء الاربعة المعروفين
بالتواب ، كما ادعى جماعة الوكلاء والنيابة عنه جاء التوقيع منه
بتكذيبهم والبراءة منهم ، انظر غيبة الشيخ الطوسي ص (٢٥٨-٢٧٢)
وفي أيام الغيبة الصغرى كانت اتشيع كنور على علم لا سيما في
- بسفارته ولم تطل ايامه ، ثم خرج التوقيع بسفارة ابنه محمد وكان
من قبل وكيلا لأبي محمد العسكري وكانت وفاته في أواخر
جمادى الاولى عام ٣٠٤ أو ٣٠٥ ثم خرج التوقيع أيام حياة محمد
بسفارة الحسين بن بعده وهو من بني نوبخت وكانت وفاته في
شعبان عام ٣٢٦ ، وفي أيام الحسين خرج التوقيع بسفارة السمرى
من بعده ، ولما توفي السمرى عام ٣٢٩ لم يخرج التوقيع بسفارة
احد بل ذكر الشيخ في كتاب الغيبة ص ٢٥٧ ان توقيعاً خرج
على يد السمرى يعزى فيه الشيعة بموته وبذكر فيه انقطاع
السفارة بعده ووقوع الغيبة الكبرى .

العراق و ایران ، و كانت بغداد و قم مهيطة طلاب العلم ، و فيها اساندة
الدراسة و رجال التأليف .

الشيعة في الغيبة الكبرى

انتهت الغيبة الصغرى بموت السمرى رضوان الله عليه عام ٣٢٩هـ ،
وبعدها وقت الغيبة الكبرى ، و عنها يخرج عجل الله فرجه و سهل
مخرجه ، و الفارق بين الغيبتين أن الصغرى توفى لمشاهدته و الاجتماع
به خواص مواليه ، و في هذه الكبرى التي نحن فيها لا يتوفى لذلك
إلا خواص الخواص ، و فتننا الله تعالى لمشاهدة تلك الطلعة الرشيدة ،
و الغرة الحميدة ، و جعلنا من انصاره و اعوانه في غيبته و عند ظهوره ،
إنه سميع مجيب .

و ما نريد أن نذكره عن الشيعة و أطوارها من بدء الغيبة
الكبرى الى اليوم نأتي به في طي الذكر لمشاهير البلدان ، و لربما
أشرنا الى شيء من تأريخ التشيع من قبل الغيبة عند ذكر القطر أو البلد
و كيف دخله التشيع ، أملاً يأتي الكلام مبتوراً .

الشيعة في العراق

كانت لملي عليه السلام شيعة في العراق قبل أن تأتيه الخلافة
منقادة ، و قبل أن يحمل الكوفة عاصمة خلافته ، لأن الكوفة مصرها

الجند الفاتح الكسرى ، و المستلب منه ملكه و بلاده ، و من هنا تسمى
الكوفة - كوفة الجند - و الجند الفاتح جاء من الحجاز فهو يعلم من هو
أمير المؤمنين قبل أن يتوطن العراق ، لا بما و كان في إمارة الجند
و البلاد أمثال ابن مسعود و عمار ، و في هذا العهد تجمعت البصرة .

و عند ما استقام أمير المؤمنين في العراق بعد وقعة الجمل كان
ذلك من أقوى الأسباب لنشر الولاء له فيه لا بما الكوفة عاصمة
خلافة ، و من ثم اجتهد مارية رعمه له و آكر مروان في استئصال الشيعة
منها لأنها كانت مغرس نواته .

و نهضة الحسين عليه السلام هي التي أدت عرى التشيع في
العراق و الكوفة . إن الكوفة وإن تكن هي التي قلمت الحسين عليه السلام
إلا أنها هي التي انصرت له و ثارت بدنه و فنت قاتليه ، لأن الشيعة
كانوا في سجن ابن زياد و بعد اطلاقهم نهض بهم المختار ، و معها جند
الامويون في اقتلاع جذور التشيع من العراق و الكوفة كانت بالرغم
من حيلهم و حولهم في ذلك تدق تلك الجذور و تفرع شجرته .

و معها اجتهدوا في جعل العراق أموا كانت تلك الجهود فاشلة ،
و كانت الروح السائدة عليه هاشمية و علوية خامة ، إلا في البصرة
في عهد قليلة ، و من ثم إذا دهم الامويين في العراق غائلة مددوم
بجند الشام ، و ما كانت لنجج دعة العباسيين في الكوفة و العراق
لوم يكن شعارهم الطلب بدم الحسين و دماء أهل البيت و الدعوة للرضا

من آل محمد عليه وعليهم السلام ، ولو كانت الدعوة صريحة لهم
 لكان الفشل أدنى اليها ، وما كانت لتتم البيعة لهم لو لم يفاجأ أبو سلمة
 الخلال بالبيعة للسفاح فغلبوه على أمره دون مهلة وهو بطل الثورة
 والدعوة وما كان بحسب أن يضم العباسيون للأمر حسوا في ارتقاء ،
 وصانعوه بعد البيعة أولا لكي يتم لهم الأمر فاستوزره السفاح ثم
 قضوا عليه عندما وجدوه علوي النزعة لا يتحول عن رأيه ، وعندما
 قضى العباسيون على الدولة الأموية حولوا همومهم وهمومهم إلى الروح
 العلوية في العراق والجزيرة ، فصاروا يسعون عليها بشتى الوسائل ،
 واقواها القضاء على العلويين أنفسهم من لهم ذلك الولاء ، ومع تلك
 المكائد الجمة والحذر الشديد والفنك الذريع في العلوية كانت وثبات
 العلويين في العراق والجزيرة وإيران متواليمة والتشيع يسير سير المتند
 خوف العقبات المعترضة في الطريق أمامه هنا وهناك .

وحين رأى العباسيون أن التشيع يتسع نطاقه ولا تقضى عليه
 تلك المكائد والتدابير القاسية اضطرب بعض ملوكهم إلى مصانعة
 العلويين والشيعة برفع القباب على ضرائح علي وبنية في العراق ،
 والسماح بشد الرجال لتلك المشاهد المقدسة الزيارة والجوار ، بل ربما
 قصدها بعض ملوك العباسية زائرا ، وأصبحت في أيامهم مشاهد أهل
 البيت معمورة بالمجاورين والزائرين وصارت المسام تقام لقتيل الطف
 في عهدهم ، بل وفي عاصمة سلطانهم بغداد .

وساعد على نمو التشيع وانتشاره في العراق أن تكونت من
 الشيعة فيه سلطنات ودول وامارات كسلطنة آل بويه ، وامارة بني
 مزيد في الحلة والنيل ، وبني شاهين في البطائح ، وبني حمدان
 وآل المسيب في الموصل ونصيبين ، وكدولة بعض المغول أمثال محمد
 خدا بنده وابنه أبي سعيد ، وأما محمود غازان فقد قيل بتشيعه
 وهناك امارات عليه إلا أنه لم يصارح به ، وكالدولة الجلائرية التي
 أسسها الشيخ حسن الجلائري أحد قواد المغول وابن اخت محمود
 غازان ومحمد خدا بنده ، وكانت بغداد عاصمة ملكه ، وكالدولة
 الصفوية التي ناصرت التشيع ونشرته في البلاد بشتى الطرق ، فكانما
 هي دولة دينية تأسست لنشر مذهب أهل البيت ، وأيد مذهب التشيع
 أيضا أن انمقدت عدة وزارات من رجاله ، فقد استوزر السفاح أول
 ملوك بني العباس أبا سلمة الخلال الكوفي الهمداني داعية أهل البيت
 وقتله على التشيع ، واستوزر المنصور محمد بن الأشعث الخراساني ،
 واستوزر المهدي أبا عبد الله يعقوب بن داود وحيد التشيع ، واستوزر
 الرشيد علي بن يقطين ، وجعفر بن الأشعث الخراساني ، والمأمون :
 الفضل بن سهل ذا الرياستين لجمه بين القلم والسيف وقتله عندما أحس
 بميله إلى الرضا عليه السلام ، واستوزر من بعده أخاه الحسن بن سهل ،
 واستوزر المعتز والمهتدي : أبا الفضل جعفر بن محمود الاسكافي ،
 واستوزر القمي : أبا شجاع ظاهر الدين محمد بن الحسين الهمداني

وعزله تشيعه ، واستوزر المستظهر : ابا المعالي هبة الدين بن محمد بن
المطلب وعزله تشيعه ثم اعاده على ان لا يخرج من مذهب أهل السنة
ثم تنير عليه وعزله ، واستوزر الناصر والظاهر والمستنصر : مؤيد الدين
محمد بن عبد الكريم القمي من ذرية المقداد رضوان الله عليه ، واستوزر
المستنصر آخر ملوك بني العباس : ابا طالب محمد بن احمد الملقب
بالاسدي واقره هولاء على الوزارة ، ولما مات رحمه الله استوزر :
ولده ابا الفضل عز الدين ، الى ما سوى ذلك .

ولما الامارات واقبادات والكتابة والخزائن فكثرها ، امثال
امارة آق قشمر وآل ابي فراس الشيباني ، وآل ديبس كما امرنا
اليهم ، وقيادة طاهر بن الحسين الخزاعي وقيادة اولاده كآبته
عبد الله ، ومحمد بن عبد الله وغيرهما ، وتوليهام امارة هرات ، وكان
عبد الله بن سنان خازن المنصور والمهدي والمهدي والرشيد ، وكان
من ثقات الرواة لابي عبد الله الصادق عليه السلام ، الى
ما يسر استقصاؤه .

وكذلك برهاننا على ان التشيع كان خارباً اطنابه على بيضة
العراق ما كان من نقابة الطالبين في بغداد ، فما اكثر ما كان
يتولاها الشيعة ، امثال الشريف الرضي وابيه وابنه وأخيه المرتضى ،
وتدولوا المظالم أيضاً ، وتولى الشريف الرضي وابوه أيضاً امارة
الحاج ، كما تولاها ثلاث عشرة حجة حسام الدين ابو فراس جعفر

ابن ابي فراس الشيباني .

وتولى آل طاووس نقابة الطالبين في العراق عامة ، تولاها منهم
السيدان العلان رضي الدين وغيث الدين عبد الكريم (١) كما تولى
الارواق في العراق وغيرها مما كانت تحت حكم المغول الخواجا
نصير الله والدين الطوسي طاب ثراه ، وعندما قبض عليها اقام ينداد
وتصفح الارواق وأدر اخبار الفقهاء والمدرسين ، وقرر القواعد في
ارواق واصلاحها بعد اختلالها (٢) ومن بعده تولاها ابنه احمد
فخر الدين ، ولما وليها حذف الحصة الدبوانية في الوقوف ووفرت
على اربابها (٣)

بل نسب التشيع الى بعض ملوك بني العباس أنفسهم كأمون
والمنتصر ولم يثبت ذلك ، نعم انما صح انتساب التشيع الى
الناصر لدين الله فحسب (٤) وآثاره صريحة في التشيع وهي كثيرة

(١) انظر - الحوادث الجامعة - في حوادث عام ٦٦١
وما ذكره فيها من تولي السيد رضي الدين بن طاووس نقابة
التابعين بالعراق ، وذكر ان وفاته عام ٦٦٤ ، وفي حوادث
عام ٦٩٣ قال : وفيها توفي النقيب غياث الدين عبد الكريم
ابن طاووس .

(٢) انظر تاريخ - مختصر الدول - للعربي ص ٥٠٠ ،
و - الحوادث الجامعة - في حوادث عام ٦٧٢ .

(٣) انظر « الحوادث الجامعة » في حوادث عام ٦٨٣ .

(٤) ولد عام ٥٥٢ ، ومات عام ٦٢٢ . فتكون مدة سلطانه

سبعاً واربعين سنة .

سبداً ، ومن تلك الآثار الخالدة الى اليوم العمارة في سرداب القبية
في سامراء ، وعند الانتهاء من السرداب صفة وعليها باب من خشب
الساج بديعة النقش وقد استدارت حوله كتابة محفورة في ذلك
الخشب الساجي متواصلة بالنقوش فيه ، والكتابة بحروف واسعة
جاية يقرأها كل أحد وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم . قل لا اسألكم عليه أجرأ إلا المودة
في اقربى ومن قترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور ،
هدا ما امر به الله سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على جميع الانام
ابو العباس احمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين ،
الذي طق البلاد عدله ، وعم العباد رأفته وفضله ، قرن الله أوامره
الشريفة باستمرار النجاح والنشر وناطها بالناييد والنصر ، وجعل
لايامه المحلدة حداً لا يكبو جواده ، ولا آرائه المجددة سبداً لا يخبو
زاده ، في عز تخضع له الانذار فيطيعه عوامها وملك خشع له الموك
في ملكه نواصيها ، بتلي المملوك محمد بن عبد الحسين بن معد الموسوي ،
الذي برحو الحياة في أيامه المحلدة ، ويتشنى انفق عمره في الدعاء
لدولته المؤبدة ، استجاب الله ادعيته وبلغه في ايامه الشريفة امنيته ،
من سنة ست وثمانية الهلالية ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله
على سيدنا خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين وعترته وسلم تسليماً .

وكتب بخط كوفي جميل في وسط الصفة في مستديرها على

الجدار وذلك الخط محفور من خشب الساج أيضاً :

بسم الله الرحمن الرحيم ، محمد رسول الله ، أمير المؤمنين علي
ولي الله ، فاطمة ، الحسن بن علي ، الحسين بن علي ، علي بن الحسين ،
محمد بن علي ، جعفر بن محمد ، موسى بن جعفر ، علي بن موسى ،
محمد بن علي ، علي بن محمد ، الحسن بن علي ، القائم بالحق ، عليهم السلام ،
هذا عمل علي بن محمد ولي آل محمد رحمه الله .

وليس يدع تشيع الناصر لدين الله واعلانه بالتشيع ، وإنما
العجب بقاء هذا الأثر البدع حتى اليوم - وهو من خشب - مع تطاول
السنين واختلاف الأيدي عليه ، وتماقب الدول المتحاربة .

ومن دلائل تشيعه ان جعل المشاهد المقدسة أمناً لمن لا ذنبها ،
فكان الناس يلتجئون اليها في حاجاتهم ومهماتهم وجرائمهم ، فيقضي
لهم الحوائج ، ويسمعهم فيما أهمهم ، ويعفو عن جرائمهم .

ومن آثار تشيعه ما ذكره ابن الفوطي في الحوادث الجامعة في
حوادث عام ٦٧٢ ص ٣٨٠ بعد ان ذكر وفاة الفيلسوف العظيم
الخواجه نصير الدين الطوسي وانه دفن في مشهد الامام موسى بن جعفر
عليهما السلام قال : دفن في سرداب قديم البناء خال من دفن ، قيل
انه قد عمل للخليفة الناصر لدين الله .

وظهوره في التشيع صار الناس يتقربون اليه باعلان التشيع ، كما
كتب اليه ابو الحسن علي بن صلاح الدين يوسف الأيوبي بشكوه

أبا بكر وأخاه عثمان ، حيث خدرا به ، ونكثا عهد أبيه .

مولاي إن أبا بكر وصاحبه
وهو الذي كان قد ولّاه والده
فخالقاه وحلا عقد يمينه
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف اتى
من الاواخر ما لاقى من الاول
فاجابه الناصر :

وافى كتابك يا ابن يوسف معلنا
بالصدق بخبر ان أصلك طاهر
غصبوا عليك حقه إذ لم يكن
بعد النبي له يثر بناصر
قام برقان غداً علي حسابهم
وابشر فناصرك الامام الناصر
وهذه بعض آثاره الناطقة بصراحته في التشيع .

وما انتشر التشيع في العراق دون أن يلاقي النكبات والكليات
في أكثر ادواره فمن أيام بني أمية وقد أشرنا فيما سبق الى شيء من
أعمالهم مع الشيعة ، الى أيام بني العباس ، غير أنها تختلف فيها شدة
وضعفاً ، ولو استنطقت الناريخ لاجابك عن بعض تلك التوازل
بالتشيع ، ويكفيك أن تقرأ من تاريخ أبي النداء ما جرى في حوادث
عام ٣٦٢ قد قال : وفي هذه السنة احترق الكرخ - وهي محلة شيعية
محضة - احترقا عظيماً ، وذكر سبب ذلك الى ان قال فركب الوزير
أبو الفضل لاخذ الجناة وارسل حاجباً له يسمى صافياً في جمع لقننل
العامة بالكرخ ، وكان شديد التعصب على الشيعة ، فالتقى النار في عدة

أما كن من الكرخ فاحترق احترقا عظيماً ، وكانت عدة من احترق
سبعة عشر ألف انسان ، وثلاثة دكان وكثيراً من الدور ، وثلاثة
وثلاثين مسجداً ، ومن الاموال ما لا يحصى .

ويغنيك بن ابن الاثير ان تستعرض ما جرى في عام ٤٠١
و ٤٠٦ و ٤٠٨ ، و ٤٤٣ ، و ٤٤٤ ، الى كثير سواها حتى قال عن
حوادث عام ٤٤٣ : وجرى من الامر الفظيع ما لم يجر مثله في الدنيا .
ولو قرأت من كتاب (المنتظم في تاريخ الملوك والامم) لابن
الجوزي (ج ٨) ما جرى من الحوادث في عام ٤٤١ وما بعده
لعرفت كيف كانت الحال التي تجري الدموع دماً ، وقتلت الاكباد
الدماء ، ولقرأت ما جرى على الشيعة من القتل والتهب وعلى مساجدها
من المدم ، وعلى مشاهدتها من الاساءة ، وعلى تلذذها من الاهانة
حتى ذكر في حوادث عام ٤٤٨ قتل أبي عبد الله الجلاب شيخ
البرازين بباب الطاق وصلبه على باب دكانه بدعوى انه يتظاهر بالقلو
في الرفض ، وهرب أبي جعفر الطوسي ، ونهب داره ص ١٧٢ وذكر في
حوادث عام ٤٤٩ في صفر ان دار أبي جعفر الطوسي منكلم الشيعة
بالكرخ كبرت ، فأندما وجد من دقاته وكرسي كان يجلس عليه
الكلام واخرج الى الكرخ مع ثلاثة مجانيق بعض كان
الزوار من أهل الكرخ فديماً يحملونها معهم اذا قصدوا زيارة الكوفة
فاحرق الجميع ، الى غير ذلك من الحوادث المؤسفة ، ولو استقرت

« الحوادث الجامعة » لابن الفوطي على صفحته ، لذلك على عدة حوادث وقعت في بغداد ، ومنع المعتصم على ضعف سلطانه : شيعة أهل البيت من قراءة مقتل الحسين عليه السلام في محلة « الكرخ » و « المختارة » وسائر المحلات الشيعية من جانبي بغداد ، انظر حوادث عام ٦٤١ و ٦٤٨ و ٦٥٣ الى غيرها مما سبق ولحق .

ولا أمل عما صنعه الثمانيون بالشيعية يوم اغتصبوا العراق من الصفوية في المرة الثانية عام ١٠٤٧ من قتل ونهب واعتداء على الابرياء وتعذيب لهم واحراق الكتب ، ولو سألت التاريخ عما شاهده الشيعة في العراق من رجال السلطات في عهود الظلمة والظلم : لاجابك وهو يشرق بالريق من الالم ويسجل لك الحال بمداد الدم ، وما ذلك العهد يميند ، وقد ادر كنا بعض أيامه ، وجري بعض من تركوه من خصالهم عالة على العراق على تلك السيرة .

ونتم البحث عن الشيعة في العراق بذكر الكثير من بلادهم الشهيرة كما ستقرأ :

الكوفة

تأسست الكوفة عام ١٧ هـ ، ومر زمن طويل والكوفة تعدا كبير حاضرة في العراق ، ومرت عليها ادواز شتى في العمران من الارتفاع والانحطاط ، وهكذا كان شأن التشيع فيها ، فتراه مرة يكاد ان

يخيم على المدينة كلها كما كان ذلك ايام أمير المؤمنين عليه السلام و ايام آخر ، وتارة يسلم عليه اعداؤه سيف الانتقام فيقتضاهل أمره ويستتر بين الغرف والبيوت كما كان ذلك ايام زياد وابنه والحجاج وامثالهم من امراء الجور والافتساف ، وهي على اختلاف حال التشيع فيها من افراع شجرته مرة وذبولها اخرى تعد من امهات المدن الشيعية .

وكانت أوائل الغيبة الكبرى بلدة عامرة ، غير انها لم تكن بتلك السعة والحضارة اللتين كانتا على عهد المنصور وما قبله ، واستقل بها التشيع في اقرون الوسطى من ايام بني العباس أي بعد القرن الثالث والرابع من الهجرة وذلك عندما أصبحت النجف و كربلاء بلدين عامرين محاطين باقبائل الشيعية الخيمة على ضفاف الفرات . وما زالت الكوفة قائمة وفيها يخفق علم التشيع الى ان حبس عنها الماء - تيمورلنك - فعاقلها أهلها فخربت .

ولما دنا منها الحرجى العام لما الفرات عادت الى بعض عمارتها على ضفة النهر منذ عهد قريب ، وهي اليوم شيعية خالصة ، كما خلعت للتشيع قبل خرابها .

بغداد

حول المنصور عاصمة ملكه من الكوفة الى المدائنية (١) ومنها الى بغداد ، وكانت المارة والحضارة تسيران خلف الركاب المائي ، شأن سائر البلاد التي تكون عاصمة الملك ، سوى انهما لم ينتقلا عن بغداد الى سامراء يوم انتقل العرش اليها ، وان أصبحت سامراء من أهم العواصم العراقية .

انتقل المنصور الى بغداد بحاشيته وحيشه وانتقل الناس معه فتمصرت وناطحت قصورها السحاب ، واتسع جانبها بالقصور والابنية الفخمة بامر ع وقت ، وكما ياترى كان في دائرته وحاشيته وفي الجند والناس من الشيعة ، فما وضع المنصور الحجر الاساسي لبغداد إلا رققت دامة التشيع فيها ، واستمر يتسع شأنه في كل قطر ومصر فخرم فيه نواته ، وما مضى عهد طويل على تمصير بغداد إلا وصارت بعض محلاتها خالصة في التشيع لا يشاركه فيها أحد من غيرهم كحلبة الكرخ ، وما جاء القرن الرابع إلا والتشيع رفيع المنار في بغداد ، رغم

(١) وبها كانت سجون ابن الحسن حتى قضى اكثرهم بالسجن ، ولحبس الناس عنهم وعدم الخبرة بحالهم لا يدري كيف قضوا فيها ، اكان قتيلا وعى أي اصنافه ، ام جوعا ، ام حتف انوفهم .

مقاومة الدولة العباسية له ولائمة من أهل البيت ، وما نبغت سلطنة آل بويه بفارس في هذا القرن ، وقبضت على صولجان الحكم ببغداد إلا وتعاقد فيها العلم والملم وتناصر في خدمة مذهب أهل البيت السيف والقلم ، فقد اجتمع في بغداد على ذبوعه وتقويته نوابغ العلماء وسلاطين آل بويه ، وكانت بغداد آنذاك عاصمة العراق في تدريس الفقه الجعفري وعلم الكلام وغيرهما من العلوم الخاصة بمذهب آل محمد والعلوم العامة لأهل الاسلام ، فقد نفع فيها من علماء الشيعة رجال تمقد عليهم الخاصر امثال ابن قولويه والشيخ الفيد والشريفات والشيخ الطوسي ، هذا سوى من كان في اخريات عصر الأئمة ونواب الغيبة ومثل الكليني رضوان الله عليهم جميعا ، وكانت رئاسة التدريس تنقل من واحد لآخر من اولئك الافذاذ جهابذة العلم ، ولهم الأيادي المشكورة في خدمة الدين ومذهب أهل البيت ، فقد اجتمع لديهم وسائل عديدة لنشر لواء التشيع ، من الشرف والصلاح ، والتضلع في كل علم ، والتأليف فيه ، وتقاطر طلاب العلوم على حوزاتهم التدريسية ، ومعاودة آل بويه للكثير منهم .

واما آل بويه فقد كانت خدماتهم حلي لمذهب آل محمد صلى الله عليه وآله لا يأتي عليها المد ، شجعوا هواة العلم ورجاله من جهاته اجمع ، اعزازا وتجيلا ، وسخاء لهم بوافر الاموال ، ونشر الكتب والمكافاة بالجزيل على تأليفها ، الى غير ذلك .

ورفعوا القباب على الضرائح المقدسة ، وبنوا حولها الدور
والمساكن ، وحشوا الناس على استيطانها ، واجروا المياه اليها ،
واسعفوا الساكنين حولها بالرواتب والهبات ، فصارت الشيعة في
أيامهم تتسابق مشاة وركبانا لزيارة تلك القبور من أئمة أهل البيت ،
وتوارد المجاورة تلك المراقد من كل - دب وصوب .

واقاموا المساكن لتقبل الطف حتى ان معز الدولة آل بويه أمر
الناس في العاشر من المحرم ان يغلقوا دكاكينهم ، ويطلوا
اليهم والشراء ، وان يظهروا النياحة ، ففعل الناس ذلك حتى خرجت
النساء ناشرات الشعور مسودات الوجوه ، انظر الكامل لابن الأثير
في حوادث عام ٣٥٢ .

وكانوا في يوم الغدير - الثامن عشر من ذي الحجة ، وهو
اليوم الذي أقام فيه رسول الله عليا اماما ومولى لكل مؤمن ومؤمنة -
يصنعون فيه ما لا يصنعونه في عيد سواء من اظهار الجدل والفرح
ونشر أعلام الزينة ، وصنع الاطعمة الطيبة وبسطها للرائح والغاد ،
ولبس الثياب الفاخرة ، والاكتثار من الاتفاق والهبات ، الى ما سوى
ذلك من اعلاء شأن هذا اليوم ، وتبهم على ذلك الشيعة في بغداد
وسائر البلاد ، والفاطميون في مصر ، فكان اليوم العاشر من
المحرم يوم بكاء وجزع ، واثامن عشر من ذي الحجة
يوم سرور وجور ، الى أمثال ذلك مما توفى له آل بويه من اقامة

الشعائر الدينية ، وترويج مذهب أهل البيت .

وبعد أيامهم بعام حدثت فتنة عظيمة بين الشيعة والسنة ببغداد انتقل
على أثرها شيخ الطائفة الطوسي بحوزته العلمية الى النجف الأشرف
عام ٤٤٨ ، إذ لم تعد بغداد صالحة لمقامه فيها ، ولم ينبغ بعده ببغداد من
علماء الشيعة مثله رجل عظيم الشأن في العلم والفضل ، ولم تعد عاصمة
للتدريس كما كانت في أيامه ومن قبل هذه .

وما زالت بغداد بعد البويهيين بين مد وجزر من ناحية التشيع ،
لان الحكم ما زال عنانه بأيدي أعدائه من بني العباس ورجال
دولتهم ، وما زالت سياسة ملوكهم مذهبية تحارب أهل البيت
وأولياءهم ، سوى ما كان من عهد (الناصر لدين الله) ولو لم تكن
البواعث لنشر التشيع حجة لكان مقهورا لسياستهم أبدا ، واستقامت
سياستهم على ذلك النهج حتى على عهد المستعصم مع استفحال أمر
التشيع في عهده وضعف سلطان بني العباس في أيامه الى أن جاءها
(هولاكو) فخرف تلك الدولة وعادت أثرا بعد عين ، وبقي التشيع
ثابت الاساس رفيع البناء - وما تشاؤون إلا ان يشاء الله -

وصار التشيع بعد أيام العباسية يقوى في العدة والعدد والمذهب
في بغداد ، فانه لم تحكم العراق بعد العباسيين الى عهد العثمانيين دولة
تحارب التشيع ، اما المغول فهم بين من اطلق حرية الاديان والمذاهب
كافة ، كهولاكو نفسه وهذا وحده خليف بظهور التشيع وانتشاره ،

وبين من أسلم وتشيع مثل نيقولاوس بن ارغون بن بغا بن هولاكو
وتسمى بمحمد خدابنده ومثل ابنه ابي سعيد بهادر خان ، وبين من
اسلم ونسبوا اليه التشيع وان لم يصارح به مثل غازان المسمى بمحمود
اخى محمد خدابنده ، وبين من لم يطل عهده ليعلم حاله مثل تكودار بن
هولاكو المسمى باحمد وهو أول من ملك بعد هولاكو .

واما الدولة الجلائرية الايلخانية التي حكمت العراق بعد المغول
فهي شيعية بجملة ، ولها آثار مهمة في التشيع ، ورأس هذه الدولة
الشيخ حسن الجلائري ، وكان وآبؤه من امراء المغول وأمه ابنة
ارغون اخت محمود ومحمد وله آثار قيمة في المشهدين العلوي والحسيني
من بناء الدور والمنازل وغيرها ، واما ابنه الملك أويس فهو الذي
بنى الحرم الحسيني القائم اليوم وكان عام ٧٦٧ ، وتولى الحكم عام ٧٥٧ ،
ومات عام ٧٧٦ ، وفي أيامه بنى الخواجه - مرجان - المدرسة المرجانية
وجعل في وسطها مسجداً كبيراً وإلى اليوم قائم ويعرف بجامع مرجان
واستقل مرجان ببغداد - وكان والياً عليها - لما سار الملك أويس
لاسترجاع آذر بيجان وكانت تحت سلطانه وقد عصت عليه فترك
وجهه وعاد واستنقذ بغداد من مرجان وقبض عليه وحبسه ، ثم تم
بقتله فتشفع فيه علماء بغداد واشرافها وكان محبوباً لديهم فعفا عنه
وأطلقه من السجن ثم أرجعه إلى محله من ولاية بغداد وبقي في منصبه
هذا إلى ان مات عام ٧٧٥ .

واما الدولة الصفوية فهي الدولة العلوية الشيعية التي خلد التاريخ
خدماتها المذهبية وآثارها في اقامة الشعائر الاسلامية ، وتعزيز المراقدة
المقدسة وعلماء الدين ورجال الاصلاح .

وأول من استولى على العراق من الصفوية هو الشاه اسماعيل أول
ملوكها وكان في عام ٩١٠ واحتله العثمانيون من الصفوية لأول مرة
عام ٩٤١ أيام الشاه طهماسب الاول ابن الشاه اسماعيل وأيام السلطان
سليمان القانوني ، ثم استرجعه الشاه عباس الاول عام ١٠٣٢ ، ثم
استلبه العثمانيون للمرة الثانية عام ١٠٤٥ أيام الشاه صفى والسلطان
مراد خان الرابع .

ولا تسلم عما لقيته الشيعة من ذريع الفتك عندما استلبه العثمانيون
في هذه المرة ، وهذه النكبة الكبرى احدى النكبات الفظيعة التي
شاهدها الشيعة في ادوار حياتهم من جراء المذهب وما اكثرها .
ولما خلع العراق للعثمانيين بعد الصلح بينهم وبين الصفويين
استمروا على سياسة التضييق على الشيعة ومقاومة مذهب آل البيت
في العراق وغيره ، على ان العثمانيين عاهدوا الصفوية في الصلح
باطلاق الحرية للشيعة في العراق وحماية المشاهد المقدسة ولم يكن
العثمانيون من تلقاء انفسهم شديدي التعصب على الشيعة ، وانما كان
ما يقع منهم باغراء مناوئتهم من العراقيين وغيرهم بل ربما كان من
هؤلاء رأساً عندما تكون لهم امرة وسلطة ، أو يكون لهم شأن وجاه

عند الحكومة ، واستترت الشيعة بحصون التقية طيلة الحكم العثماني ،
ولولا اعتصام الشيعة بآيران لكانت السلطة التركية باغراء اولئك
المتعصبين عذابا صبا عليهم .

كان المذهب الرسمي لحكومة تركيا حنفيا وبه يقضون في العراق
على الشيعة وغيرهم ، فكانت مقاومتهم للمذهب الجعفري في البلاد
الوسطى والجنوبية منه سرية في اكثر الزمن وعلنية في بعض
الاحايين ولولا ان هذه البلاد كلها شيعية لكان سياستهم اثر
كبير على التشيع بعد السنين الطوال ، ومن ثم قضوا أو كادوا يقضون
عليه في شمال العراق لقلة الشيعة فيه وعدم تواصلهم مع اخوانهم في
الجنوب ، وما عرف الشيعة هناك أنهم شيعة إلا بعد ارتفاع السلطة
العثمانية فوجدتهم رجال العلم الذين طرقت تلك البلاد لا شيعة ولا غلاة
ولا سنة ، قد أخذوا من كل مذهب بطرف وما عادوا بعضهم الى
التشيع إلا بعد جهاد وجهود على أنه ما استقر على التشيع الصحيح
إلا ناشئتهم دون الشيوخ الذين فنحوا أعينهم على ذلك العهد القامي
الجائر الذي حتم عليهم التحول عن مذهب أهل البيت ، دون ان
يكون عندهم علماء مرشدون يقضون عليهم بيد من حديد .

وكان العثمانيون أنفسهم - مع تلك المقاومة للشيعة من أمرائهم
الأتراك الصميمين - يصانعون الشيعة أو قل يحترمون بعض الاحترام
أهل البيت ، فقد يجرون تعميرات في العتبات المقدسة ، ويזורها

بعض ولائهم من الأتراك ، وفيهم بعض الصوفية ، والصوفية هم الذين
يزعمون أنهم يمتنون بالطريقة الى بعض أهل البيت يحترمون المشاهد
الكريمة احتراماً عظيماً وكنا نرى بعض الزائرين منهم المسمين
بـ (البكتاشية) الذين ينزلون بالنكاياء المعدة لهم في العتبات المحترمة
والتي لها أوقاف وجرايات من الدولة لضيافتهم وعلى رؤسهم طرايش
لها اثني عشرة زاوية وكان ذلك في العهود السابقة علامة الاتساب
الى الأئمة الاثني عشر ، وهؤلاء على انسابهم في الطريقة لأهل
البيت كانوا محترمين لدى حكومة آل عثمان وهل ذلك لتصوفهم
أو لانهم أتراك مثلهم ، وعلى أي حال يتجلى لنا من هذا أو غيره ان
آل عثمان بطبعهم لا يحقدون على الشيعة ولا يقاومون مذهب أهل
البيت بصرامة ، وإنما كانت تلك المقاومات والدعايات ضد التشيع
و ضد مصدره أهل البيت بسبب المغربين لهم أو من المغربين أنفسهم ،
ولذلك نجد ان تلك الروح لم تمت عندما انجلي الأتراك عن العراق
وبقي فيه حثالة من موظفيهم وما كانوا غير عرب أو عرباً مستتر كين ،
ولا نجد فيهم تركاً مستعربين إلا نفراً قليلاً لم يجدوا لهم ملجأ
في تركيا ، ولو أردنا ان نشرح حال الشيعة على عهد آل عثمان
وما لاقوه من سوء ونكابة لطال بنا القول وخرجنا عن
الابحاز المقصود .

ولما قضت بريطانيا على آل عثمان في العراق وانتقل حكمه الى

الشرقاء واشتركت في ادارة البلاد رجال من الشيعة تنسحت رويداً رويداً تلك الظلمة القائمة من خلق الحرية لمذهب آل محمد عليه وعليهم السلام من سماء بغداد وسواها من مدن العراق .

الحزب

أسسها سيف الدولة صدقة بن منصور المزيدي (١) قال ياقوت

(١) بنو مزيد ولاية النيل ، ومزيد الاسدي جدهم ، وربما يقال لهم : بنو ديبس نسبة الى جدهم القريب ديبس بن علي بن مزيد ، واول من تولى النيل منهم ابو الحسن علي بن مزيد الاسدي ، ولاه عليه سلطان الدولة البويهية عام ٤٠٣ وخلع عليه ، كما ذكر ذلك ابن الاثير في حوادث هذه السنة ، وولي منهم سبعة نفر كان آخرهم علي بن ديبس وقد مات عام ٥٤٥ وبموته انقرضت اماراتهم بعد ان استقامت ١٤٢ عاماً ، وكانت امارتهم لا تتجاوز النيل ولكن سيف الدولة هذا باني الحلة السيفية علا شأنه وعظم قدره حتى فتح البصرة واستولى على الكوفة وامتد سلطانه الى هيت وتكريت ، وفي ايام نور الدولة ديبس حدثت فتنة عظيمة ببغداد بين الشيعة والسنة في عام ٤٤٣ حتى قال ابن الاثير (٩ : ٢١٥) في الحديث عنها . وجرى من الامر الفظيع ما لم يجر مثله في الدنيا ، وقال . ولما انتهى خبر احراق المشهد - مشهد الامامين الكاظمين - الى نور الدولة ديبس بن مزيد عظم عليه واشتد وبلغ منه كل مبلغ لأنه -

الحموي في معجم البلدان في (الحلة) : « وكانت منازل آبائه - أي سيف الدولة - الدور من النيل ، فلما قوي أمره واشتد ازره وكثرت أمواله ، لاشتغال الملوك السلجوقية بركياروق ومحمد وسنجر أولاد ملك شاه بن الب أرسلان بما تواتر بينهم من الحروب انتقل الى الجامعين موضع في غربي الفرات ، ليبعد عن الطالب ، وذلك في محرم سنة ٤٩٥ ، وكانت اجمة تأوي اليها السباع ، فنزل باهله وعسكره ، وبني بها المساكن الجليلة ، والدور الفاخرة ، وتأثق اصحابه في مثل ذلك فصارت ملجأ وقد قصدها التجار ، فصارت آخر بلاد العراق واحسنها مدة حياة سيف الدولة فلما قتل (١) بقيت على عمارتها فهي الى اليوم قصبة تلك الكورة »

فالحلة شيعية من يوم تأسيسها ، واستقامت على التشيع الى اليوم ، وكانت مهبط ذوي العلم والادب ، وعظم شأنها في تدريس الفقه

- واهل بيته وسائر اعماله من النيل وتلك الولاية كلهم شيعة فقطعت في اعماله خطبة الامام للقائم بامر الله فعوتب في ذلك فاعتذر بان اهل ولايته شيعة واتفقوا على ذلك فلم يمكنه ان يشق عليهم كما ان الخليفة لم يمكنه كف السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا .

(١) قتل في المعركة التي جرت بينه وبين محمد ملك شاه ، لما اجار سيف الدولة سرخاب بن كيخسرو الديلمي عام ٥٠١ وامتنع من تسليمه لمحمد ملك شاه .

الجعفري وسائر علوم الدين حتى صارت عاصمة التدريس في علم
أهل البيت في العراق زمناً طويلاً ، وخرجت من اعلام الفقهاء والعلماء
عدداً لا يأتي عليه الحصر ، وفيهم امثال ابن ادريس وابن نما وآل
طاووس وهم عدد جهم ، وآل سعيد ومنهم المحقق والعلامة وابوه
وابنه ، الى غير هؤلاء مما يكل عن عدم اسان القلم ، وقبور الكثير
منهم باقية في البلد وما زالت معمورة حتى اليوم (١)

ولما احاط هؤلاء كوي بغداد جاءه وفد من الحلة والمشهدين
العلوي والحسيني مؤلف من اكابر الفقهاء والعلماء مع محمد الدين
محمد بن طاووس الموسوي ، وسألوه حقن دماهم ، فاجابهم الى ما طلبوه
منه ، فملت الحلة والنيل والمشهدان المقدسان مما ابتليت به بغداد ،
كما هو مذكور في عمدة الطالب والحوادث الجامعة في حوادث عام ٦٥٦
وفي غيرها .

وبقيت الحلة منهلاً لوراد العلم الى ما بعد الالف الهجري ، وبعد
هذا لم ينضب ذلك البلد الطيب من ينبوع العلم ، ولم يجذب من
رياض الادب ، فقد اثمر من الشعراء ما يعجز اليراع عن استقصائهم ،
حتى ليخال ان الشعر قد مازج تربتها فنمت عليه غرس طباعهم ،
وفيهم الكثير من شعراء أهل البيت المجيدين كالشفيهي وابن عرندس

(١) قد توفقت لزيارة الكثير من هذه القبور في أول ذي
القعدة من عام ١٣٦٣ بعد تأليف هذا الكتاب باحد عشر عاماً .

والكوازين وابن القيم والسيد مهدي وابن اخيه السيد حيدر الشهير صاحب
الدبوان والعقد المفصل وامثال هؤلاء ممن تقدم وتأخر .

كربلاء

بلد الكرب والبلاء ، التي جرى على ترابها الدم الطاهر من نحر
سيد الشهداء عليه السلام ، ومن نحر الصفوة من آل ابي طالب ،
والخلص من أنصاره ، وفيها سلبت بنات الرسالة ، ومنها امرئ .
كانت كربلاء قبل حادثة الطف وبعدها الى آمد غير قصير
منزل بني أسد العلويين مذهباً ، والى اليوم يوجد منهم قوم في
ضواحيها ، وهم الذين توفقوا لمساعدة زين العابدين عليه السلام على
مواراة تلك الجثث الطواهر ، وصاروا ادلاء على تلك القبور .

واقامت الابنية حول تلك الضرائح المقدسة على عهد الامويين ،
غير ان الرشيد العباسي هدم ذلك البناء ، وقطع سدره كانت عند
القبر الطاهر يهتدي بها الزائرون الى ضريح سيد الشهداء عليه السلام
ويستظلون تحتها ، روى الشيخ الطوسي طاب ثراه في أماليه في
المجلس الحادي عشر مسنداً عن يحيى بن المغيرة الرازي قال :
كنت عند جرير بن عبد الحميد إذ جاءه رجل من أهل العراق فسأله
جرير عن خبر الناس فقال : تركت الرشيد وقد كرب قبر الحسين
عليه السلام وأمر أن تقطع السدره التي فيه فقطعت قال : فرغم جرير

يُذِيقُهُ فَقَالَ : اللَّهُ اكْبَرُ جَاءَ نَا فِيهِ حَدِيثٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ قَالَ : لَعَنَ اللَّهُ قَاطِعَ السَّدرَةِ ثَلَاثًا ، فَلَمْ تَقِفْ عَلَى مَعْنَاهُ حَتَّى
الآن ، لِأَنَّهُ اقْصِدْ لِقَطْعِهَا تَفْهِيمَ مَصْرَعِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى لَا يَقِفَ
النَّاسُ عَلَى قَبْرِهِ .

قَاعِيدُ الْبِنَاءِ أَيَّامُ الْمَأْمُونِ وَمِنْ بَعْدِهِ (١) وَبُنِيَ حَوْلَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ الدُّورُ وَالْمَنَازِلُ ، وَلَكِنْ الْمُتَوَكَّلُ أَبِي إِلهِ دَمِ هَاتِيكَ
الْعِمَارَاتِ الَّتِي أُقِيمَتْ عَلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ وَقُبُورِ الشَّهَدَاءِ ، وَهَدَمَ الْمَنَازِلَ
وَالدُّورَ الَّتِي حَوْلَهَا ، وَقَدْ أَشْرَفْنَا إِلَى ذَلِكَ فِيمَا سَبَقَ قَاعِيدَتِ أَيَّامِ ابْنِهِ
الْمُنْتَصِرِ وَقَدْ عَاكَسَ سِيرَةَ أَبِيهِ مَعَ الْعُلُوِّ (٢) وَأَشَادَهَا الدَّاعِي مُحَمَّدُ بْنُ

(١) كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ الْعَلَمَةُ الشَّرِيفُ السَّيِّدُ حَسَنُ الْعَصَدِرِ فِي
كِتَابِهِ الْوَجِيزِ - نَزْهَةُ أَهْلِ الْحَرَمَيْنِ -

(٢) قَالَ ابْنُ الْإِثِيرِ « ٧ : ٣٦ » فِي حَوَادِثِ عَامِ ٢٤٨ وَأَمْرُ
- أَيِ الْمُنْتَصِرِ - بِزِيَارَةِ قَبْرِ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَآمَنِ الْعُلُوِّ
وَكَانُوا خَائِفِينَ أَيَّامَ أَبِيهِ وَأَطْلَقُوا وَقُوفَهُمْ ، وَأَمْرُ بَرْدِ فَدَكِ إِلَى وَلَدِ
الْحُسَيْنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَقَالَ : وَذَكَرَ أَنَّ الْمُنْتَصِرَ لَمَّا وَلِيَ
الْخِلَافَةَ أَوَّلَ مَا أَحْدَثَهُ أَنْ عَزَلَ صَاحِبَ بَنِ عَلِيٍّ عَنِ الْمَدِينَةِ . وَاسْتَعْمَلَ
عَلَيْهَا عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ . قَالَ عَلِيٌّ :
لَمَّا دَخَلْتُ أَوْدَعَهُ قَالَ لِي : إِنِّي أَوَجِّهُكَ إِلَى الْحِمِيِّ وَدِدِي وَمَدِّ
سَاعِدِهِ وَقَالَ : إِلَى هَذَا أَرِجُهُ بِكَ فَانْظُرْ كَيْفَ تَكُونُ لِلْقَوْمِ وَكَيْفَ
تَعَامَلُهُمْ . يَعْنِي آلَ أَبِي طَالِبٍ .

وَذَكَرَ « ٧ : ١٨ » أَنَّ الْمُنْتَصِرَ أَنْكَرَ عَلَى أَبِيهِ الْمُتَوَكَّلِ -

زَيْدُ الْعُلُوِّ صَاحِبُ طَبْرِسْتَانَ ، وَقَبِيلُ أَخُوهُ الْحُسَيْنِ ، وَأَقَامَهَا عَلَى
أَجَلِ هَيْئَةٍ وَأَضْحَمَ بِنَاءَ آلِ بُوَيْهٍ ، كَمَا أَشَادُوا جَمِيعَ مَرَاقِدِ الْأُمَمِ
الْأَطْهَارِ فِي الْعِرَاقِ وَمَا زَالَتْ تُشَادُّ هَاتِيكَ الْمَرَاقِدُ الطَّاهِرَةُ بِوَمَا بَعْدَ
آخِرٍ ، وَتَقْتَنَافِسُ فِي عِمَارَتِهَا الْمُلُوكُ وَالسَّلَاطِينُ مِنَ الْجَلَالَةِ وَالصَّفْوَةِ
وَنَادِرِ شَاهِ وَالزُّنْدِيَةِ وَاتَّاجَرِيَةِ وَالْعُثْمَانِيَةِ ، وَلِحُكُومَتِنَا الْحَاضِرَةِ يَدُ
عَامِلَةٍ قَوِيَةٍ فِي الْأَشَادَةِ وَالتَّرْمِيمِ رَاجِينَ أَنْ تَكُونَ يَدَهَا بِيضًا فِي خِدْمَةِ
الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْبِلَادِ .

فَاصْبَحَتْ هَذِهِ الضَّرَائِحُ الْقُدْسِيَّةُ مِنَ الْأَشَادَةِ عَلَى مَا لَا مَزِيدَ
عَلَيْهِ ، وَعَلَى مَا تَرَاهُ بِأَمِّ عَيْنِيكَ مِنَ الْفَخَامَةِ وَالضُّخَامَةِ وَالْإِتْقَانِ .

وَاصْبَحَتْ كَرْبَلَاءُ الْبَلَدِ الْمُقَدَّسِ بَعْدَ وَقَائِعِ فَظِيئَةِ نَهْجِهَا وَأَقْعَةِ
الْوَهَابِيِّ عَامَ ١٢١٦ هـ ، وَقَدْ بَالَغَ فِي حَصَارِهَا ، حَتَّى دَخَلَهَا فَانْحَمَى بَعْدَ
قِتَالٍ عَنيفٍ ، فَارْتَكَبَ مِنْ فِظَائِحِ الْأَعْمَالِ مَا لَا يَبْلُغُهُ الْوَصْفُ ، وَأَسْرَفَ
فِي الْقَتْلِ ، فَلَمْ يَرْحَمْ كَبِيرًا لِكَبْرِهِ ، وَلَا صَغِيرًا لَصُغَرِهِ ، وَقِيلَ : أَنَّهُ
قَتَلَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ عَشْرَةَ آلَافَ نَسَمَةٍ ، ثُمَّ نَهَبَ خَزَائِنَ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ
- حَيْثُمَا شَاهَدَ عِبَادَةُ الْخَنْثِ يُمَثِّلُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ بِرَقِصٍ -
فَقَالَ الْمُتَوَكَّلُ :

« غَارَ الْفَقِي لَابْنَ عَمِّهِ رَأْسُ الْفَقِي فِي حَرَامِهِ »

وَهَذَا وَغَيْرُهُ حَمْلُ الْمُنْتَصِرِ عَلَى قَتْلِ أَبِيهِ الْمُتَوَكَّلِ وَالْفَتْحِ بْنِ
خَافَانَ . وَقَالَ ابْنُ الْإِثِيرِ : أَنَّ الْمُنْتَصِرَ ذَكَرَ لِلْفَقْهَاءِ أَعْمَالَ أَبِيهِ
الْمُسْتَهْجَنَةَ لِيُجْهَلَهُمْ عَلَى إِبَاحَةِ قَتْلِهِ ثُمَّ كَانَ مِنْهُ مَا أَوْقَعَهُ مِنَ الْقَتْلِ .

التي ملأها ملوك الهند والفرس بنقائس الجواهر ، وبعد حين زارها
بعض ملوك الهند فبنى عليها سوراً منيعاً وأقام عليه الابراج ، ونصب
فيها آلات الدفاع .

وذكر الشعراء هذه الحادثة الممضة المحزنة ، ومنهم الشاعر الملقب
الحاج محمد رضا الازري رحمه الله عليه وقد نظم فيها قصائد ثلاث
وكلهن غرر ، مطلع احدها ، وهي محتج بها على ابن السعود
بموجب قاطعة .

ألم يأن ان يصفي الى الحق غافل وبذلك تهيج الاستقامة مائل
وهي تشتمل على ٩٥ بيتاً ، ومطلع الاخرى :

خطب على الطف قد غشى بطوقان فخل عن جانبيه كل بنيان
وهي تشتمل على ١٠٢ وأرخ في بيت الختام هذه الحادثة فقال :
وقال في يومها الادهي . ورخصها في كربلاء دهانا رزوها الثاني
وأما الثالثة فهي تشتمل على ٦٥ بيتاً ، وكل شطر منها تأريخ ،
وهي من غرر الشعر على انها تضمنت مالا يقرى عليه شاعر ، ومطلعها :
اربحا فقد لاحت طلائع كربلاء لنقبر أشلاء ونسعد مرعلا
وفي ختامها يقول :

ونادى به ناعي الصلاح . ورخا لقد عاردتنا اليوم ارزاء كربلاء
ومنها واقعة عام ١٢٤١ يوم ثارت على دولة آل عثمان ، وكان
والي بغداد يومئذ داود باشا فقصدها ولكنه عاد خامراً ، ثم عاد

عنها ومنع عنها اليرة وبعد حصار شديد ظفر بها .

ومنها حادثة عام ١٢٥٨ ، وقد امتنع أهلها عن اداء الضرائب
وكان الوالي نجيب باشا ، فارسل لاختصاصها سعد الله باشا ، ولما
شاهد مناعتها لاذ بالخديعة فارسل اليها منشوراً يتضمن عفو الحكومة
عنهم ، فلما نزلوا عن الابراج والحصون وفتحوا له الابواب أمر
الجيش قهجموا وسلطوا المدافع على جهة السور الشرقية فهدمتها
القنابل ، حتى دخل بجيشه صحن العباس عليه السلام وقتل من لاذ
بالقبر الشريف كما قبل .

وكانت واقعة العثمانيين معهم عام ١٣٣٥ لا تقل فظاعة عن
هذه الحوادث السالفة ولم يستول الماء على الاماكن التي تحصن فيها
الجنود ، فاضطروا للخروج منها .

ودامت كربلاء برهة عاصمة التدريس في العراق لمذهب أهل
البيت الى اوائل القرن الثالث عشر ، وتخرج منها من خول العلماء
الكثير أمثال الشيخ يوسف البحراني صاحب الحقائق ، والاستاذ
الاكبر الاغا محمد باقر البهبهاني صاحب شرح المفاتيح والتعاليق المفيدة
على كتاب (مدارك الاحكام) ورجال المرزا محمد وغيرها ، والسيد
مير علي الطباطبائي صاحب الرياض ، وابنه السيد محمد المجاهد ، وغيرهم
ثم انتقل التدريس منها الى النجف الاثرف على عهد العلامة الكبير
صاحب الكرامات السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي تلميذ الاغا البهبهاني

النجف الاشرف

مرقد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأراه بنوه
ليلاً في بقمته الطاهرة من النجف أخفاء آلقبره علماء منهم أن الدولة
مستكون لبني أمية ، ولا ؤمن من أساءتهم لمركده ، كما لا ؤمن من
الخوارج عليه ، وكان أولاده عالمين بموضعه فقد زاره زين العابدين
سراً وابنه الباقر من بعده على عهد بني مروان ، ولما جاء الحكم
العباسي وجابوا الصادق عليه السلام عدة مرات إلى العراق صار يدل
صفوة أصحابه على موضع القبر فكان في كل مرة يزور فيها المرقد
المقدس بصحب معه بعضهم ، وكان على القبر دكة قد هدمها السيل
فامر الصادق (ع) صفوان الجمال فأعاد بناءها ، فصارت الشيعة من
ذلك اليوم تقصده للزيارة بعد أن عرفه جماعة من رجال الصادق
وبدلالتهم احتدى الناس إلى القبر .

وأول من رفع عليه قبة هرون الرشيد ، ولا أدري لماذا هدم
قبة السبط الشهيد عليه السلام وبنى مثلها على قبر أبيه ، ثم أشاد البناء
عليه الداعي محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان ، وقبل أخوه الحسن ،
ثم جاء آل بويه فعمروه عمارة جليلة هي الغاية في الفخامة والافتان

في ذلك الوقت (١) واجزلوا الصلات والرواتب لسكان ذلك المرقد
المقدس ، وصارت النجف عاصمة التدريس للفقهاء الجفري وجميع
علوم الدين في عهدهم يوم انتقل اليها من بغداد شيخ الطائفة محمد بن
الحسن الطوسي بحوزته العلمية عام ٤٤٨ ، وأجرى له ولتلاميذه
آل بويه نفقات وافية ، ثم انتقل التدريس منها إلى الحلة فكري بلاه ،
ثم عاد إليها فالتقى بكلكله فيها فهي إلى اليوم العاصمة في تدريس علوم
الدين على مذهب أهل البيت ، وخرجت فطاحل من العلماء لا يبالغهم
العد والحصر .

والنجف تأسست شيعية يسكنها أولياء أمير المؤمنين عليه السلام
رغبة في جوار ذلك المرقد العظيم ، وهي من بدء تأسيسها إلى اليوم مصدر
من مصادر التشيع ، وما استطاعت أيدي السياسة المتعاقبة التي
حكمت العراق أن تحول دون المرجعية له والهجرة إليه ، وتحمل
المجاورون شدائد جلي في بعض الأزمات من العطش ومن غزوات
بعض البدو حتى اطمانت بهم الدار وارتوت البلدة .

وسلمت هي والحلة وكربلاء من عادية هولاء كوجنوده ، كما
سلمت من فتك آل السعود وعدوانهم ، ولم تسلم كربلاء من
وحشيتهم وقتلهم .

(١) وبني أبو محمد الحسن بن سهلان سوراً على مشهد أمير المؤمنين
عليه السلام أيام آل بويه عام ٤٠٠ انظر تاريخ أبي الفداء « ٣ :

غزاها السعوديون مرتين كانت الاولى عام ١٢١٦ بعد ما ظفروا
بكر بلاء ، و خافتهم النجف خوفا شديداً لهم بما اجروه بكر بلاء
من فظائع فصدوا لهم وداموا على الحصار برهة فعادت هجماتهم القوية
خاصة بعدما تركوا القتلى الكثيرة .

و كانت الثانية عام ١٢٢١ وقد هاجموا النجف ليلة التاسع من
صفر قبل الصبح بساعة واهلها غافلون لم يسبقهم علم بهذا الهجوم ،
فتسلى بعض الفزاة السور و كادوا ان ينزلوا الى داخل البلد لولا ان
ينتبه لهم اهل البلد و يصلوهم النار حامية ، فرجعوا ادراجهم منهزمين
و تركوا وراءهم من القتلى المدد الجم .

وسلمت من العثمانيين يوم شاركت كرك بلاء في العصيان ، و ما سلمت
من عدوانهم إلا بعد ان سلمت .

ونجت في ارائل الحرب العامة دون اختيها كرك بلاء والحلة بل
دون اكثر المدن العراقية من عادية الاتراك و سوء سلوكهم ، و قد
وئدت لمقاربتهم في فجر اليوم السابع من رجب عام ١٣٣٣ حين لم
تصبر على مضض الضيم ، و عوادي الظلم فظفرت بالجيش التركي
واخرجته من البلد دون ان يحدث فيه ما يكدر صفو الاهلين ، و اما
الحلة و كرك بلاء فقد جاريا النجف في اخراج الترك بعد المقاومة ولكنهم
عادوا اليهما و ما خرجوا منها إلا بعد ازهاق و ارهاق ونهب و سلب
وصلب لا بما الحلة فقد لاقت الم تلاقه بلاد عراقية سواها .

نعم شاهدت النجف شيئاً من الحصار والضنك يوم قاومت
شرذمة منها الانكليز ، و تتلوا حاكمها السياسي والطبيب وبعض
الجنود عام ١٣٣٦ ، فحاصرها الانكليز ما يناهز الاربعين يوماً ،
فما كفوا عن الحصار حتى قبضوا على رجال الحركة ، فصلبوا أحد عشر
نقراً ، و أبعثوا الباقين الى جزيرة (هنجام) و كانت منفي لمن ينضب
عليه الانكليز من العراقيين ، ثم أرجعهم بعد حين ، و كان عدتهم
ثمانين أو حولها .

وهكذا شاهدت بعض الحصار والضيق في الثورة العامة عام ١٣٣٨ .
و ١٩٢٠ م وهذه التوازل التي شاهدتها النجف من الطوارئ التي
قلما تسلم منها بلاد في العالم ، بل ربما كانت أقل من سواها أذى من
بلاد العراق دون بلاد العالم ، وبعض مالا فوه كان من جراء العداء
المذهبي أمثال هجمات آل سعود ، التي عادت بالحنية والخمران .

والنجف منذ قرن ونصف مرجع التقليد لأكثر الشيعة في
اطراف البلاد ، و اليها الهجرة من الهند و ايران و أفغانستان و سوريا
و قفقاسيا - من قبل - و غيرها لتحصيل علم أهل البيت الطاهر ،
و حرت عليها أيام طويلة قبل حرب ١٣٣٢ و طلاب العلوم فيها يربون
على عشرة آلاف ، و عن هؤلاء و سواهم من طلبة العلوم في العتبات
المقدسة و ايران يأخذ العالم الشيعي معالم دينه و معارفه ، و المنبر الحسيني
الاطر الجليل في تعريف الشيعة بأربح الاسلام و أهل البيت و نشر

الأخلاق والفضيلة ، ومن ثم تجد أكثر السواد من الشيعة لا يجهلون الأحكام ويعرفون سيرة الرسول وأحوال عترته وما جرى عليه من المعائب والنوائب ، وقد يقوى كثير منهم على المناظرة والمجادلة في الإمامة وسواها بفضل ذلك التعليم والارشاد من أبناء العلم ، والبيان من خطباء المنبر .

وكانت تركيا تحاول الحيلولة دون نشر هاتيك التعاليم وذلك البيان ، بمساعي مناوئي الشيعة ، لتلايقه الناس من هم أهل البيت ، أو لأن يبقى الشيعة جهلاء فيسهل اقناعهم عن العدول عن مذهب أهل البيت ، ومما اجتهدت بالقوة مرة وبإيوان أخرى لتنفيذ تلك السياسة عادت خاسئة ، لرسوخ تلك المبادئ في صدور أولئك السواد من الشيعة .

ولولا ماسنه الموك من الشفار الحز اوردة الدعاة لمذهب أهل البيت لرأيت مذهب أهل البيت أكثر ذبوعاً منه اليوم ، وذرا الملح على الجرح تلك الأفلام والأعواد المستأجرة التي مازالت ولا تزال تنسب لاوياء هذا المذهب البدع الباطلة والمقالات الفاسدة في العراق وغيره .

وكيف لا يقبل الناس على اعتناق مذهب العترة والعترة أحد الثقلين الذين أمر سيد الرسل بالتمسك بهما ، والعترة هي التي جمعت من الفضائل والفواضل ما لا يدانهم فيها أحد من الناس ، فمن علم إلى زهد إلى دين إلى أخلاق إلى مكارم لا تحصى .

الكاظمية

مرقد الإمامين موسى الكاظم وحفيده محمد الجواد عليهما السلام وكانت تعرف بمقبرة قريش قبل أن يقبرا فيها ، واتخذت مقبرة بعد سكنى بغداد ، وتمصرت بعد أن تشرفت بجسديهما الطاهرين ، وصارت مسكناً للشيعة شأن البلاد المقدسة التي يرغب الشيعة بسكنائها لجوار ضرائح الأئمة من أهل البيت ، لأنهم يرون أن في مجاورة وزيارة تلك المشاهد الكريمة فضلاً عند الله تعالى ، وجاءت من طرفهم أحاديث جمّة تدلهم على ذلك الفضل .

وسكنها الشيعة أيام بني العباس وتمصرت من ذلك العهد ، كما هو الشأن في غيرها من مرافد الأئمة من أهل البيت ، وقد منيت كما مني سواها من مدن العراق الشيعية بشيء من زلازل السياسة المذهبية زمن بني العباس وآل عثمان ، غير أن الشيعة في بغداد كانوا أشد محبة وبلاءاً من شيعة الكاظمية ، وكثيراً ما تسلم من تلك المعارك الدموية المذهبية في بغداد أيام العباسيين والعمانيين على قريتها من بغداد .

نعم حادثة عام ٤٤٣ التي وقعت بين الشيعة والسنة ببغداد والتي قال عنها ابن الأثير : وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجر مثله في الدنيا ، تطاير شررها العظيم حتى بلغ الكاظمية فأحرق قبر الإمامين عليهما السلام



فكانت أبت الناض إلا أن تقتدي بالرشيد والمتوكل في الجرأة على
القاب الرفيمة لأهل البيت .

وقد منع العباسيون الشيعة في محلات بغداد الشيعية كحلبة الكرخ
والمختارة وغيرها عن قراءة مقتل الحسين عليه السلام وإظهار شعار
الحزن عليه ، وقد يحدث الشعب والاضطراب من جراء ذلك المنع إلا
أنهم قد يرخصون ذلك في مشهد الإمامين عليهما السلام ، كما فعل
ذلك المستعصم آخر ملوكهم ، انظر الحوادث الجامعة في حوادث
عام ٦٤١ ، ٦٤٨ ، ٦٥٣ ، وكانت لها أمثال أيام الملوك من أسلافه ،
كما جرى على تلك السيرة آل عثمان في بعض السنين .

وما زالت ولم تزل شأن غيرها من البلاد المقدسة مورداً من
موارد العلم الجعفري ، ونبغ فيها من العلماء الجم الغفير ، ممن كان
منها لعلوم أهل البيت ، ومصدراً لأهل الفضل ، ومقصداً لطلاب
العلم ، أمثال الشيخ أسد الله القسري صاحب المقاييس والوفات
الكثيرة التي أنلفها في داره بالكاظمية ، ولم يسلم منها إلا المقاييس
وشيء قليل سواها ، والسيد محمد بن الأعرجي صاحب المحصول ،
والسيد عبد الله شبر صاحب الوفيات الكثيرة ، والشيخ محمد حسن
آل بسين ، إلى كثير سواهم ممن سبق ولحق ، وقد شاهدت عدة
من أجلة العلماء الذين خرجهم هذا البلد الأقدس أمثال السيد حسن
الصدر والشيخ مهدي الخالصي قدس الله أرواح الجميع .

وانكل من هؤلاء الاعلام ذرية من أهل العلم أصبحت أسراً
واسعة تحفظ بكرامتها وهي ما تزال تقطن بلد الكاظمية .

وقد قطن الكاظمية من آل مظفر في أوائل القرن الماضي عالم
جليل القدر شديد الورع وهو الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد الحسين
ابن مظفر واستقام بها إلى أن توفاه الله ودفن في الرواق الكاظمي
وله آثار تنسب إليه حتى اليوم .

وهي غير ناضبة من الأدب ، وقد نبغ فيها شعراء عديدون أمثال
الشيخ جابر الطائر الصيت وعبد المحسن الكاظمي الذي قطن مصر
وسارت الركان مغنية بشعره وافتخرت الصحف بنشره وفيها اليوم
حركة أدبية مجودة .

سامراء

أسسها المعتصم العباسي عام ٣٢٠ وجعلها عاصمة ملكه وانتقل
إليها بحاشيته وجيشه ، وأنت جده خير بان المنيع يسير مع
الاسلام أينما سار فكم كان بين الجند والقواد والاراء والكتاب من
يحمل بين حنايا ضلوعه ولواء أهل البيت عليهم السلام ، وظهر التشيع
جلياً بعد أن أقام الإمامان فيها ، وشاهد الناس ما لمها من علم وسجيا
حميدة ، ومزايا دلت على أنهما فرعان من شجرة النبوة ووارثان
لذلك العلم الأملئ ، على الرغم من مناوأة العباسيين لهما ، واجتهادهم

في منع الناس من الاجتماع بهما واجتماعها بالناس ، ولكن الشمس
تفيض على العالم اشعة تنمي الضرع والزرع وان حالت السحب
دون ذلك الشعاع .

ويشهد ا ظهور التشيع في سامراء ذلك اليوم ما ذكره اليعقوبي في
تاريخه « ٣ : ٢٢٥ » عن حوادث عام ٢٥٤ و وفاة الهادي عليه السلام
فيها قال : « فصي عليه في الشارع المعروف بشارع ابي احمد فلما
كثر الناس واجتمعوا كثر بكاؤهم وضجتهم فرد النعش الى داره
فدفن فيها » . وهكذا ذكر غيره عند وفاة ولده ابي محمد الحسن
عليه السلام .

وما زال التشيع فيها راسخا قدم الى ان حاربه الابوي في
تلك الجبال ، واقفي اثره بعد امد بعيد - السلطان سليم العثماني -
وجرت على ذلك السياسة العثمانية من بعده ، ولولم يكن الا مراد
الرابع محاربا لشيعة في هذه المناطق البعيدة عن المجتمع الشيعي لكفي في
اخفاء التشيع وهرب الظاهرين من رجاله ، واقد نزع عنها ثلة من
الناس هربا بارواحهم وكان منهم سدة ذلك الحرم المقدس .

ولما فطن فيها العلالة الكبير زعيم اهل الدين في عصره السيد

مرزا حسن الشيرازي (١) استعاد التشيع فيها نشاطه ، وهاجر اليها
كثير من ابناء العلم وارباب المكاسب ، وحينما تضاعف قبل هذا فيها
التشيع زمنا طويلا كان آخذاً بحظ وافر في قبائلها الجنوبية القاطنة
على ضفتي دجلة ، وفي القرى والرساتيق الشرقية الجنوبية التي ينهبها
وبين بغداد .

وما زالت بعد ارتحال السيد الشيرازي عليه الرحمة مهبطاً لبعض
اهل العلم ولم تخل في عهد من عهودها الى اليوم من رجال لهم قيمتهم
العلمية والاجتماعية ، وبسكنها اليوم جماعة من الشيعة من اهل
الحرف والعمل .

وسامراء من البلاد المقدسة التي يؤمها الشيعة لزيارة مرقدي
الامامين الهادي وابنه الحسن العسكري عليهما السلام ، ومنها يزار
المهدي المنتظر عجل الله فرجه لأن فيها مولده ومنشأه ومنها مغيبه ،
يزار من مرداب دارهم ، وفي السرداب آثار قيمة احدها
- الناصر لدين الله - العباسي أشرنا اليها عند ذكره .

(١) كانت وفاته في اخريات شعبان عام ١٣١٢ وحمل نعشه
الى النجف على الاكتاف ، وكل بلد يمر عليه النعش يشيع منه
خلق كثير فما دخل النجف الا وجول النعش جم لا يحصى ،
وخرجت النجف برمتها لاستقبال النعش وتشيعه ، فكان يوم
وروده يوما عظيما مشهوداً قلما يكون مثله .

الموصل وشمال العراق

كان شمال العراق وبلد الموصل كغيرها من مدن العراق التي انتشر فيها التشيع ، وبعض الآثار الخالدة تدل على تلك الروح النامية في هذه البلاد ، ونجد اليوم في المتحف العراقي محراباً حوله أسماء الأئمة الاثني عشر حمل من تلك الناحية ، وكانت قباء الموصل وكر كوك من عهد العباسيين وإلى اليوم من العلويين نسباً وولاءاً ، قال في - الحوادث الجامعة - في حوادث عام ٦٧٤ ص ٣٨٦ : « ان ركن الدين ابن النقيب محي الدين محمد بن حيدر نقيب الموصل سقط بفرسه الى دجلة ببغداد وكانت مجتازاً على الجسر فاصعد الى مشهد علي عليه السلام فدفن هناك وكان شاباً حسن الخلق عمره سبع عشرة سنة وورثه خمس الدين محمد بن عبيد الله الكوفي الواعظ بقصيدة طويلة ذكر عدة آيات منها ، ونحن نذكر يبتين منها وهما : يا ماء ما انصفت آل محمد وعلى كآل الدين كنت المجترى في العطف لم تسعد أباه بقطرة واليوم قد اغرقته في البحر ولولم يكن لنا برهان على تشيع هؤلاء النقباء إلا حمل هذا الشاب الى مرقده جده أمير المؤمنين الذي لا يحمل الجنازة الى جواره سوى الشيعة ، وإلا هذا الشعر الذي رثي به لكفانا عن كل برهان .

وكانت في الموصل ونصيبين امارتان شيعيتان تكونت احدهما

تلقوا الاخرى ، اما الاولى فهي امارة آل حمدان ، وأول أمير منهم أبو الهيثم عبد الله بن حمدان والد سيف الدولة وناصر الدولة ، ووليها من بعده أخوه سعيد بن حمدان والد أبي فراس الشاعر المعروف وقتله ابن أخيه ناصر الدولة الحسن بن عبد الله ، وتربع على دست الامارة من بعده ، واستفحل امره حتى لقبه المتقي العباسي : أمير الامراء ، وبلغ من شأنه أن ألف له الشيخ المفيد طاب ثراه رسالة في الامامة ، وتولى من بعده ابنه عدة الدولة غضنفر (١) وبه اقرضت امارتهم من الموصل وما والاها .

واما الامارة الثانية فهي امارة آل المسيب ، وكانوا أيام بني حمدان امراء نصيبين واخذوا الموصل حرباً فاقروهم بهاء الدولة البويهية ، وعظم شأنهم أيام شرف الدولة أبي المكارم مسلم بن قريش حتى أضاف اليه ديار ربيعة ومضر وحلب ، وحاصر دمشق ، وطعم في امتلاك بغداد ، وكان يصرف جزية اليهود والنصارى الذين في جميع بلاده على الطالبيين وهي كثيرة ، واستقامت امارتهم الى أواخر القرن الخامس .

ولكن صلاح الدين الأيوبي الذي حارب التشيع أينما امتد سلطانه ومن بعده سلالاته هم الذين ضربوه في شمال العراق ، واعقبهم بالضرر المبرح سليم الثاني العثماني ، الذي ذاق الشيعة في أيامه

انواع الاذايا والشدائد ، وشاهدوا في وقتهم ضروب النوائب
والمصائب (١) وعلى نهجه سار مراد الرابع .

والى اليوم يعرف الكثير من الموصليين آباراً في الموصل مثلت
من قتل الشيعة ، وقبوراً اخرى من القتل ، وآخرين اُردم عليهم
البناء ، وهذه الآبار والقبور تقصد للزيارة والنذر .

فمن هؤلاء ، واولئك تضائل التشيع في شمال العراق ، وبقيت منه
بقية أبت لها سياسة آل عثمان أن تأخذ بنصيبها من الحرية في المذهب
بل حملتهم على الرضوخ للمذهب الحنفي ، وحالت بينهم وبين المرشدين
من رجال الشيعة ، فعادوا عارين من المعارف الدينية ، ولا يعرفون
من التشيع غير اسمه .

ولما انقضت غيوم ذلك الزمن المظلم وجدوا فسحة للاتصال
بأبناء مذهبهم من الشيعة وتطوع لارشادهم ثلة من رجال العلم والإيمان ،
ولا تسلم عما لاقت هذه الفئة المتطوعة من قسوة بعض أرباب الحكم
في تلك البلاد ، من حشالة الأتراك الذين تركوهم عالة على العراق ،
وممزة قطع بين الشيعة وأهل السنة ، وما خفت وطأتهم عن أولئك

« ١ » نقل في مجلة العرفان « ٣ : ٧٨٦ » عن فريد بك
صاحب تاريخ الدولة العثمانية ص ٧٤ ، قال امر السلطان سليم
بحصر عدد من الشيعة المنتشرين في الولايات المجاورة لبلاد العجم
بطريقة سرية ، ثم امر بقتلهم جميعاً فقتلوا ، ويقال ان عددهم
كان يبلغ الأربعين الفا .

المساكين ولا عدلوا عن خطتهم الموجهة إلا بعد الالتيا والتي ، وبعد
ان احتج رجال من الشيعة على تلك السياسة البالية المفرقة ، وقد خف
عنهم ذلك الكابوس الثقيل ، وانتشقوا شيئاً من نسيم الحرية الطلق ،
واظهر شطر من الشيعة في الموصل تشيعهم وكانوا متسترين وراء
حجاب التقية ، وبقي حتى اليوم الشطر الاوفر منهم رازحاً تحت تلك
القيود الثقيلة لا يجهرن بالتشيع دؤوباً على تلك السيرة القديمة التي
ملأت قلوبهم رعباً وفيهم اليوم رجال لهم الشأن والشرف ومع تلك
المسكنة ما زالوا سائرين على تلك الخطية ، ولعل تسنن شطر من
الاعرجية في الموصل كان من جراء ذلك الضغط السابق الذي جعل
ناشئتهم تجهل معارف المذهب الجعفري وتنشأ على مذهب اهل التسنن ،
وعسى ان يكون تظاهر السادة آل حيدر بالشمال بالسنية مراعاة
للمحيط حتى تغلب عليهم فاستولى على عقائدهم ، ولا احسب انهم
من أهل السنة قبل انتقالهم من ايران الى شمال العراق ، لانهم يمتنون
بالصفوية وانت تعرف حال الصفوية .

ولا نريد ان نزيد على هذا القدر من تاريخ التشيع في شمال
العراق لئلا يخال اننا نريد من وراء هذا التاريخ نبش الدفائن ونحن
الى الاتفاق هذا اليوم احوج منا اليه قبل هذا اليوم .

والعراق اليوم يتربص به المستعمرون ليستغلوا فترق كلمته سييلاً
لبسط نفوذهم .

البصرة

تأسست البصرة بعد الاستيلاء على مملكة (كسرى) كما تأسست الكوفة عام ١٧ هـ وهي التي أسرع لتلبية الدعوة من عائشة - والعصابة الناكثة - لحرب أمير المؤمنين عليه السلام ، ولقد من أبو الحسن بالغفو عنهم بعد أن استولى على الجند .

وبالبصرة يوم حاربت عليها عليه السلام كان فيها كثير من أوليائه ، وقد وقعت بينهم وبين أجناد عائشة مصادمة انجلت بظفر الأجناد ، ونالوا من عامل أمير المؤمنين عثمان بن حنيف الأنصاري الصحابي ولم يقتلوه حذراً من غضب الأنصار .

ولم تكن البصرة أيام الأمويين من البلاد التي دانت أكثرها بولاء أهل البيت عليهم السلام ومن ثم لم يصبها من عذاب ما أصاب الكوفة من القتل والتشريد والحبس والصلب والهدم والنهب ، إلا ما كان من سمرة بن جندب ، فقد استخلفه زياد أيام معاوية على البصرة ستة أشهر فأكثر القتل فيها فقال ابن سيرين : قتل سمرة في غيبة زياد هذه ثمانية آلاف ، فقال له زياد : أتحاف أن تكون قتلت بريئاً ، قال : لو قتلت اليهم مثلهم ما خشيت ، وقال أبو السوار العدوي : قتل سمرة من قومي في غداة واحدة سبعة وأربعين رجلاً

كلهم قد جمع القرآن (١)

ولأية من أمر سمرة فإنه قد خالف النبي صلى الله عليه وآله في حياته (٢) واعتدى على أبي الحسن عليه السلام بعد وفاته (٣) وكان آخر الثلاثة موتاً ، وقد قال لهم النبي (ص) آخركم موتاً (١) انظر في ذلك الطبري « ٦ : ١٣٢ » وابن الأثير

« ٣ : ١٨٣ »

(٢) وذلك أنه كان له عذق في حائط أنصاري ، وكان الدخول إلى الحائط من دار الأنصاري وكان يدخل بلا استئذان فشكا ذلك الأنصاري إلى النبي (ص) ، فساوم النبي سمرة بالمال وبعذق في الجنة فبقي كل ذلك ، فأمر النبي بقطع عذقه ورميها إليه ، وقال كلمته المشهورة التي هي من جوامع الكلم وأصبحت أصلاً من الأصول الفقهية التي بني عليها كثير من الفروع ، وهي : « لا ضرر ولا ضرار »

(٣) وذلك أن معاوية بذل له أربع مائة ألف على أن يروي أن هذه الآية نزلت في علي عليه السلام وهي قوله تعالى « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو للد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » وأن الآية الأخرى نزلت في ابن ملجم لعنه الله وهي قوله تعالى « ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد » فقبل ذلك ، ولا أدري أي الرجلين أعني - معاوية وسمرة - أجراً على الله ، وعلى الشريعة والكتاب .

في النار (١) وكان على شرطة ابن زياد في الكوفة ايام مجيء الحسين عليه السلام وكان يحرض الناس على الخروج لحرب الحسين « ع » وقتاله وشهد مقتل الحسين عليه السلام (٢) وما مات سمرة حتى اخذه الزمهرير فمات شرمينة ، كما يحكى عن الطبرى .

ودامت البصرة برهة والتشيع فيها قليل ، ولكن كان شائعا في قبائلها ، وكفى ان يكون فيهم مثل يزيد بن مسعود النهشلي صهر امير المؤمنين وشيعته ، الذي لولا حيلولة القدر لنصر الحسين عليه السلام وبين يديه ما يربو على عشرة آلاف مقاتل ولم تمض السنون حتى تغلب حب اهل البيت فيها على المشايعة لبني أمية ، فعادت علوية ، شيعية ، فهي اليوم ومن قبل اليوم بقرن شيعة كغيرها من البلاد العراقية الجنوبية ، ويوجد اليوم فيها على غير مذهب اهل البيت نفر وان قلوا في العدد الا انهم كثيرون بالمسال والملك .

جملة القول في شيعة العراق

لواردنا بسط القول في بلاد العراق جميعا لخرجنا عن تاريخ الشيعة الى تاريخ البلاد العراقية ، فنحن نجمل لك البيان عن الشيعة في العراق بعد ان بسطنا في بعض بلاده فنقول :

ان جنوب العراق شيعة خالصة واثن وجد الخليل في بعض بلاده فلا يكون الا فردا قليلا واما البلاد الشمالية فساكنها على العموم

(١) شرح النهج « ١ : ٣٦٣ »

(٢) نفس المصدر

من اهل السنة الا ان الشيعة فيها يسوا بالقليل ، ولو امنوا الغوائل من اظهارهم لولاء اهل البيت كما يأمن العدد القليل من اهل السنة في الجنوب لعجبت من كثرتهم في تلك البلاد لاسيما في لواء الموصل وكر كوك . واما البلاد الوسطى كالحلة فهي شيعية خالصة سوى افراد معدودين في نفس القصبة ، ولواء بغداد فاكثرته من الشيعة ومثله لواء ديالى ، بعكس لواء الديلم ففيه من الشيعة عدد قليل . وعليه ، فالعراق اليوم سبعة من الويتة شيعة وفيها شوب من غيرهم ، وخمسة سنة وفيها خليط من الشيعة ولواء ان مختاطان يغلب التشيع عليهما ، هذا ما يعرفه المستقرى ببلاد العراق .

ومن ثم لا نحتاج الى استقرار لجميع بلاد الجنوب امثال الكوت والعمارة والفراف وما سواها من بلاد دجلة ، والساوة والديوانية والناصرية وما سواها من بلاد الفرات .

الشيعة في الحجاز

لا ريب في ان ظهور الشيعة كان في الحجاز بلد التشيع له كما يقوله محمد كرد علي في خطط الشام « ٥ : ٢٥١ » فان النبي صلى الله عليه وآله هو الذي حث على ولاء علي واهل بيته عليهم السلام ، وهو اول من سمى اوليائهم بالشيعة ، وفي عهده ظهر التشيع ونسب جماعة بالشيعة ، وقد سبق البيان عن هذا كله في صدر الكتاب ، فكان مبدأ تلك الدعوة وهاتيك التسمية في الحجاز .

و كانت مواقف المرشد الأكبر نبي الرحمة في الارشاد الى التمسك
بوصيه ابي الحسن وباهل البيت حجة لا تحصر ، وكفى منها حديث
الثقلين الذي تفره به في مواطن كثيرة ، والذي روته الصحاح الشهيرة
وغيرها ، ويوم الغدير ، يوم اعلى الرسول الاكرم ذلك المنبر الذي
صنعه له من حدوج الابل ، واصعد معه المرتضى آخذاً بيده ليراه
كل من حضر ، وكانوا مائة الف او يزيدون ، حتى بان للناس بياض
ابطيها .

ان انزال المسلمين في ذلك المكان ودعوتهم للحضور وصنع ذلك
المنبر وصعوده عليه والشمس ضاحية واطالة الخطبة واكثره من البيان
عن فضل علي واهل البيت أمور تستفز المشاعر وتوقظ الغافل لما اذا
هذا الاهتمام والاسراع الى تلك الخطبة وذلك البيان ، لأجل ان
يعلم الناس أن علياً ناصرهم ومحبيهم ، إن هذا الاعلام لا يستدعي ذلك
الاهتمام ، على انه مفهوم للناس حساً ووجداناً ، وما هو معلوم للملا
بذلك الجلاء البين كيف يميزه الرسول « ص » ذلك الاهتمام العظيم
فلو لم يكن لنا من كلامه دلالة على مقصوده لكان من ذلك
الاهتمام بيان ناطق بان القصد أعلى من الافصاح عن هذا الامر البسيط
الوجيز أعني النصرة أو المحبة أو امثالها .

إن الله جل شأنه يقول في مجيد كتابه : « النبي أولى بالمؤمنين
من أنفسهم » حقاً انها لمنزلة عظمى اكرم بها الجليل تعالى نبيه
الاكرم « ص » وما كانت تلك الكرامة الا لصالح الناس أنفسهم ،

لأن الناس لا تهتدي الى جلب المصالح ودفع المضار كما يهتدي اليه
النبي الاكرم فانه لا يفعل شيئاً من ذلك الا عن وحي أو إلهام منه
سبحانه ، وأين ما يراه الله لعباده مما يرونه لانفسهم ، فاذا لم يكن بين
الناس من له تلك الكرامة ليدلهم على الهدى ويردعهم قسراً عن
الردى لا يصيب الناس الرشك كما يريد الله سبحانه ، ولما ان قام الرسول
خطيباً ذلك اليوم قال فيما قاله : ألسنت اولى بالمؤمنين من انفسهم (١)
تذكيراً للناس بتلك الآية الكريمة التي فرضت له الأولوية على المؤمنين
من انفسهم فقالوا : اللهم بلى ، فلما اخذ الاقرار من ذلك الجمع كله
بهذه الأولوية ، قال : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، وهذا نص
صريح بأن تلك الأولوية التي فرضها الجليل له على الناس هي لامير
المؤمنين عليه السلام ، وابن هذا من حمل لفظ المولى على المحب والناصر
ابعاداً للكلام عما هو نص فيه ، وإبعاداً له عما يقتضيه الحال من ذلك
الاهتمام العظيم ، وكيف يتفق هذا الاهتمام الكبير مع تلك الغاية البسيطة
التي يقوم بها أقل كلام وادنى قيام .

فكان هذا الاعلام عن الأولوية جديراً بذلك الاهتمام ، لاسيما
وقد أخبر النبي بدنو أجله وهذا هو وقت التخليف وأقامة النائب

(١) انظر في ذلك مسند احمد ٤ : ٢٨١ و ٣٦٨ و ٣٧٢
و ١٥٥ : ١٥٥ ، والنسائي ص ٢٢ ومستدرک الحاكم ٣ : ١٠٩ و ١١٠ و
٥٣٣ و كنز العمال ١ : ٤٨ و ١٥٣ : ١٥٤ و ١٥٩ و ٣٩٠
الى كثير سواها .

عنه وهذه الاولوية هي من صالح العباد انفسهم وهي فوق الامامة التي ينفذها الناس وكان هذا كله بمسمع ومشهد من اهل الحجاز ، وكان حقيقتهم ان يصبحوا بعد هذا اليوم شيعة للمرضى واولياء له ولكن لم تمض على ذلك اليوم المشهود الا ايام معدودة وأصبح نسياً منسياً ، كأن لم يكن قريب العهد ، ولا شهوده مائة الف ، ولا ذلك البيان يرن صداه في الآذان ، ولا تلك البيعة معقودة ، ولا تلك التهنئة مسبوقة .

ان ذلك اليوم وما قبله وما بعده من الايام التي اظهر فيها المرشد الاكبر فضل امير المؤمنين ومقامه الالهي وشأن اهل البيت كان في الحجاز ، وبين ظهراني اهل ، وبمسمع ومشهد من المهاجرين والانصار وكانت - وما زالت - هاتيك الايات المباركة التي عرفتهم مقامه ومقام اهل البيت الرفيع قتلى بكرة وعشية ، فكان جديراً ان يصبحوا كلهم شيعة علي واهل البيت ، ولكنهم عادوا بعد الرسول « ص » إلباً عليه وحرباً له ، سوى فئة قليلة لا يقوى بها على المكافأة ، وما تمت تلك الفتنة الا على ممر الايام ، وما قويت تلك الروح الضعيفة الا على تطاول السنين ، ومن ثم تجد الناس يتهاوون على طلب البيعة له بالخلافة بعد مقتل عثمان ، فكانوا كما وصفهم هو عليه السلام بقوله : « فمراغبي الا والناس ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطئ الحستان وشق عطفائي مجتمعين علي كريبضة الغنم »

امتنع من اجابة الناس رغم الحاحهم عليه لعله بما ستقبله من

الفتن ابن ولي الامر ، فان التدابير التي اتخذت دونه تقضي بان لا يعود الامر اليه ، أو ان عاد فهو مقرون بالفتن ، فان ترشيح فئة للخلافة اتلعت منهم الاجياد لارتقاء عروشها ، وابو الحسن لا يقتص قبل الجناية ، ولا يهب الألوف ارضاءاً للطامع ، ومثل هذه الخشونة في ذات الله تعالى لا تقمع الفتن ولا تستصلح الناس ، الناس الذين هم دائماً بين الرجاء والخوف .

فكان طرده للناس يزيد في اللجاجة عليه ، فما وجد بداً من الاجابة احتفاظاً بتلك الصبابة من الدين ، والزمرة الموالية من الناس ، وكان يمثل حال الناس ذلك اليوم من طلبهم لمبايعته وامتناعه عنهم قوله عليه السلام من كتاب الى طلحة والزبير : إني لم ارد الناس حتى ارادوني ولم ابايهم حتى بايعوني ، والشواهد على ذلك كثيرة . ولما نهض بالامر لاقى ما كان يحسب ، فاول ما جابهه نكوث طلحة والزبير وخروجهم بمائشة الى البصرة فارنحل بانصاره وشيعته لدره هذا الخطر قبل ان يستفحل ، فان رجال السياسة والحكم فهم للاحداث الداخلية اكثر من الخارجية ، ولما استوطن الكوفة بعد قبح الفتنة ابقى معه أولئك الشيعة الذين خرج بهم فلم يبق في الحجاز من اوليائه الا عدد قليل ، وعندما صار الامر الى معاوية لم يرجع الى الحجاز أولئك الشيعة اللهم سوى شرذمة معدودة ، وبقيت الشيعة الحجازية في الكوفة ، وصارت الكوفة عاصمة التشيع كما صارت عاصمة ملك ابي الحسن عليه السلام .

ولما قضاه لت الشيعة في الحجاز لم هو فيه روح التوسيع الثانية كما
 تمت في سواه من الاقطار ، رغم العوامل القوية التي تقضي بانتشاره
 فيه ، وتلك العوامل هي ان الحجاز التربة الاولى التي عرس فيها شجر
 التوسيع ، والتي قبلت هذا الغرس ، والتي نما فيه واينم واتمر ، والبلاد التي
 حملت ابا الحسن على قبول البيعة ، والبلاد التي كانت مهبط الوحي في فضل
 اهل البيت منبر الرسول في تبليغ الناس فضائل وصيه وآله ، والبلاد التي
 هي موطن الائمة من اولاد امير المؤمنين عليه السلام الى علي الهادي
 عليه السلام ، واليهيم واليهما كانت تشد الرحال من الشيعة في اقطار
 الارض . وشيعته اليوم في القبائل اكثر منه في المدن ، فمن القبائل
 الشيعة بنو جهم وبنو علي (١) وبعض بني عوف ، واما في البلاد
 فيوجد في المدينة المنورة خلق كثير كالتخولة وفي رساتيقها كالعوالي
 ويوجد في المدينة نفر قليل غير هؤلاء ، كما يوجد في مكة المكرمة
 عدد قليل .

و كانت حادثة بين الشيعة وحكومة آل عمان في المدينة مشهورة
 مشهودة ، وتلك الحادثة هي ان في العوالي - وهم من حرب بني علي -
 خلقاً كثيراً من الشيعة قاتلهم منهم الاثراك بالهاء اهل الجرائم وقطاع
 السبل ، فارادت بناء معقل وحصون في العوالي فدافعهم أهلها لانهم
 (١) إن سلسلة النسب التي بأيدي قومنا آل مظفر تشهد
 بان مهبطهم الى العراق من الحجاز وانهم من بني عقيل وهم من بني
 علي هؤلاء .

يستعدون انها حيلة للقضاء عليهم ، فجهزت الحكومة التركية الى الوقعة
 بهم جيشاً ضافى العدة والعدد ، وانتصرت قبائل حرب لبني علي لانهم
 منهم ، ولما زحف الجيش اليهم استقبلوه بدسالة ورباطة جأش قاتلهم
 الجيش والتجأ الى المدينة المنورة واحاطت جموع حرب بالمدينة
 وحاصرتها طيلة شهرين ، ومن هنا تسمى هذه الحادثة (بواقعة الشهرين)
 وقتل بها من الجند عدد كثير ، ولم يصب أهل العوالي أي ضرر ،
 فقد قيل انه لم يقتل في العوالي إلا كلب وعنز ، وكان ابتداء هذه
 الحادثة في الثالث من شوال عام ١٣٢٩ ، ونظم هذه الحادثة وما جرى
 فيها من انتصار الشيعة والتخاذل الاثراك بعض الشعراء ، وارتفع بهذا
 النصر شأن الشيعة المستضعفين القاطنين في نفس المدينة المنورة .

ولما انتهى الحكم في الحجاز الى الملك الحسين بن علي بعد
 الاثراك انعطف على الشيعة لاسيما شيعة حرب منهم ، قاتلهم ساعده
 القوي وسيفه الصقيل ، ولكن لم تذهب على هذه الحال برهة قصيرة
 إلا وزحفت الاخوان اجناد ابن السعود على الحرمين الشريفين فقصت
 على دولة الشريف ، ولا تسل عما جنوه من فتنك وسفك وسلب ،
 واجروه من فظائع وفجائع ، وان الذي ولد فيهم تلك القوة ، وأوجد
 فيهم هذه البسالة ، وجعلهم لا يفرون من الزحف ، حتى استولوا على
 الحجاز وغيره ، هو ان قاندهم الى كوارث هذه الاعمال ملكهم ابن
 السعود قد احكم فيهم هو واسلافه وبعض من ينسب نفسه الى العلم

من أهل نجلتهم للاعتقاد بكفر أهل القبلة من فرق الاسلام كافة ،
واباحة النفوس والاموال منهم ، واستغلوا منهم هذه العقيدة للسيطرة
والملك ، فقصوا ما ربههم بما اودعوه في هذه النفوس الضعيفة المسكينه
من باطل الاعتقاد .

وبهذه الوحشية السكسرة ، وتلك الطباع الفظة الغليظة ،
وهايك القسوة والجفوة ، وذلك المعتقد المستنكر ، ذل جراح أهل
الحجاز ، وقاد حربا قود للدول ، وكانت لا تخضع لسلطة ، ولا تقاد
لدولة ، فلا تسمع للشيعة بل ولا لعيرها . بد تلك الاعمال القافية حسا
ولا حركة ، ولئن دفع البعض من حرب ذل الضيم على الوثبة فما اسرع
ما تقضي عليها أولئك الوحوش الكواسر التي لم تشبع منهم هاتيك
الحروب الميرة ، ولم ترو ظاهم تلك الدماء السوائل .

ولينهم اكفوا بوحشي الاعمال تلك ، دون ان يتعرضوا
لقباب أئمة البقيع وأهل البيت بشيء ، فبتلك المعاول التي هدموا
بها صروح الایمان ، نقضوا قباب آل محمد « ص » وتركوها أثرا
بد عين (١)

[١] كان دخول ابن السعود الى مكة المكرمة اول
عام ١٣٤٤ ، وفي الثامن من شوال هذا العام هدم القباب الشريفة
وجعل الضرائح ارضا بسيطة ، وجعلت الشيعة هذا اليوم يوم
حزن مشهود ، والى اليوم تقام فيه الذكرى لهذه المأساة ، وكنت
من استوحى قريحته في هذا الحادث المؤلم فقلت قصيدة في السنة
الثانية من هدم القبور مطلعها :

لمن ابقيت وكاف الدموع اما تبكيك فاجعة البقيع

فاذا كانت هذه حرمة أهل البيت وساداتهم عندهم فكيف
يكون شأن شيعتهم واوليائهم ، ولا تبنى لحال الشيعة والمسلمين في
الحجاز فحسب ، بل لحالهم في البلاد الاخرى التي امتد اليها سلطانهم ،
كالقطيف وقطر والحساء ، فلقد سلبوا أموال الكثير منهم وتسلبوا
على انفسهم ونفائسهم ، وقهروهم على النظار بما هم عليه من الشعائر ،
وان لا يفارقوهم في جمعة أو جماعة ، ولم يدعوا لهم حرية في مذهب ،
ولا مسحوا لهم في زيارة المراقد المقدسة للنبي وأئمة أهل البيت عليهم
السلام الى غير ذلك ، نعم في الآونة الاخيرة خفت شدتهم ،
وقل ضغطهم .

واقعد قهروا الحجاج أيضا على الرضوخ لشعائهم والصلوة خلف
امامهم ، ودفعوهم عن تقبيل مقام ابراهيم عليه السلام ولمس أي مرقد
ومحل مقدس سوى الحجر الاسود ، ودفعوا بالضرب والقهر زائري
قبر الرسول وقبور عترته عن القرب منها والتقبيل لها .

نعم في السنة الماضية وهي سنة احدى وخمسين بعد الالف والثمانمائة
قيل : كانت وطأتهم على الحجاج اخف ، وشرهم اضعف (١) وعسى

(١) ولكني لما توفقت للحج عام ١٣٦٥ شاهدت الشر افزع
مما سمع ، فالحاج الشيعي اذا وضع قدمه في الحجاز لا يصبح امينا
على دينه ودمه ، فانه لا يقدر ان يؤدي فرضا او نفلا يخالف
آراءهم ، وما بينه وبين اوراق دمه الا شهادة رجل جاهل او معاند .

ان تقضى سياسة ابن السعود في مجارة المسلمين والشيعة باعادة البناء
لقبور أمة البقيع ، وفسح المجال لهم للزيارة واعطائهم الحرية المذهبية
فان ذلك ارقى لبلاده واعز لسلطانه واعود بالنفع عليه وعلى بلاده ،
وسبب لتكاثر الحجاج ووفرة الاموال لديه ولدى اهل مملكته ،
والله الهادي لسواء السبيل .

وما هذه باول مرة ينفذ فيها آل السعود الحرمين الشريفين
ويستولون فيها على الحجاز ، فقد غزوه من قبل واستولوا عليه ، وذلك
في بدء ظهور الوهابية في نجد واستفحال امرها ، حتى اخرجوا
الشرفاء منه ، ولكن الدولة العثمانية استشارت عزائم محمد علي باشا
والي مصر يومئذ ، ورأس الخديويين ملوك مصر اليوم ، فجهز جيشا
كثيفا بقيادة ولده طوسون باشا ، فسيره الى الحجاز لا خضاع الوهابيين
واسترجاع الحرمين منهم ، وكان ذلك عام ١٣٢٦ ، وامير الوهابيين اذ
ذاك سعود الثاني فانهزم طوسون ولم يثبت امام الجيش الوهابي ، فاضطر
محمد علي الى ان يخرج بنفسه الى الحجاز ، ومن الصدفة الجميلة ان
مات سعود الثاني اقوى امراء هذه الطائفة وقام من بعده عبدالله

— بانه شيعي يريد مخالفة الشريعة ، وما بيننا وبين قتل ذلك الشيعي
الايراني الا سنتان ، وقد قتلوه بغيا وظلما ، وكم قتل مثله ممن
لانعامه ، وقد سجلت مشاهداتي وماموساتي في الحج ومازالت محفوظة ،
وقد سمعت من المصريين عن الشيعة قذفا وسبا لا يقل فظاعة عن
عمل الاخوان وقولهم ، ولكن الى من المشتكى من هذا العدوان
ولمن توجه بالهتاف والصرخة .

وكان ضعيفا فهزمهم محمد علي باشا وتوالت هزائمهم ولما ظفر بهم عاذ
الى مصر ، فمقد من بعده ولده طوسون صلحا مع الوهابيين ومات
بالاسكندرية ، فعاد الوهابيون الى الخروج عن الطاعة ، فسير لهم
محمد علي باشا ولده ابراهيم باشا عام ١٢٣١ ، فحاصر الدرعية حاضرة
بلادهم نجد واخذها عنوة واحرقها وخربها بعد ان جاء اليه اميرها
عبدالله صاغرا خاضعا عام ١٢٣٣ ، وبذلك استؤصلت شوكة هذه
الطائفة وقضي على انتشار مذهبهم يومئذ (١)

نعم بقيت شوكة الوهابيين في نجد خاصة ، ولما تغلب آل الرشيد على آل
السعود في نجد وعادت الامرة اليهم كانوا احسن سيرة من سلفهم ولكن
رجعت الشوكة الى السعوديين قبيل الحرب العظمى بعد ان استولى عبدالعزيز
السعود على الرياض وبث الدعوة الى الوهابية باسم الاخوان في نجد وبذلك
الدعوة ونشر الاموال جذب اليه اعراب نجد واستولى على نجد والحجاز والحسا
والقطيف وقطر ، فكان منهم من فظائع الاعمال ما لا يجهله الناس وما يحفظه التاريخ

الشيعة في اليمن

اليمن عرب فخطانية وهي ام العروبة واليهما تنتسب ، أسلمت سلما على
يدي امير المؤمنين عليه السلام ، روى الطبري (٢) عن البراء بن
(١) عن صفوة تاريخ مصر والدول العربية [٢ : ٩٧ - ١٠٠]

(٢) (٣ : ١٥٩) ، في حوادث عام ١٠ من الهجرة وكان
ارساله عليا في سرية الى اليمن في شهر رمضان وذكر ذلك ايضا .

عازب قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد الى اهل اليمن يدعوهم الى الاسلام فكنت فيمن سار معه فاقام عليه ستة اشهر لا يجيبونه الى شيء ، فبعث النبي « ص » علي بن ابي طالب وامره ان يقفل خالداً ومن معه ، فان اراد أحد ممن كان مع خالد بن الوليد ان يقب مع تركه ، قال البراء : فكنت فيمن عقب معه ، فلما انتهينا الى اوائل اليمن بلغ القوم الخبر فجمعوا له ، فصرى بنا علي الفجر فلما فرغ صفنا صفنا واحداً ثم تقدم بين ايدينا فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله فاسلمت همدان كلها في يوم واحد ، وكتب بذلك الى رسول الله (ص) فلما قرأ كتابه خر ساجداً ثم جلس فقال : السلام على همدان السلام على همدان ، ثم تتابع اهل اليمن على الاسلام .

وقال الشيخ عبدالواسع بن يحيى الواسعي في تاريخ اليمن (١) : إن أول من أسلم من اهل اليمن على يد علي بن ابي طالب عليه السلام حين وصل الى اليمن ام سعيد البرزخية ونزل بمنزلها ، وتلمت القران وصلى في منزلها وبنته مسجداً وممته مسجد علي ، وهو معروف مشهور الى اليوم ، انتهى .

فكان ترفقهم للتمسك بمرى الاسلام على يد امير المؤمنين عليه السلام أحد - ابن الاثير في الكامل (٢ : ١١٥) في حوادث السنة العاشرة . (١) وتاريخه موجز جداً وقد انتهى من تأليفه في ٢٤ ربيع الآخر عام ١٣٤٦ .

العوامل لولا أنهم له وصيرورتهم علوية مذهبا ونزعة ، ولا تنس همدان وموافقها بن يدي امير المؤمنين يوم صفين . والذي أيد رأي اهل اليمن في علي وحكمهم على ولاته واتباعه هو صاحب الرسالة عليه وآله السلام يوم سمع منه الوفد اليمني ماله من الفضل والمنزلة عند الله ورسوله « ص » وذلك ما ذكره ابو عبد الله محمد ابن ابراهيم المكاتب النعماني في كتاب الغيبة ص ١٥ (١) عن عبد الله بن معمر الطبراني قال - وكان هذا من موالي يزيد بن معاوية - بسنده عن جابر الانصاري ، قال : وفد على رسول الله (ص) اهل اليمن بديسا (٢) فلما دخلوا عليه قال (ص) : قوم رقيقة قلوبهم راسخ ايمانهم ، منهم المنصور يخرج في سبعين الفا ينصر خلفي وخلف وصي ، حمائل سيوفهم المسد (٣) فقالوا : يا رسول الله ومن وصيك فقال (ص) : هو الذي امركم الله بالاعتصام به ، فقال عز وجل : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » (٤) فقالوا : يا رسول الله بين لنا ما هذا الحبل ، فقال « ص » : هو قول الله « لا يحبل من الله وحبل من الناس » (٥) فالحبل من الله كتابه والحبل من الناس وصي ، فقالوا

- (١) رأيت مخطوطا في بلد الكاظمية عند بعض افاضلها .
(٢) امل المراد به - الخليفة - اي جاء من كل قبيلة جماعة
(٣) الحبل من الليف
(٤) آل عمران : ١٠٣
(٥) آل عمران : ١١٢

يارسول الله: ومن وصيك، فقال «ص»: هو الذي قال الله فيه: «ان تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله» (١) فقالوا يارسول الله: وما جنب الله هذا، قال فقال «ص»: هو الذي يقول الله فيه: (ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) (٢) هو وصي والسبيل الي من بعدي؛ فقالوا يارسول الله بالذي بعثك بالحق ارناء فقد اشتقنا اليه، فقال «ص»: هو الذي جعله الله آية للؤمنين المتوسمين، فان نظرتم اليه نظر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عرفتم انه وصي كما عرفتم اني نبيكم فتخللوا الصفوف وتصفحوا الوجوه فمن اهوت اليه قلبكم فانه هو، لان الله عز وجل يقول في كتابه: «فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم» (٣) اليه والى ذريته عليهم السلام، قال: فقام ابو عامر الاشعري في الاشعرين، وابو غرة الخولاني في الخولانيين. وطسان وعثمان من قيس في بني قيس. وغرية الدوسي في الدوسيين. ولاحق ابن علاقة «علاقة» فتخللوا الصفوف وتصفحوا الوجوه واخذوا بيد الانزع البطين وقالوا: الى هذا اهوت افئدتنا يارسول الله. فقال النبي «ص»: انتم بحمد الله عرفتم وصي رسول الله «ص» قبل ان تعرفوه؛ فبم عرفتم انه هو، فرفعوا اصواتهم ليكون ويقولون: يارسول الله نظرننا الى القوم فلم نح لهم قلوبنا، ولما رأيناه ثم اطمانت

(١) الزمر: ٥٦

(٢) الفرقان: ٢٧

(٣) ابراهيم عليه السلام: ٣٧

- ١٢٤ -

نفوسنا وانجاشت (١) اكبادنا، وهملت أعيننا، وانثلجت صدورنا، حتى كأنه لنا أب ونحن له بنون، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم» (٢) انتم منهم بالمنزلة التي سبقت لكم بها الحسنى وانتم عن النار مبعدون، قال: فبقي هؤلاء القوم المسمون حتى شهدوا مع أمير المؤمنين عليه السلام الجمل وصفين، وكان النبي «ص» بشرهم بالجنة واخبرهم انهم يستشهدون مع علي عليه السلام.

وان من يسمع في علي عليه السلام مثل ذلك كيف لا يكون من اوليائه واشياعه، وما اطال الرسول (ص) في تعريفه إلا ليزيدهم شوقا اليه ويملا قلوبهم حبا له، وازدادوا حبا له بعد ما كان مقهورهم في الدين، فانهم طلبوا من الرسول (ص) من يقمهم في الدين ويعلمهم السنن ويحكم بينهم بكتاب الله، فبعثه النبي (ص) اليهم وضرب في صدره وقال: اللهم اهد قايه، وثبت لسانه، قال المرتضى عليه السلام: فما شككت في قضاء بين اثنين حتى الساعة (٣)

فمن قضائه بينهم ما حكاه الصدوق في أماليه في المجلس الخامس والحسين عن الباقر عليه السلام، قال: انفلت فرس لرجل من أهل

(١) تحررت.

(٢) آل عمران: ٧

(٣) انظر كثر العمال في فضائل علي عليه السلام ١٥٨: ٦٥

و ٣٩٢ وغيرهما.

- ١٢٥ -

اليمين فنفتح رجلا برجله فقتله ، واخذة أولياء المقتول فرفعوه الى علي عليه السلام ، فاقام صاحب الفرس البيضة ان الفرس انفلت من داره فنفتح الرجل برجله فابطل علي عليه السلام دم الرجل ، فجاء أولياء المقتول من اليمين الى النبي (ص) بشكون عليا عليه السلام فيما حكم عليهم ، فقالوا : ان عليا ظلمنا وابطل دم صاحبنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان عليا ليس بظلام ، ولم يخلق علي للظلم ، وان الولاية من بمدي ليلي والحكم حكمه والقول قوله ، لا يرد حكمه وقوله إلا كافر ، ولا يرضى بحكمه وقوله وولايته إلا مؤمن ، فلما سمع اليمانيون قول رسول الله «ص» في علي عليه السلام قالوا : يا رسول الله رضينا بقول علي وحكمه ، فقال رسول الله «ص» هو توبتكم مما قلتم .

ومن يسمع امثال ذلك من صاحب الرسالة كيف لا يستولي على شغاف قلبه الحب والولاء لابي الحسن ، وكيف لا يصبح من شيعته وتابعيه .

وهذا ما محموده من فم الرسول «ص» في شأن الامام المرتضى عليه السلام وهو نزر مما يبلغهم عنه من الاعلاء من مقامه ، وبيان منزلته لدى الله جل وعز .

ومن ثم امتنعوا بعد الرسول «ص» من البيعة لابي بكر وأبوا إلا البيعة المرتضى ولكن الحرب اخضعهم .

واستقام التشيع في شعاب اليمن وجبالها الى ان قام بالامر امير المؤمنين عليه السلام ، فكانت ولايته امنيتهم المطلوبة ، وكانت قليل منهم على غير رأيه وقد راسلوا معاوية فسرّح اليهم بسر بن ارطاة في جند مؤلف من ثلاثة آلاف عام ٤٠ من الهجرة ، ومر بطريقه على المدينة كما امره بذلك معاوية ، وكان عامل امير المؤمنين عليها أبو أيوب الانصاري فهرب ولحق بامير المؤمنين عليه السلام فدخلها بسر . ولا نسل عما كان منه من سفك وهتك للاحرامات . وامانة لمن بقي من الصحابة . وقتل للكثير من الابرءاء . وقد اخاف بذلك أهل المدينة عامة (١) واكرههم على البيعة لمعاوية . وهدم كثير آمن دورهم . الى ما سوى ذلك من فظيع الحوادث .

ثم توجه الى اليمن ولما سمع عبيد الله بن العباس بقدومه هرب من اليمن وكانت عامل امير المؤمنين عليها واستخلف عبد الله بن عبد المدان الحارثي ، فسل التاريخ عما صنعه بسر من فجائع الاعمال في اليمن وقتله الالوف من الشيعة رجالا ونساء وأطفالا ورضعا ، حتى قيل لقد قتل بسر في وجهه ثلاثين الفا وحرق قوما بالنار ، وسبي نساء همدان ، واقامهن في السوق للبيع ، وكانوا يكشفون عن

(١) جاء في كثير من الاحاديث ما فيه تهديد بالاعذاب ووعيد بالمقاب لمن اراد السوء باهل المدينة انظر كثر اعمال (٦ : ٢٤٩ و ٢٥٠) وغيرهما .

سوقهن فمن كانت أعظم ساقا كانت أغلى ثمنًا ، فكان أول نساء
سبين في الاسلام لو لم يسبقهن نساء بني حنيفة بعد وقعة خلد بهم ،
الى غير ذلك من اعمال بسر التي يجزع ذو الغيرة عند استماعها
وقراءتها دون نشرها وسطرها ، ويتفتت لها كبك المسلم الغائر على أبناء
جلده وملته ، ولا ادري هل يصح بعد هذا ومثله ان يقال : ان بسرآ
وأمره ابن آكلة الا كباد من ابناء الاسلام .

وهل خفي عليك ما ارتكبه ذلك السفاح السفاك - بسر - من
طفلي عبيد الله بن العباس ، فقد أودعها ابوها في اليمن عند رجل من
كنانة في البادية حذراً من سطوة ذلك الفاتك الظلوم ، فلم ينفعها
ذلك الحذر ، فانه لما قتل ابن عبد المذان وابنه اصهار ابن عباس
بحث عن الطفلين فظفر بهما ، فدافع عنهما الكنا في سيفه حتى قتل
دون جاره ، ولم يشف غيظ ذلك العاتي الجبار دون ان ذبحها
بيده الاثيمة .

وقال الشيخ عبد الواسع في تاريخه ص ١٣ : قبل ذبحها بيده
والمصحف بين يديهما ودفنا في محلها ، وبازاء قبريهما مسجد يعرف
بالشهيد بن وهو موجود الآن ، وهذا المصحف مكتوب بالخط الكوفي
على الرق ، وهو خط علي بن ابي طالب عليه السلام وهو موجود الى
الآن في هذا المسجد ، وآثار الدم تشاهد على المصحف ، والايات
التي رتتها بها امها مكتوبة على ضربيهما .

والايات التي رتتها بها امها مشهورة ، فانه لما بلغ امها خبر
طفليها اختطف عقلاها عظم هذه الحادثة وصارت ترتبها في المواسم
بقولها :

يا من أحسن بني الذين ها كالدرتين تشظي عنها الصدف (١)
يا من أحسن بني الذين ها قاي وسمعي فعتلي اليوم مختطف
من دلّ والهة حيرى مدلهة (٢) على صبيين ذلا إذ غدا السلف
نبئت بسرآ وما صدقت مازعموا من افكهم ومن الأثم الذي اقترفوا
أحنى على ودجي ابني مرهفة مشحودة وكذاك الأثم يقترف
وقالت لبسر امرأة من كنانة لما ذبحها : يا هذا قتلت الرجال
فلم تقتل هذين ، والله ما كانوا يقتلون في الجاهلية والاسلام ، والله
يا ابن اوطاة ان سلطانا لا يقوم إلا بقتل الصبي الصغير والشيخ
الكبير ونزع الرحمة وعقوق الارحام لسلطان سوء .

ولما بلغ ذلك امير المؤمنين عليه السلام جزع جزعا شديداً ودعا
على بسر فقال : اللهم اسلبه دينه وعقله ، فوسوس وذهب عقله ،
وصار يهذي بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين
يديه زق منفوخ أو مرفقة فلا يزال يضربه حتى يغنى عليه ، ولم يزل

(١) تشظي - تطاير شظايا اي قطعاً .

(٢) الداهية العقل .

كذلك حتى مات (١) ولعذاب الآخرة أشد وأخرى

وإنك لعلی خبر بما كان عليه معاوية من العداء لعلی واهل البيت عليهم السلام ومن يمت اليهم بولاء ، ولما شاءت الاقدار ان يستولي على البلاد ويفعل في الناس ما شاء و شاء له الهوى كانت امنيته الوحيدة ان يمحو الذكر الجميل لاهل البيت من صفحة الوجود ، وعرف انه لا يتسنى له ذلك ولعلی شيعة في البلاد ، يبدلون كل غال ورخيص في حفظ كرامته ونشر فضائله ، فوجه همه وهمته لاستئصالهم من على البسيطة ، كما دلتنا على ذلك اعماله في الكوفة التي كانت عاصمة امير المؤمنين ومقرس شيعة ، ولكن عظيم تلك الجهود ، وكبير تلك المساعي ، ذهب ادراج الرياح ، فان التربة التي حظت بولاء علي وبنيه لم تحرم ذلك التوفيق فكانت اليمن وافرة الحظ من التشيع طيلة ايام معاوية وما استطاع ان يقضي عليه بدسائسه ومكائده وحروبه ، كما نبيننا عن ذلك تاريخ ابن جرير في حوادث عام ٦٠ هـ (٦ : ٢١٦ و ٢١٧) وابن الاثير « ٤ : ١٦ » فقد ذكر أن الحسين عليه السلام لما كتب اليه اهل العراق يحملونه على المسير اليهم وعزم على اجابتهم وهم بالرحيل وكان بمكة المكرمة ، جاءه ابن عباس مشيراً عليه بالكف عن هذا الوجه - وهل يخفى على ابي عبدالله الرأي وهو رضيع الوحي والطبن بامور

(١) حديث بسر رويناه مجتمعة مع الایجاز عن متفرقات كتب التاريخ كتاريخ ابن جرير « ٦ : ٨٠ و ٨١ » في حوادث عام ٤٠ هـ وابن الاثير « ٣ : ١٦٦ - ١٢١ » وغيرها ، وهذا سوى ما روينا عن تاريخ الشيخ عبد الواسع .

الدنيا والدين - فمن كلام ابن عباس : فان أيدت الا ان تخرج فسر الى اليمن فان بها حصونا وشعابا ، وهي ارض عريضة طويلة ولا يبك بها شيعة وانت عن الناس في عزلة .

وهذا التشيع لعلی عليه السلام قد خامر قلوب اليمانيين حتى اليوم فان اليمن ما زالت ملجأ لبني علي وبها السلطة لهم في اكثر الازمان ، فربما كانت السلطة لهم فيه روحية فحسب ، واخرى روحية وزمنية معا ، كما هي اليوم في « حميد الدين يحيى » (١) فانه قد تسمى بالامام وبامير المؤمنين ، واستقل بالسلطان في ابان الحرب العالمية الكبرى بعد ان اجلى الاتراك عن البلاد ، وانه على ماتنقله السواح وتحمله الانباء حسن السيرة يجلس بنفسه لاسماع الشكايات والتداعي بين المتخاصمين ومع تواضعه قوي الجنان والساعد ، وقد قبض على البلاد بيد من حديد لا يسمح للاجانب في التدخل بشؤون بلاده بكل وجه ، ولم يفتح عليها باب التجدد الذي انتزع من بني الاسلام المتجددين روح الفضيلة

(١) يؤسفنا ان يعتدي عليه عبدالله بن احمد الوزير فيقتله ويقتل من اولاده الحسين والمحسن ومن احفاده الحسين بن الحسن وهو طفل في سابع ربيع الاول من عام ١٣٦٧ من دون مبرر ظاهر سوى حب الامرة والاستيلاء على الحكم ، ويؤسفنا ايضا ان تكون لهذا الحادث يد اجنبية عابثة ، وقد نال جزاء عمله عبدالله هذا فقد اعدمه وبعض وزرائه سيف الاسلام احمد بن يحيى ، صباح الخميس (٢٨) جمادي الاولى من هذا العام بعد ان استرجع البلاد والحكم واستولى على صنعاء .

والاخلاق والدين ، ويلوح على المشاهد لبلاد اليمن انها بلد دينية ،
نظامها العام شريعة الاسلام ، ولعله بفضل مليكها « يحيى حميد الدين »
وعلى نهجه تسير اولاده وهم كثر .

وان اول من دعا الى مذهب الزيدية في اليمن هو يحيى بن الحسين
الرسمي العلوي في القرن الثالث للهجرة ، رحل من العراق الى اليمن
واقام في صنعاء ، وبث ذلك المذهب فيها ، وظهر أمره حتى دعى
بالامام ، ولكن الذي اسس الامامة في صنعاء هو القاسم بن محمد الذي
يتصل نسبه بالرسمي المذكور ، وبعد ذلك سرى مذهب الزيد في اليمن
وتسرب الى اعماقها حتى استولى على الكثير منها كما هو اليوم ، وهم
يهتفون في الأذان يحيى على خير العمل ، وان الملك يحيى يتصل نسبه
بـ يحيى بن الحسين الرسمي المذكور واليمن بلاد واسعة مترامية الاطراف
كثيرة النفوس قد يتجاوز عدد نفوسها الستة ملايين ، ولا يحكم الملك
يحيى خير الشطر الا وافر منها ، فالعسير (١) ولحج والامارات التسم
الحموية وحضرموت وغيرها يختلف الحكم فيها فيمن من يدير شؤونها
امراء تحت الحماية الانكليزية كعدن او يديرها نفس زعمائها من
دون ان يكونوا تحت سلطة أخرى ، وقد دخلت بعض الامارات

(١) عادت عسير مملكتها الادارة الشوافع الى سلطة يحيى
بعد ما استولى عليها ابن السعود وانتزعها منهم ، وبعد ما وقعت
حرب شعواء بين يحيى وابن السعود عام ١٣٥٢ وعام ١٣٥٣ وبعد
الصلح والمهدنة وكان من شروط الصلح ان تبقى عسير تحت
نفوذ الملك يحيى .

من التمس الحموية تحت سلطة الملك يحيى أخيراً ، وخرجت عن حماية
الانكليز بقوة ذلك الملك الزيدي وسياسته .

وفي اليمن اليوم كثير من الشيعة الامامية ، واكثر اهلها الزيد
خصوصاً البلاد التي تحت سلطة الملك يحيى ومن بعدهم فستة شافعية ،
والمذهب الرسمي في البلاد التي تحت سلطان الملك يحيى زيدي ولكن
الحرية مبدولة منه للمذاهب الأخرى ، واكثر اهل العسير شافعية كما
ان المذهب لحكومة الادارة هو المذهب الشافعي (١)

نسأله تعالى لنا ولهم حسن التوفيق والمداية للحق والتمسك
بمرى الدين الخفيف انه ولي التوفيق والمداية ، وانه سميع مجيب .

(١) ظهر كتاب قلب اليمن في هذا العام للمقدم محمد حسن
وهو يبحث عن اليمن من جميع نواحيها ، فمن اراد الوقوف على
هذه البلاد العربية الجميلة فليراجعها فان ما كتبه عن مشاهدته وعيان
ولكن لا يخلو من وجوه محل للنقد لاسيما في آرائه الخاصة .

الشيعة في سوريا

فطر أبو ذر الغفاري رضي الله عنه على الصدق « ١ » . والؤمن الصادق في عمله وقوله لا يجيد عن نظام الشريعة الغراء قيد أكلة، وأفيد تلك النظم الجليلة للناس هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان حتماً ان يسير أبو ذر على تلك الخطا المعتدلة، والنهج النافع، ومن جراء تلك الغريزة وهاتيك السيرة - التي يجب ان يكون عليها كل مؤمن ولو كان لغمر الاسلام والعدل المعمورة كلها - نفى الى الشام ومن اجلها اعيد الى المدينة على اخشن مركب، فكيف تجد حاله وهو شيخ كبير قد انهكته العبادة، وجشوبة المآكل، وخشونة اللبس « ٢ » يحمل من الشام الى المدينة وهي مسافة شاسعة لا تقوم لها

« ١ » روى في مستدرک الحاکم وکنز العمال « ٦ : ١٦٩ » من عدة طرق قول النبي صلى الله عليه وآله : ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذي لهجة اصدق من ابي ذر، وفي بعضها من اراد ان ينظر الى المسيح عيسى بن مريم الى بره وصدقته وجده فلينظر الى ابي ذر.

« ٢ » كما كان أبو ذر عليه الرحمة صادقاً كان زاهداً حتى روى في الكنز « ٦ : ١٦٩ » قول الرسول « ص » من سره ان ينظر الى زهد عيسى ابن مريم فلينظر الى ابي ذر، وفي حديث من اراد ان ينظر الى عيسى بن مريم زهداً وسمتاً، وفي آخر هدياً وبراً ونسكاً، وفي آخر خلقاً وخلقاً وفي آخر الى تواضع عيسى، الى غير ذلك من الاحاديث، وما اهدى ملين ما قاله الرسول « ص » فيه وما بين ما فعله الناس معه.

اصحاب الشباب الصلب، يحمل على جبل هزيل بلا خطاء ولا وطاء، أهل تستغرب لو ذكر لك التاريخ ان وعورة السير وبعده وهزالة المركب قد اكلت لحم فخذية حتى تناثر، فان طبيعة الحال تقضي بهذا الاثر وان لم تنقله الرواة وتسطره الكتب، فكيف وقد اخبرنا عن ذلك كله التاريخ الصحيح، فهذا ابن ابي الحديد يقول في شرحه « ٢ : ٣٧٦ » : اعلم ان الذي عيى اكثر ارباب السير وعلماء الاخبار والناس ان عمان نفى ابا ذر اولاً الى الشام ثم استقدمه الى المدينة لما شكاه من معاوية ثم نفاه من المدينة الى الربرة، ونقل عن ابي عثمان ان عمان كتب الى معاوية ان احمل الي جندياً على اغلظ مركب واوعره فوجه به مع من سار به الليل والنهار وحمله على شارب ليس عليه الا قتب حتى قدم به المدينة وقد سقط لحم فخذيه من الجهد وهذا المسعودي يقول « ١ : ٣٠٤ » وقد تسليخت بواطن اخاذه وكاد ان يتلف، الى غير ذلك من حملة التاريخ.

ولما استقدموه الى المدينة واستمر على خطته لم يشه عنها ذلك الجهد والبلاء نفوه الى الربرة وبهائمات جوعاً، فحضره جماعة من المؤمنين فيهم ابن مسعود ومالك الاشر فجزوه ودفنوه (١)

(١) روى في كنز العمال « ٦ : ١٧٠ » قول النبي « ص » يرحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده، وروى الحاكم في المستدرک في كتاب المغازي « ٣ : ٥٠ » حديثاً يتعلق بغزوة تبوك ومنه قول النبي « ص » رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده، قال ابن مسعود فضرب الدهر ضربة -

وقد ذكر المؤرخون نفيه الى الربذة وموته بها (١) حتى ذكر
المسعودي « ٣٠٥ : ١ » ان ابا ذر لما قرروا سيره الى الربذة قال :
الله اكبر صدق رسول الله (ص) قد اخبرني بكل ما انا لاق .

وكان لا يحول لديه دون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
نفي أو تباعد ، وسطوة أو قوة ، وإهانة أو قسوة ، حتى قال له معاوية
في كلام جرى بينهما : يا عدو الله وعدو رسوله لو كنت قاتل رجل
من اصحاب محمد « ص » من غير اذن امير المؤمنين عثمان اقتلتك ،
ولكنني استأذن فيك ، فقال له ابو ذر : ما انا بعدو له ولا لرسوله
بل انت وابوك عدوان لله ولرسوله « ص » اظهرتما الاسلام وأبطنتما
الكفر ولقد لعنك رسول الله « ص » ودعا عليك مرات ان لاتشبع ،
انظر شرح التهج (٢ : ٣٧٩)

فلم يدفعه ذلك كله عن الجهر بما انطوت عليه جوانحه من الحب
- فخير ابو ذر الى الربذة ، ثم ذكر موته وايضا بان يجعل على
قارعة الطريق ، الى ان قال : فاذا ابن مسعود في رهط من اهل
الكوفة ، ثم قال : واستهل ابن مسعود يبكي فقال : صدق
رسول الله صلى الله عليه وآله وذكر قوله السابق ثم نزل قوله
بنفسه حتى اجته .

(١) ممن ذكر من المؤرخين نفي ابي ذر الى الربذة ابن
ابي الحديد والشهرستاني في الملل والنحل ، وعلي بن برهان الدين
الخلبي في السيرة الحلبية ، وابن حجر في الصواعق وابن عبد البر
في الاستيعاب وابن الاثير في اسد الغابة ، وغيرهم .

والولاء لابي وأهل البيت عليهم السلام ودعا لهما ما استطاع الى ذلك
سبيلا ، مع شدة المحنة وكثرة البلاء ، فنجحت دعوته ولبساه ناس
كثيرون في دمشق وضواحيها ، (١) وهي الى اليوم على التشيع بفضل
ارشاده ، وان نجاح دعوته كان الحجة البالغة على معاوية وبني امية ،
فانهم مع جهادهم في محاربة مذهب أهل البيت في القول والعمل قد
نشأ بين محالبيهم واخلفائهم قوم يبرأون منهم ويوالون محمداً وآل محمد
عليه وعليهم الصلوة والسلام غير انهم كانوا يقسترون بالتقية خشية
من ظلم آل امية .

وهكذا دام التشيع بعد ما تولد في سوريا تحت ملي الخفاء وخلف
حجب التقية زمناً غير قصير ، شأنه في البلاد الاخرى التي يكون
فيها السلطان لغيرهم ويخشون ضغطه وقسوته ، وكان يسير ببطء ،
ولولا تلك السياسة الرشيدة التي انتهجها الشيعة بارشاد أئمتهم عليهم
السلام لما وجدت اليوم من ابناء التشيع نافخ ضرره ، لان السلطات
ما تزال من غيره وهي تعاديه قولا وفعلا فكانت التقية خيراً
جنة لهم (٢) .

(١) ذكر محمد كرد علي في خطط الشام « ٢٥١ : ٥ - ٢٥٦ »
نبوغ التشيع في سوريا في القرن الاول ، وقد نقلنا كلامه ط (٩)
(٢) كتبت فصلاً ضافياً في كتاب الصادق عليه السلام
عن التقية « اثبت فيه صحة تلك الخطة بل ووجوبها
ونجاح تلك السيرة .

واما اليوم فالشيعة في سوريا والشام مجاهرة بالتشيع ، ولهم شأن في
البلاد رفيع ، ولو رأيت اليوم قباب القبور العلوية المشيدة في الشام
عاصمة امية مع اندراس قبور بني امية لعرفت كيف يعمل الحق وان
اجتهد اعداؤه طول الزمن في طمسه .

واذا دخلت المسجد الاموي الرفيع بناية والمشيد عمارة ونوسطه
واقفاً تحت قبة ، فارفع رأسك لتنظر ماذا كتب باطن القبة فستجد
اسم علي والحسين ، فاين اذن اسماء معاوية يزيد وملوك بني مروان
الذين رفعوا بناء ذلك المسجد وملكوا برهة من الدهر تلك البقعة ،
وما ملكها اهل البيت يوماً ما ، ولا كان لها في عهد اولئك ذكر جميل ،
وستجد في نفس المسجد من الجانب الشرقي مسجداً خاصاً لرأس
الحسين عليه السلام ، وعلى المكان الذي صلب فيه الرأس ستار أسود
مسدول شعاراً للحزن .

وفي الشام اليوم قوم من الشيعة قد اشتركوا في ادارة البلاد
وشغلوا مناصب مهمة في حكومة سوريا في هذا العهد ، وما اكثر
الاطباء فيهم ، ولهم يد طولى في التجارة ومعامل النسيج وغيرها ،
وتقام ما تم العزاء على الحسين علناً في الشام ويحضرها كثير من
أهل السنة ، والخطيب ينصح بمخازي معارفة ويزيدوني امية مستنبطاً
ذلك من النار يخ الصحيح (١)

(١) حضرت بهض هذه المآتم ايام عاشوراء بدء عام ١٣٦٦
بعد ما عدت من فريضة الحج ، وقد قرأ في اليوم العاشر الحجة

فاين بقواميه عن هذا اليوم الذي تمسح به الخطباء في عاصمتهم
عن فضائحهم وقول الحق فيهم ، وما ذاك الا لاعدوان الذي جرى
منهم على امير المؤمنين واولاده واعلانهم في شتمهم على المناير والمناثر
ظلموا وعدوانا .

حلب

ارتفع منار التشيع في سوريا وخفق لواؤه حين نبغت الدولة
الحدانية في حلب والشام والجزيرة ، والدولة الفاطمية بمصر ، وكانت
تلك العصور المتقاربة جل ملوكها وامرائها من الشيعة ، كآل بويه
بفارس والعراق ، وبني مزيد في الحلة والنيل ، وبني شاهين في البطائح ،
وناصر الدولة آل حمدان في الموصل وما والاها ، واما الوزراء كابن
العميد والصاحب بن عباد فما اكثرهم ، كما انه في تلك الآونة نفع
من علماء الشيعة في كل فن ما يعجز القلم عن عددهم ، كالشيخ المفيد ،
والشريفين ، والطوسي ، وابن الجنيد في بغداد ، وابن خالويه وبني
زهره بعده في حلب ، الى غيرهم ، واما الشعراء فحدث عن كثرتهم
ولا حرج ، وان اردت ان تعرف شيئاً عنهم فعليك ببيتمة الدهر
للشعابي ، وقد عقد فصلين احدهما في شعراء سيف الدولة والاخر في
شعراء الصاحب وسوف تجد الكثير منهم ضمن دولاه .

ظهرت دولة سيف الدولة علي بن عبدالله بن حمدان في حلب

- السيد محسن الاميني مقتل الحسين من تأليفه ، قرأه بنفسه وعلى
طوله ، وفي المجلس دائماً جماعة من سنة اهل الشام .

والشام والجزيرة (١) فتوافدت عليه ملة العلم ونوابغ الشعراء فرهد
الوافدين ، وأسعف المادحين ، بما تبلغه أمانيتهم ، وتمناه نفوسهم ،
فصارت انديته الخاصة أشبه بمحلات المدرس في فنون العلم والأدب ،
فكأنما هو عالم أديب سجيته طرح المسائل على الحضور في اللغة والشعر
وغيرهما ، وكأنه لم يكن ملكاً كسواه يستخفه الطرب واللهو ، ويطره
العود والمزمار ، ويفتخم الفرص لمغازلة الغادة المعطار ، وقضى أكثر
أيام سلطانه في حرب الروم له وعليه ، فكانت الغزوات التي بينه
وبينهم تناهز الأربعين غزوة ، وكان يجمع الغبار الذي يقع عليه في
غزواته للروم حتى اجتمع منه لبنة ، فأوصى أن يجعل خده عليها في
قبره ، فنفذت وصيته ، كما يذكرها ابن الأثير وابن خلكان .

وقد أسر الروم في تلك الغزوات ابن عمه أبا فراس الحارث بن
سعيد بن حمدان (٢) مرتين كانت الأولى عام ٣٤٨ ، والثانية ٣٥١

(١) استولى على حلب عام ٣٣٣ ، وكانت تحت سلطة
الأخشيد ، وكانت ولادته عام ٣٠٣ ووفاته عام ٣٥٦ ودفن في
ميفارقين في قرية أعدت له .

(٢) يقال : إن مولده عام ٣٢٠ وقد قتل عام ٣٥٧ في حرب
جرت بينه وبين أبي المعالي ابن سيف الدولة بعد وفاة سيف الدولة
فاستظهر عليه أبو المعالي وله أبيات مثبتة في ديوانه ينحى بها نفسه
مخاطباً زوجة ابنه وقيل ابنته ، أولهن :

ابنتي لا تجزعي كل الانام الى ذهاب

وكان أبو فراس خال أبي المعالي ، ولما بلغ الخبر اخته سخيئة -

وحملوه الى القسطنطينية ، وأقام في الأسر أربع سنين ، وله في
الأسر شعر كثير موجود في ديوانه كان يرسله الى سيف الدولة وإلى
ابني اخته أبي المعالي وأبي المكارم ابني سيف الدولة ، ولأبي فراس
شعر في أهل البيت ، ولو لم تكن له إلا ميمته المممة بالشافية
التي مطلعها .

الحق مهتضم والدين مخترم وفي آل رسول الله مقتسم
في نصرة أهل البيت لكفى ، فأنها كانت تعادل في يومها
مائة ألف سيف في نجدة آل الرسول (ص) ونصرة الحق والدين
يقول ابن خالويه جامع ديوانه (١) والشارح شرحاً موجزاً لبعض
الوقائع والحوادث التي فيه في سبب انشائه لهذه القصيدة : إن ابن
سكرة الهاشمي العباسي عمل قصيدة بفاخر فيها ولد أبي طالب عليه السلام
ويتعامل فيها عليهم أولها .

- أم أبي المعالي لطمت وجهها فقلعت عينها ، وقتل أبوه أبو العلاء
سعيد بن حمدان في رجب عام ٣٢٣ قتله ناصر الدولة ابن أخيه
عبد الله بن حمدان .

(١) جمع العلامة ابن خالويه شعر أبي فراس وشرحه شرحاً
موجزاً وديوانه المطبوع قبلاً ينقص عن المخطوط بكثير من
الشعر وليس فيه ذلك الشرح كما أن المخطوط مرتب على حروف
الهجاء والمطبوع غير مرتب ومن الزيادات قصيدة في رثاء الحسين مطلعها
يوم بسفح الدبر لا أنساء أولى له دهري الذي أولاه
وعندي نسخة من هذا الديوان بخطي استنسختها على نسخة قديمة .

بني علي دعوا عضيتكم (١) لا يرفع الدهر وضع من وضعه
فلم يجبه ابو فراس رحمه الله تعالى تنزها عن مناقضته وسفاهته
في شعره ، فقال في اهل البيت هذه القصيدة رسمها الشافعية .
ففي ايام سيف الدولة ارتفع شأن التشيع في سوريا ، وانتشقا اهل
الهواء الطلق بمدان حبسه عنهم ارباب السلاط المتعاقبة ، وبعد ان طال
عليهم الاتباع بين جدران التقيّة ، فكانت بقاع سوريا ايام الحمدانيين مكتظة
بالشيعة ، كحلب ونواحيها ، وبمليك وقراها ، وجبال عاملة وسواحلها
بل كانت منهم فئة في محيط دمشق وبين بيوتها ، كما ان هذه البلاد
الى اليوم راسخة القدم في التشيع كما كانت من قبل سوى حلب نفسها
وقد اختلف على حلب خاصة من العلماء الجمل النفي ايام الحمدانيين
ومنهم الشريف ابو ابراهيم جد بني زهرة ، فكان بنو زهرة بعد هذا
بحلب ، وقد نبغ منهم عدة علماء (٢) تعاقبوا الواحد تلو الآخر ،

(١) العضية : الكذب والتميمة والافك والبهتان .

(١) منهم عبدالله بن زهرة ، وابو المكارم حمزة بن علي
بن زهرة ، واحمد بن القاسم بن زهرة ، واحمد بن محمد بن احمد
ابن ابراهيم بن زهرة ، واحمد بن محمد بن الحسين ابن زهرة ،
والحسن بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن الحسن بن زهرة ، والحسين
بن علي بن ابراهيم بن محمد بن الحسن بن زهرة ، وعلي بن
ابراهيم بن محمد بن الحسن بن زهرة ، وعلي ابن محمد بن زهرة ،
ومحمد بن ابراهيم بن محمد بن زهرة ، وابو حامد محمد بن زهرة -

وكانت لهم السلطة الروحية في حلب وامراقها والمرجعية في القنبا ،
واشتهروا بالعلم والتشيع حتى قال صاحب القاموس في « زهرة » :
وبنو زهرة شيعة بحلب ، وقد خرجت حلب كثيراً من العلماء غير
بني زهرة (١) بل نشأ من الحمدانيين أنفسهم علماء كثر (٢) وهذا
ما يرشدنا الى رواج سوق العلم الديني ذلك العهد ، ولعلنا من ذلك

- ومحمد بن ابي القاسم عبدالله بن علي بن زهرة ، الى غير هؤلاء . ونجد
تراجمهم في أمل الآمل .

(١) منهم احمد بن عيسى بن محمد الخشاب الحلبي ، وثابت
ابن احمد بن عبد الوهاب الحلبي وجعفر بن مليك الحلبي ، والحسن
ابن الحسين بن الحاجب الحلبي ، والحسين بن حمزة الحلبي ،
وعبد الملك بن قذة الحلبي ، وعلي بن الحسن بن ابراهيم الحلبي العربي ،
وكتائب بن فضل الله بن كتائب الحلبي ، ومحمد بن علي بن
الحسن الحلبي ، والمظفر بن طاهر بن محمد الحلبي ، ووثاب بن سعد
ابن علي الحلبي ، الى غير هؤلاء ، وتراجمهم ايضا في أمل الآمل .
(٢) منهم محمد بن علي الحمداني ، ومحمد بن حمدان بن محمد
الحمداني ، ومحمد بن محمد بن علي بن ظفر الحمداني ، ومحمد بن
سليمان الحمداني ، ومحمد بن عمار بن محمد الحمداني ، ومحمد بن محمد بن
علي الحمداني ، والمظفر بن علي بن الحسين الحمداني ، وناصر بن
ابي طالب علي بن احمد بن حمدان الحمداني ، وهبة الله بن حمدان
ابن محمد الحمداني ، الى غير هؤلاء ، وقد ترجم لهم الشيخ محمد الحر
العامللي طاب ثراه في (أمل الآمل)

نعرف مبلغ اهتمام سيف الدولة برجال العلم ، وترويحهم
لهذه البضاعة الثمينة ، فان تولد هذه الروح في حلب كانت
في عهده ونمت بسقيه .

واما بقاء التشيع في حلب كلها بعد الحمدانيين فامر بين معروف،
بشده له ما ذكره ابن الاثير في حوادث عام ٤٦٣ هـ ١٠٧٣ : ٢٣
قال : وفي هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب لقايم
بامر الله والاسطان ألب ارسلان ، وسبب ذلك انه رأى اقبال دولة
السلطان وقوتها وانتشار دعوتها فجمع أهل حلب وقال : هذه دولة
جديدة ومملكة شديدة ونحن تحت الخوف منهم ، وهم يستحلون
دماءكم لاجل مذهبكم (١) والرأي ان نضم الخطبة قبل ان يأتي
وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل ، فاجاب المشايخ ذلك ، ولبس
الواذن السواد ، وخطبوا لقايم بامر الله والاسطان ، فاخذت العامة
حصر الجامع وقالوا : هذه حصر علي بن ابي طالب فليأت ابو بكر
بحصر بصلي عليها الناس ، وقال : وفي هذه السنة سار السلطان
الب ارسلان الى حلب وقد وصلها تقيب النقيب ابو الفوارس طراد
بالرسالة القامية والخلع ، فقال له محمود صاحب حلب : اسألك الخروج

(١) يعني بذلك التشيع ولاء آل محمد صلى الله عليه وآله ،
ولا ادري لماذا كانت اتباع اهل البيت في القول والعمل سبيلا
لاستحلال الدم وحجة على ابا حته ، فاننا لله وانا اليه راجعون .

الى السلطان واستمفاه لي من الحضور عنده ، فخرج تقيب النقيب
واخبر السلطان بانه لبس الخلع القامية وخطب ، فقال : وأي شيء
تساوي خطبتهم وهم يؤذون (حي على خير العمل) (١)

وما زال التشيع في حلب راسي البناء ، حتى ان السلجوقيين
الأتراك حاولوا مرات عديدة القضاء عليه فيها فما استطاعوا ، إلا انه
تمكن من ضرب صلاح الدين الايوبي وسلالته ، وكان الواذن يؤذن
في جوامعها بحي على خير العمل ، انظر مجلة المقتبس ج ٦ ع ١٠
واما ابن كثير الشامي فقد ذكر ان صلاح الدين لما جاء الى

(١) كان ولا يزال المتناف في الاذان بحي على خير العمل من شعار
الشيعة . وقد قامت الادلة الصريحة الواردة من طرقهم بانه من
فصول الاذان . ويدل عليه ايضا ما في كثر العمال « ٢٦٦ : ٤ »
عن الطبراني قال : كان بلال يؤذن بالصبح فيقول ! « حي على
خير العمل ، وما في السيرة الحلبية في باب بدء الاذان ومشروعيتها
« ١٠٥ : ٢ » الطبعة الثانية قال : ان ابن عمر والامام زين العابدين
كانا يقولان في الاذان [حي على خير العمل]

نعم ان عمر بن الخطاب نهى عنه كما ذكره القوشجي وهو
من متكلمي الاشاعرة في أواخر مبحث الامامة من شرح التجريد .
قال ! صعد عمر المنبر وقال : ثلاث كن على عهد رسول الله
صلى الله عليه وآله انا انهي عنهن واهرمهن واعاقب عليهن .
وهي متعة النساء ومتعة الحج وحي على خير العمل . ولعل اهل
السنة تركوه لذلك كما تركوا المتعة .

حلب ونزل بظاهره اضطرب واليه (١) ورغب اهل حلب في حرب صلاح الدين فعااهده جميعهم في ذلك ، ولكن شرطوا عليه اموراً ، منها ان يفوض امور عقودهم وانكحتهم الى الشريف الطاهر ابي المكارم حمزة بن زهرة الحسيني ، الذي كان مقتدى شيعة حلب ، فقبل منهم الوالي جميع تلك الشروط ، إلا انه لم يدخل صلاح الدين الى حلب بحرب ، بل دخلها سلباً (٢) ولم يثنه ذلك عن الفتنك بالشيعة الفتنك الذريع . ولما تصرمت حبال الدولة الايوبية لم يقض التشيع في حلب كما قضى في مصر ، بل بقي رصين الأس كما يخبرنا بذلك ياقوت الحموي في « معجم البلدان » قال في « حلب » : والفقهاء يفتون على مذهب الامامية ، وقال : وعند باب الجنان مشهد علي بن ابي طالب رضي الله عنه رؤي فيه في النوم ، وداخل باب العراق مسجد غوث فيه حجر عليه كتابة زعموا انه خطه ابي طالب رضي الله عنه ، وفي غربي البلد في سفح بلد الجوشن قبر المحسن بن الحسين يزعمون انه سقط لما جيء بالسبي من العراق ليحمل الى دمشق ، أو طفل كان

(١) كان صاحب حلب يومئذ عماد الدين زنكي بن مورود بن عماد الدين زنكي بن اقسنقر ، كما ذكره ابو الفداء .

(٢) كان دخول الايوبي الى حلب عام ٥٧٩ .

معهم فدفن هناك (١) وبالقرب منه مشهد مليح العارة ، تعصب الحلييون وبذوه احكم بناء وانفقوا عليه اموالاً يزعمون انهم رأوا علياً رضي الله عنه في المنام في ذلك المكان .

وهذه الآثار التي يذكرها ياقوت هي من دلائل تشيع الحليين فهي على التشيع الى عهده ، وكتب ذلك عن حلب عام ٦٣٦ فيكون ذلك بعد دخول الايوبي لها سلباً بسبع وخمسين سنة ، والى ذلك اليوم كان فيها اعلام من بني زهرة .

وهكذا استمر التشيع في حلب رفيع البناء لم تقلعه تلك الهزات العنيفة ، ولم تردمه تلك العواصف الشديدة ، الى ان افتى الشيخ نوح الحنفي في كفر الشيعة واسقباحة دمائهم واموالهم تابوا ولم يتوبوا (٢)

(١) وعن نسمة السحر ان الذي بناء سيف الدولة ، وذلك لانه رأى نوراً على مكانه وهو باحد مناظره في حلب ، فلما اصبح ركب الى هناك وامر بالحفر فوجدوا حجراً مكتوباً عليه هذا المحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، فجمع العلويين وسألهم ، فقال بعضهم : انهم لما صرروا بالسبي في حلب طرحت احدى نساء الحسين عليه السلام بهذا الولد ، فعمره سيف الدولة .

(٢) كتب رداً على هذه الفتوى العلامة الحجة السيد عبد الحسين شرف الدين وهو كتابه « الفصول المهمة » وقد طبع مرتين ولو قرأته لذلك على علم غمر ، وتبحر واطلاع واسع ، ولا وضح لك ظلم ذلك الرجل في فتواه وقتل اولئك المساكين ظلماً وعدواناً .

فرسحوا على شيمة حلب وبادوا منهم اربسين الفا اويز يدون، وانتهت
اموالهم واخرج الباقيون منهم من ديارهم الى « نبل » و « النفاولة »
و « ام العمد » و « الدلبوز » و « الفوعة » وغيرها من القرى، ولم يبق في
اختباء الشيعة في اطراف حلب في هذه القرى والبلدان، ولم يبق في
حلب شيعة ابداً، ويقال: ان لبني زهرة اليوم ذرية في الفوعة ولكن
لا يعرفون بيتي زهرة، ويوجد اليوم في حلب قليل من الشيعة سكنوها
بعد تلك الحادثة المؤلمة، وهذه احدى الوقائع الممضة التي شاهدها
الشيعة من اجل ولائهم لاهل البيت وتمسكهم بعري مذهبهم.

وهاجم الامير ملحم بن الامير حيدر بسبب هذه الفتوى جبال
عاملة عام ١٠٤٨ قاتلهم الحرمات واستباح الحرمات يوم وقعة قرية
« انصار » فلا نسل عما اراق من دماء، واستلب من اموال، وانتهك
من حريم، فقد قتل الفا وخمسمائة، واسر الفا واربعمائة، فلم يرجعوا
حتى هلك في الكتيف ببيروت (١)

فيا لله من هذه الجرأة الكبرى على النفوس والاعراض، ومن
تلك الفتيا التي غررت باولئك على تلك الفظائع والجرائم، قاله
الحصم والحكم.

(١) انظر الفصول المهمة الطبعة الثانية ص ١٤٠، ومجلة
العرفان ج ٢ ع ٦ ص ٢٨٦ من مقال للعلامة البجائي الشيخ
احمد رضا عنوانه المتأولة والشيعة في جبل عامل.

جبل عامل

كان بدء التشيع في جبل عامل بفضل دعوة المجاهد في الله
ابي ذر الفقاري رضي الله عنه ثم اخذ يسير وينتشر في الجبل شأنه
في كل بلد ركز لواءه فيه، اذا لم تحجز دونه الحوائل، وحينما كثر
الشيعة فيه وانفسح المجال لهم في طلب العلم أخذوا يجتهدون في تحصيل
علم اهل البيت عليهم السلام حتى بالمجرة الى ايران والعراق، فتخرج
منهم علماء استفاد الشيعة، ووافاتهم الى اليوم، وطبقوا البلاد شهرة
وصيتاً، منهم الشهيد الاول « محمد بن مكي » (١) صاحب اللعة
الدمشقية، والذكري، والدروس، والبيان، والقواعد، وغيرها،
ومنهم الشهيد الثاني « زين الدين بن علي الجيمي » (٢) صاحب

(١) قتل ٩ جمادى الاولى عام ٧٨٥، قتل بالسيف ثم
صلب ثم رجم ثم احرق بدمشق في دولة بيدر وسلطنة برقوق
بفتوى القاضي برهان الدين المالكي وعباد بن جماعة الشافعي بعدما
حبس سنة كاملة في قلعة الشام وفي الحبس الف اللعة الدمشقية
في سبعة ايام ولم يكن يحضره من كتب الفقه غير المختصر النافع
للمحقق الحلي طاب ثراه.

(٢) ولد في ١٣ شوال عام ٩١١ وقتل عام ٩٦٦، وسبب
قتله انه ترفع اليه رجلان فحكم عليه وسعى به عند قاضي صيدا
فرفع امره الى السلطان في القسطنطينية، فطلبه لينظر علماء -

الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ، وصاحب السالك ، وشرح القواعد ، وآداب المفيد ، وغيرها ، ومنهم الشيخ حسن بن الشهيد الثاني زين الدين (١) صاحب المعالم في الفقه واصوله ، ومعالم الاصول حتى اليوم يقرأها تدريساً طلاب العلم الجعفري ، ومنهم المحقق الثاني الشيخ علي الكركي (٢) صاحب شرح القواعد وشرح الشرائع وغيرها ، وكان ذا مقام رفيع ، وشأن خطير عند الملوك الصفوية في ايران ، ومنهم الشيخ محمد الحر صاحب وسائل الشيعة الذي جمع فيه حديث اهل البيت في ابواب الفقه كافة جمعها من الكتب المعتبرة عند الشيعة ، كالكتب الاربعة مؤلفيها الحاميد الثلاث ، محمد بن يقرب الكليني ، ومحمد بن علي الصدوق ، ومحمد بن الحسن الطوسي ، ومن كتب اخرى كثيرة جليلة ، ومنهم الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين - اهل السنة فيطالع على مذهبه ، فسار مع الرسول فقتله الرسول في الطريق في مكان من ساحل البحر وكان هناك جماعة من التركان فرأوا في تلك الليلة انواراً تنزل من السماء وتصلع ، فدفنوه هناك وبنوا عليه قبة ، واما الرسول فحمل رأسه الى السلطان فانكر عليه فعله وقال : انما امرتك ان تأتيني به حياً ، ثم سمى السيد العباسي في قتل ذلك الرجل فقتله السلطان .

(١) ولد عام ٩٥٩ ، ومات عام ١٠١١

(٢) توفي عام ٩٣٧ وقد زاد عمره على السبعين عاماً ، وكان

عضداً للشاه اسماعيل الاول الصفوي في خدمة مذهب آل محمد [ص] وترويجه .

المعروف بالشيخ البها في (١) صاحب المؤلفات المديدة في جميع فنون العلم ، كالخلاصة في علم الحساب ، وتشرح الافلاك في علم الهيئة ، والزبدة في اصول الفقه ، والصمدية في علم النحو . وله في الفقه ، ومؤلفات كثيرة ، وفي الرجال مؤلفات وجيزة ، الى غير ذلك من المؤلفات الجليلة كالكشفكول ، وهو صاحب الرحلات والسياسة في البلدان ، واستقر آخر ايامه في ايران ، الى ان قبض رحمة الله عليه ودفن في خراسان ، وعلى قبره اليوم بناء مشيد قلما يكون مثله لقبور الاولياء والعلماء ، وفي غرفة القبر وضعت مؤلفاته بموضع خاص ، والى جانب القبر مكتبة عامة باسمه ، الى ذير مؤلفاته من اجلة العلماء ، وجهابذة رجال الفضيلة (٢)

وكانت الشيعة في جبال عاملة بعضاً من سوريا في كل ما تراه البلاد من الضراء والسرائ ، حتى اذا لحقت جبال عاملة بمحكمة جبل لبنان في زمن الاير فخر الدين المعني عام ١٠٢١ ، وكانت قبل ذلك قطعة مستقلة في ايلة صيدا ، افطم الاير المذكور مراکز

(١) ولد في بعلبك عام ٩٥٢ وتوفي عام ١٠٣٥ ، وكان من

اعضاد الشاه عباس الاول الصفوي في ترويج مذهب اهل البيت عليهم السلام ، وتلك عصور كانت الملوك فيها تهتم لخدمة الدين وحامليه ورجاله .

(٢) لو الفيت نظرة واحدة على كتاب [امل الآمل في

علماء جبل عامل] لعرفت كثرتهم ووفرتهم .

حكومتها رجاله ، فقدت بذلك استقلالها ، وقصرت عن التغلب على حاكميها ، ولكن عبث الحاكمين واستدراار منافع البلاد بكل وسيلة ولو بخراب الديار حمل العاملين على الخروج عن ربة الضيم وحبائل الذل ، فان قرية « الكوثر » في مقاطعة « الشومر » من جبل عامل قاومت الامير فخر الدين المعني ، وكانت القرية محلا لآل الصغير من زعماء الشيعة ، فتغلب الامير عليها وترك عسكره يبعث فيها ثلاثة ايام بعد ان قتل المقاتلة وسبي الذرية .

وكان عامله على قلعة « الشقيف » حسين الطويل ، واليه يرجع عمل « الشومر » و « التفاح » فتنازع مع عامله الآخر حسين اليازجي على قلعة « بانياس » و « ليه » شرقي بلاد بشارة ، فارسل اليازجي عسكره مغيراً على قرى حسين الطويل واهلها شيعة ، وارسل الطويل عسكره مغيراً على قرى اليازجي حيث كهاجم قرية « عينانا » واهلها شيعة ايضاً ، ولكنه ارتد عنها بخسارة بعض رجاله ، وهكذا كانوا يقتازعون والشيعة عرضة لتنازعهم وطعمة لجشعهم .

ودخل الامير ملحم الى قرية « انصار » من مقاطعة « الشومر » عام ١٠٤٨ و قتل وسبي ونهب وسلب ، وارتكب الاعمال القاسية التي يقاومها الدين ، وتآبأها المروءة ، وعمقتها الوجدان . فكانت هذه النكبات الممضة وهاتيك الطواريء المدائية المادية ، التي سلت بجبال عاملة ، سبباً لاستفزازهم وابعاد روح الوحدة والتناصر ، والاستبسال والتضحية لاختد الاستقلال ، وساعدهم

على هذه البسالة والتحسس ما طرأ على الحكومة المعنية من الوهن زمن الامير احمد ، فاحلوا استقلالهم عن لبنان ، وخرجوا عن طاعة امرائها ، فغزاهم الامير احمد عام ١٠٧٧ في « النبطية » وهي قرى حكمها الصعبيين ، فارتد عسكره على الاعقاب بعد حرب شعواء ، فانتار والي « صيدا » عليها ، فاتاها هذا في العام الثاني غازيا ، فكانت هزيمته غنيمة ، ولحقه العاملون الى عين المزراب قرب صيدا . ثم استعرت بعد هذا بين مشايخ الشيعة وامراء لبنان نيران الوقائع . فكانت بينهما سجالات . وهذه النيران اضرمت في قلوب بني عاملة شملة النجدة والتكاتف ، حتى بلغت اقصى درجات الشهرة في شدة البأس وقوة الشكيمة في ذلك العصر ، عصر الغارات والحروب .

ووقعت بينهم وبين امير (صفد) و (عكا) ظاهر العمر حوادث انجلت عن التحاف على اساس ثابت بين ظاهر العمر وناصيف النصار ، وجرى في عكا ثامن رجب عام ١٠٨١ فكان بعد ذلك لظاهر من هذه المحالفة عون في امتداد سلطانه الى ماوراء صيدا ، ولناصيف منه عون في وقائعه مع اللبنانيين .

وكان الامراء الحرافشة في بعلبك قبل هذه المحالفة نعم العون لبني عاملة غير ان البعد بين البلدين يحجز عن المساعدة الكافية . وإن أهم الوقائع التي مد فيها ظاهر العمر يد المساعدة لبني عاملة

هي الواقعة المعروفة بواقعة « كفرمان » أو واقعة النبطية عام ١٠٨٥ حيث ساق الامير يوسف الشهابي الجيوش الجارة عازما على اكناس بلاد الشيعة ، فكان عسكره على رواية الامير حيدر عشرين الفا ، وعلى رواية الشيخ علي رضا في مخطوطاته ثلاثين الفا ، وبعد ان نهب قرية جباع الخلاوة حل في « كفرمان » وناوشه القتال من عسكر الشيعة الحميم في « النبطية » خمسمائة فارس ، بقيادة الشيخ علي الصبي ، فانتصروا على ذلك الجيش الكثيف ، قبل ان يرجع الصريح من صفد بعسكر ظاهر العمر ، وقبل ان يهيج بقية العسكر الذي في النبطية ، وانهزم اللبنانيون لا يلوون على شيء ، وقد روى الامير حيدر ان لبنان لبست السواد لهذه الحادثة فكانت النساء كالغربان ، وفي هذه الحادثة يقول الشيخ علي رضا ان الشيخ ناصيف ادرك الامير يوسف بالقرب من قرية (جرجوع) قابسه الفرو مقلوبا ، وهو اشبه بحز الناصية عند العرب (١) .

(١) اعتمدنا في هذا الفصل على ما نشره العلامة البهائية الشيخ احمد رضا في العرفان ج ٢ ع ٦ ص ٢٨٦ فقلناه بايجاز وتغيير يسيرين ، بل اعتمدنا عليه في اكثر هذا العنوان « جبل عامل » بل ربما ننقل احيانا كلامه بنصه . وان للعلامة المبرور اللغوي والشاعر الكبير الشيخ علي السبتي مقالا نشر في العرفان بعنوان « جبل عامل في قرنين » ذكر فيه عدة حوادث شاهدها اهل الجبل ، ويشير اليها على نحو الايجاز ، ومنها بعض هذه الحوادث .

ولم تمض هذه اليلال التي كانت فيها جبال عالية ذات الحول والطول حتى استقل في (عكا) احمد باشا الجزار ، فبدأ باخضاع الشيعة ، فكانت له معهم وقائع آخرها واقعة (بارون) حيث ساق الجزار عسكره على بلاد (بشارة) (١) فجاء في خاس شوال عام ١١٩٥ ، فاسرع اليه ناصيف بعسكره والتقى في قرية (بارون) من جبل عامل قرية من (صفد) فكانت النصر لعسكر الجزار ، وزلت مناصيف فرسه ، فابتدره احد الجنود بطلعة اصاب منه مقتلا ، وتفرق العسكر ، وتشتت امره ، وجاس الجزار خلال الديار ،

(١) تنقسم بلاد بشارة الى قسمين ، بشارة الشمالية ، ونهايتها في الشمال نهر الاولى شمالي صيدا ، ويفصلها عن الجنوبية نهر اللبطيني ، الذي يصب في البحر المتوسط شمالي صور ، وبشارة الجنوبية ، ونهايتها في الجنوب نهر القرن الجاري شمال طرشيحا ، وجنوبي قرية الزيت ، وهي التي اشتهرت اكثر من اختها الشمالية بهذا الاسم ، وكانت بلاد بشارة عموما تنقسم الى ثمان مقاطعات ، اربع في بشارة الجنوبية ، وهي تبنين ، وهونين ، وقانا ، ومعركة ، وكان حكامها من آل الصغير ، وقبلهم بنو شكر ، ويتألف منهم قضاء صور وقضاء مرجعيون ، وثلاث في بشارة الشمالية ، وهي الشقيف ، والشوم ، والتفاح المعروفة الآن بناحية جباع ، وحكام الاولى من آل صعب وحكام الاخيرتين آل منكر ، ويتألف من الثلاث قضاء صيدا ، والنامنة مقاطعة جزين ، وكان حكامها المقدمون المعروفون بمقدمي جزين ، العرفان ج ٢ ع ٥ ص ٢٤٢ من مقال العلامة الشيخ احمد رضا .

ومحاصرها بها سلباً وقتلاً ، ولم يملوهم ليجسوا شملينهم ، وملكوا
امرهم ، فاستولى الرعب على البلاد ، ثم هدمت القلاع وحوصرت
قلعة (شقيف ارنون) شهرين ، ثم فتحت وهدمت ، وهربت مشايخ
البلاد الى الشام والعراق ، ثم لجأ منهم جماعة الى (عكا) فاستأن
الجزار بعضهم ، حتى اذا وثقوا بامانة غدر بهم ، فكانوا في سجنه
وعذابه الى ان ماتوا ، ثم وزع عماله على البلاد ، وكانت البقية الباقية
من مشايخ البلاد تتحفر بقوتها الضعيفة لصد قوة الجزار الهائلة ، حتى
اذا خرج حمزة بن محمد النصار على مسلم (تبني) وقتله ارسل اليه
الجزار سرية عسكرية واقعة في قرية (شحور) عام ١١٩٨ فقتلت
شمل الشيخ حمزة وقبض عليه وقتله اشرها قتلة .

ولما دخل الجيش الفرنسي تحت قيادة (نابليون بونابرت)
بلاد الشام وجد الشيعة والصفديون بسببه الراحة ، وتخلصوا من ظلم
الجزار وعتوه ، ولما انجلي الفرنسيون واطمان الجزار في ولايته اشتد
على بلاد بشارة وساحل صند ، ولم يسمع بكبير واذي جاء إلا أخذه
أخذ عزيز مقتدر ، واستنصفى امواله ، وتركه لرحمة زبانية عذابه في
سجنه ، ودامت الحال من عام ١٢٠٩ الى عام ١٢١٩ عشر سنين ،
هلك فيها الحرث والنسل (١)

(١) العرفان ج ٢ ع ٧ ص ٣٣٠ من مقال العلامة الشيخ
احمد رضا ، وفيها ذكر بقية الاحداث فراجع .

وحفظ على العلماء وتعقبهم قتلًا وصنعًا وتعليمًا ، ونشئت من
بقي منهم في افطار الارض ، واستنصفى آثارهم العلمية ، وكان لافران عكا
من كتب جبل عامل ما اشغلها بالوقود اسبوعاً كاملاً ، وكانت هذه
الضربة الكبرى على العلم واهله . وختل جبال عاملة من رجال
العلم . بعد ان كانت زاهرة الربوع بالعلماء وارباب الفضل والتأليف .
ومن فر من العلماء من ظلم الجزار ، العالم الكبير والشاعر المبدع
الشيخ ابراهيم يحيى . فطن دمشق الشام . وبلي بها الشيخ علي الخاتوني
الطيب الفقيه . والعالم ببدء علوم ، هاجر في طلبها الى ايران . وقد
صودرت امواله وضبطت أملاكه . وحبس مرتين ولم تقبل منه
فدية . ثم اخذت المكتبة الكبرى التي كانت لآل خاتون . وكان
الشيخ المذكور ولي امرها وكانت تحتوي على خمسة آلاف مجلد من
الكتب الخطية النادرة . فامست في عكا طعمة النار .

ومن فر من ظلم الجزار السيد ابو الحسن ابن السيد حيدر الامين ،
والشيخ حسن سليمان ، والشيخ محمد الحر ، وقد اعتصم بال حروفش
امراء بعلبك ، فكان فيهم آساً طاماً حتى اتاه البشير بهلاك الجزار
وبمولود جديد له في وقت واحد ، فسمى المولود سعيداً ، ثم رجع الى
بلده جبع وهو مخلى السرب ، الى غير ذلك . ممن شملهم ظلم الجزار .
ولم يبق الماملون من هذه الدهشة العظمى إلا بهلاك الجزار ،
وبعد ذلك جرت عدة حوادث لم تكن لها تلك الاهمية .

ثم تولى بعدئذ الزعامة (حمد اليك) بن محمد بن محمود بن نصار
ابن أخي تاصيف النصار، ولقبته الحكومة بشيخ مشايخ بلاد بشارة،
وكان عالماً شاعراً، فأوى اليه العلماء والشعراء، واخذت البلاد
الى السكينة وهدأت من الفتن والمنازعات، وتفرغ كل لما يعنيه، ولما
توفي عام ١٢٦٩ قام من بعده ابن اخيه «علي بك» الاسعد الشهير،
فكانت البلاد في ايامه بأرغد عيش واهناء. ولكن ثبت في آخرها
نيران النزاع بينه وبين ابن عمه «ناصر بك» ادى الى اعتقاله واعتقال
ابن عمه «محمد بك» الاسعد حتى توفيا معاً بالشام عام ١٢٨٢ (١)
ولما هدأت البلاد وعادت الامور لمجاريها واستولت تركيا على
سوريا كدولة حاكمة تدبر رضى الادارة في البلاد. بموظفين هي
تسيبهم. كما هو الشأن في الحكومات وشأنها في غيرها من البلاد،
وكانت سياستها مع الشيعة في دمشق وحلب وجبال عاملة وبعلبك.
كما هي في سواها من البلاد مقاومة مذهب اهل البيت بنشر الدعاة
وبث الدعايات ومحاربة المنتسبين لهذا المذهب. وهل كانت فاجعة حلب
المؤسفة إلا في ايامهم. نعم لم تقهر بلاد سورية بالسيف على اعتناق
مذهب الدولة كما صنعت في بعض البلاد الشيعية كشمال العراق.
فكانت هذه سيرة حكومة آل عثمان وتلك سجاياهم الى ان

(١) العرفان ج ٢ ع ٧ ص ٣٣٢ من مقال العلامة الشيخ

احمد رضا.

ازالتهم من سورية دول الخلفاء بمساعدة الشريف «الحسين بن علي»
ملك الحرمين وانجالة العظام، وافيم جلالة الملك فيصل الاول ملكاً
على دمشق وحلب، والشريف عبد الله اميراً على «شرقي الاردن» (١)
وارسلت الدول لجنة امريكية لاكتشاف رغبات الشعوب وجاءت
الى سورية. اظهر العالميون على لسان ممثليهم وفي طلبهم حجة الاسلام
السيد عبد الحسين شرف الدين (٢) رغبتهم في تشكيل حكومة عربية
مستقلة ملكها «فيصل» غير ان الحكومة الفرنسية لم تعر هذه الرغبة
اذنا صاغية، فحدا العالميين هذا التصامم على المطالبة سلمياً بحقوقهم،
فقا بهم المستعمرون بالشدة فسبب ذلك التهاب نيران الثورة في طول
عامة وعرضها، وكانت زعيم هذه الثورة حضرة السيد عبد الحسين
وزعيم العالميين (كامل بك الاسعد) فقاومتها الحكومة المستعمرة
بشتى الاساليب، من تخذيل البعض، واستمالة الآخر، والفك الذريع
فيما تفتحه من البلاد، فضعت اقوى القومية، وصارت تندحر امام
جنود الاستعمار، وفي تلك الحال تبرزت القوى الفرنسية بالعدة
والعدد واقبها الى بلاد الثورة، فدخلت بلاد صور واستولت على
دار السيد المشار اليه، وكان قد انتقل عنها الى «شحور» فانتبهتها
وانلفت مكتبته الثمينة نهياً وحرقة، وكان فيها ما يناهز العشرين

(١) اما اليوم فقد نودي به ملكاً على شرقي الاردن.

(٢) يقضي وقته الثمين كله بالدفاع عن الحق، امد الله في

حياته، ولا يزال مع شيخ رخته مكياً على التأليف والاصلاح،
فهو مجموعة فضائل، وخصاله الجميلة لا يبلغها الوصف.

وله آله ، كما ذكر ذلك هو في تعليقه على ص ٣٨ من (كلمة الغراء)
وقد اشار سلمه الله تعالى الى تلك الثورة وهاتيك النكبة التي اصابته
فيها ، وذكر مصنفاته التي تلفت واسماءها - فلا حرمه الله من اجر
الاستفادة بها - .

فقضت تلك السلطة الفرنسية على هاتيك الثورة قضاءً نهائياً ،
وزحفت على جميع البلاد المحاربة واحتلتها ، فاضطر السيد الى الفرار
الى دمشق ، وبعد سقوطها بيد القوة الفرنسية غادرها الى مصر ، ولم
يسمح له المستعمرون بالعودة الى بلاده إلا بعد سنتين ، وكانت تلك
الثورة في عام الثورة العراقية على الانكليز وهو عام ١٣٣٨ هـ و ١٩٢٠ م
وبعد ان احتلت الحكومة الفرنسية جبال عالمة وسكنت الحال
وهدأت البلاد ضموا الجبل الى لبنان فسمي (لبنان الكبير) وقاعدته
بيروت ، واخذ الشيعة الجبل وبعلبك حقوقهم من الوزارة والمجلس
النيابي ، كما صار لهم في كل بلد شيعي قاض ومفتي ، وفي قاعدة بيروت
مجلس تمييز شرعي . وواف من رئيس وعضوين ، فالتشيع اليوم في
لبنان الكبير سائر بكل نظام وهدوء محفوظ الحقوق مرعي الجانب (١)
(١) اما اليوم بعد ان خرجت فرنسا من البلاد ، فالحال
على ما كانت عليه قبل من اشتراك الشيعة في مجلتي الوزارة
والنيابة ، كما انهم مشتركون في ادارة البلاد ووظائفها داخلا
وخارجا ، وقد اجتمعت في عام توفيق للحج وهو عام ١٣٦٥
بالغائم بالمفوضية اللبنانية في جده وهو شاب شيعي من بيت الزعامة
الشيعة في الجبل وهو اسعد سهيل الاسعد فوجدته مثالا للاخلاق
وكرم الطبع .

بعلبك

هي اليوم وسائر قرأها وضواحيها تعد من البلاد الشيعية ، الشهيرة
بالشيعة ، وشيعتها تناهر الشيعة في جبال عالمة كثرة أو تزيد عليها ،
غير انها لا تضاهيها في المعارف الدينية ، فانه لا يزال في النجف
الاشرف من العاملين المهاجرين لطلب علوم الدين ما يناهز اثنان
طالباً (١) ولا يوجد من البلاد البعلبكية اكثر من الاثنين والثلاثة ،
ولا يخلو هناك بلد من عالمة من العالم والاثنين والاكثر ، بل وفي
القرى الصغيرة التي لا تتجاوز نفوسها المائتين نسمة ، ولكن البلاد
البعلبكية لا يوجد ارباب العلم المرشدون إلا في قرأها الكبيرة ، على
انها حتى اليوم قد خرجت كثيراً من العلماء والادباء ، وبعضهم من
الامراء الحرفوشيين ، ولكنها لا تجاري البلاد العاملة ، فانها
انتجت من العلماء والادباء قديماً وحديثاً ما لا يقع عليه الحصر ، وقد
الف في المتقدمين الشيخ محمد الحر كتاباً سماه « ابل الآمل في علماء
جبل عامل » طبع في ايران جمع فيه من العلماء الجبل الغفير ، وأشار
الى كثير من الشعراء ، وقال في كثرة علماء الجبل : « وقد سمعت
من بعض مشايخنا انه اجتمع في جنازة في قرية من قرى جبل عامل
سبعون مجتهداً في عصر الشهيد الثاني وما قاربه »

هذا ما كان منهم الى زمانه واما ما بعد عهده والى اليوم فقد

(١) ذلك في عهد التأليف اما اليوم فهم دون هذا العدد بكثير .

انتجت افاضل وعلماء عصر استقصاؤهم (١) ويوجد فيهم اليوم
مراجع في التقليد من اهل الجبل ، وفيهم من له الميزة في الدفاع عن
كيان مذهب آل محمد صلى الله عليه وآله في مؤلفاته القيمة وما ينشره
في الصحف ؛ واما شعراؤهم فقد نشرت مجلة « العرفان » الغراء من
تراجمهم وشعرهم الشيء الكثير .

وان بلاد بعلبك من البلدان التي فتحها المسلمون عام ١٤ هـ يوم
فتحوا سوريا ، وقد خملت في عهد بني امية ، ونهبها تيمور عام ٨٠٣ (٢)
ولعل التشيع دخلها من يوم فتحها ، فان في الجند الكثير ممن يتولى
عليها واهل البيت عليهم السلام ، ومنهم قوم من خزاعة ، وخزاعة
حلف بني هاشم في الجاهلية ، وشيعة علي وبنيه في الاسلام (٣)
وقيل كان في الجند دعبيل الخزاعي (٤) وقيل حرفوش الخزاعي (٥)

(١) كتب مستدركا لا أمل الآمل حجة الاسلام السيد
حسن الصدر طاب ثراه ، وقد ذكر فيه الكثير منهم ، وما يزال
مخطوطاً لم تبرزه المطابع كما ذكر مؤلفاته .

(٢) منجم العمران « ٢ : ٣٦ »

(٣) ومنهم في العراق اليوم في الفرات الاوسط خلق كثير ،
وكانت لهم اماراة واسعة في القرن الماضي ، ولهم اليوم زعامة
كبيرة ، ومنهم في اطراف خراسان جمع كبير والجميع شيعة .

(٤) لعله غير دعبيل الشاعر المعروف لأن دعبيل لم يدرك
ذلك العهد .

(٥) واهل الامراء الحرفوشيين في بعلبك ينتسبون الى
حرفوش هذا .

وكان حامل الراية ، فشهدوا فتوح الشام ، واستقروا مدة في غوطتها ،
وانتقلوا الى بعلبك ، وكانت منهم نصر الخزاعي فيها حين مرور
سبايا اهل البيت من العراق الى الشام (١)

واذا لم يتحقق دخول التشيع فيها ذلك اليوم ، فلا ريب في دخوله
بعد ذلك بقليل ، وهو يوم نفي ابو ذر الى الشام وصار يدعو الى
التمسك بالثقلين الكتاب والعترة ، واخرج الى قراها وضواحيها ، فلم
يثنه ذلك عن المهتاف بذلك الدعوة ، ومن يوم صدوحه بولاه
آل الرسول (ص) اجابه كثير من السوريين ، ومنهم بنو عاملة .

واهل انتشار التشيع في سوريا واستيلائه على جبال عاملة وبلاد
بعلبك يوم تربع على دست الامارة في سوريا بنو حمدان ، وفي مصر
وافريقيا الفاطميون ، ومن تلك الايام - وهو القرن الرابع - رسخ
أساسه في تلك البلاد ، ولم تنسفه معاول الايوبي التي هاجم فيها
التشيع ، وقام علايه في مصر ، وكثيراً من حصونه في حلب وبلاد
الشمال من العراق ولم يتض عليه عدوان السلطان سليم العثماني يوم
تولى عليها عام ٩٢٢ (٢) الذي كانت محاربا للشيعة اينما كانوا واينما
امتد اليه سلطانه ، ولأجل ذلك قد قتل جان بردي الغزالي النائب

(١) العرفان ج ٩ ع ٤ ص ٢٩١ من مقال الكاتب الباحثة
اسكندر معلوف .

(٢) المنجم .

من قبل ملك آل عثمان ناصر الدين بن الحان شيخ الاعراب
والبقاع ، وكان قد نحيل عليه ، وقتل شخصاً آخر من مشايخ العربان
يقال له ابن حرفوش وجز رأسيهما وارسلهما الى ابن عثمان بحلب (١)
إلا ان مثل ذلك لم يطلع منار التثبيح من بعلبك .

ولقد نصر التثبيح بل رفع كعبه في بعلبك الامراء
الحرفوشيون (٢) وهم من اعظم امراء الشيعة في سوريا ، وكانوا
(١) عن مقال - معلوف - نقلاً عن تأريخ مصر لابن اياس
« ١٦٢ : ٣ » من طبعة مصر عام ١٣١٢ هـ ومن ذلك تعرف ان
للحرفوشيين اماره من ذلك اليوم .

(٢) وهل نسبتهم الى حرفوش الخزاعي الذي قيل انه
كان في جيش المسلمين الفانج اسوريا أو ان احد اسلافهم اشتهر
في بعلبك بحرفش أو حرفوش فنسبوا اليه كما زعمه اسكندر
نقلاً عن بعض معمرهم ، وعلى اي حال فهم من خزاعة وهم
يتعارفون مع خزاعة العراق « الخزاعل » وفر بعضهم اليهم في
بعض الحوادث التي هجروا فيها بلادهم . ومنهم الامير جهجاه بن
الامير مصطفى ؛ فقد سار لقتنه في قومه على الحكم وعاد لقتال
البيد حاكم بعلبك ، ومن شعره الزجلي الذي ارسله الى اخيه
الامير سلطان ، ومنه يعلم انهم من خزاعة .

هذلات الخزاعي في بيوت
وذكر منها اسكندر عدة ابيات ، وقال : وهي طويلة ،
فاجابه اخوه سلطان بقوله من قصيدة طويلة :
قال الخزاعي الذي بات ساهر ، ولي قلب اقوى من صفا الجمود
وذكر منها عدة ابيات ايضاً .

أهل القوة والسطوة فيها ، وكانت شعبة جبل عامل يستمدون منهم
في وقائعهم كما سلف .

قال اسكندر معلوف « العرفان ج ٩ ع ٤ ص ٢٩١ » : واول
من ذكر في التواريخ التي بايدينا هو الامير علاء الدين الحرفوشي ،
الذي نال امرة الطباخانة من الرتب العسكرية العليا في ايام ملك
الشرا كسة نحو عام ٧٩٢ هـ ، وكان قائداً لعشران البقاع في موقعة
منطاش المشهورة فقتله منطاش ، وكان قد قتل قبله ابيه واخاه ولم
نلم اسميهما .

وكان قد نال قبله في عصره هذه الامارة من الوطنيين البعلبكيين
علاء الدين بن معبد ، وابن حميد ، ولم نجد للامراء ذكراً إلا بعد
الفتوح العثماني بنحو ثلاثة ارباع القرن ، والظاهر ان السلطان سليمان
العثماني لم يؤمر الحرافضة على بعلبك مناهضته للشيعة .

وقال : وبده حكم الحرافضة الذي ذكره المؤرخون كان
عام ١٠٠١ هـ واول حاكم بينهم في بعلبك الامير علي بن موسى
الحرفوشي ، ومنه تسلسل الامراء الى اليوم ، والمشهور أن الحكومة
العثمانية قرضت هذه الاسرة ، ففي منهم اربع نساء فقط احدها من
كانت حايلاً فاختفت في قرية « الخريبة » قرب بعلبك ، فوضعت
غلاماً سمته اسماعيل ، فمن هذا الامير تسلسل عشرة ذكور ، كانوا
رؤس الاسرة ، وذلك في اوائل القرن الثاني عشر للهجرة ، وبقيتهم

الآن في قرى بعلبك ، مثل « سرعين » و « شعث » و « بودية »
و « النبي رشاده » ولهم بقايا في الاستانة بعد نفيتهم اليها وفي القطر
المصري ، وكانت بأيديهم لوح نحاسي في انسابهم ، أخذه منهم
ابراهيم باشا المصري كما يقال :

وقال : وبده حكم الحرافشة في بلاد بعلبك تاريخاً عام ١٠٠١ هـ
وانتهى فيها في عام ١٢٨٢ ، فتكون مدة حكمهم بنقطع احياناً نحواً
من قرنين وثلاثة ارباع القرن ، واستعمروا بعض القرى ، واتصلوا
بالبقاع أيضاً فعمرت بهم البقاع البعلبكية ، مثل مدينة بعلبك ، وقرى
« سرعين » و « رأس بعلبك » و « البوة » و « الهرمل » والقرى
البقاعية مثل « كرك نوح » و « قب اليأس » و « مشفرة » فحضرها
بعض القبائل البدوية من عرب واكراد ، مثل بني حمية الاكراد
وغـيرهم ، واتصلت بهم امم اخرى من الشيعة من جبل عامل
ولبنان في ايام ضيقهم فاحسنوا وفادتهم .

وقال : واذا برأ كل ثروتهم الواسعة بمظاهرم وجهم للجاء
والمظنة ، وكرمهم الطيبي ، شأن السلاسل العربية الاصل ، فكانوا
اشبه بملوك مستقلين في امارتهم ، ولهم عادات في تحصيل المال
المكسور ، واخذ الحق من القوي للضعيف ، ومن الظالم للمظلوم ،
ومقر امارتهم الرئيسي بعلبك .

وقال : وللحرافشة اباد جميلة في الابنية والتريمات والحصون

ونحوها ، مثل تجديد الامير يونس الحرفوشي لمسجد النهر في بعلبك ،
وعليه تاريخ شعري لسنة ١٠٢٨ هـ وبناء قصر الامير عمر حاكم
بعلبك سنة ١٠٧٧ هـ ، وتشيد دار الامير اسماعيل في بعلبك
عام ١١٤١ هـ .

واشتهروا بجمال الصورة والهيئة والتنافس بالجساد المظلمة
والاسلحة الثمينة ، وتروضوا بالفروسية والصيد ، واشتهروا بالبسالة في
الحروب مما هو مدون عنهم في بطون التاريخ .

وقد ضرب على ايديهم ابراهيم باشا في اواسط القرن الماضي
الثالث عشر ، وأوقفت تيار استبداداتهم الدولة العثمانية في الثالث
الثالث من القرن المذكور ، وتمكنت الدولة المصرية ايام حكمها في
سوريا من نزع عقارات الامراء الحرفوشيين من ايديهم ، وعينت لهم
عوض ذلك رواتب ، ثم تمكنت الدولة العثمانية من نفيتهم الى
الاستانة (١) وجزيرة كريد وغيرها ، فنزعت الحكم من ايديهم ،
وصادرت عقاراتهم وقصورهم .

وقال : (٢) ونبع من هذه الاسرة علماء وشعراء ووفوفون ، منهم
الامير موسى بن الامير علي بن موسى الحرفوشي ، ولي امارة بعلبك
(١) وقد جاء احدهم من الاستانة قبل سنتين الى النجف ،
أي سنتين قبل تأليف الكتاب ، ومضى الى خزانة الفرات
« الخزاغل » ثم عاد .

(٢) العرفان ج ٩ ع ٥ ص ٣٩٠

بعد قتل أبيه ، وكان بطالا شجاعا جواداً مثل أسلافه ، وله وقائع في تاريخ الحرفوشيين ، وتوفي في دمشق عام ١٠١٦ هـ

ومنهم الأمير محمد بن علي بن أحمد الحرفوشي ، وقد ترجمه المحي والبديني وابن معصوم وغيرهم ، نشأ في دمشق ، وكان مولعاً بالعلم ادباً شاعراً لغوياً نحويّاً ، يقصده كثير من الطلبة يقرأون عليه ، وأخرج من دمشق فهرب إلى حلب فالتجّم ، فمظّمه سلطانه الشاه عباس الصفوي ، وأسند إليه رئاسة العلماء في بلاده ، واشتهر بعلومه ومصنفاته ، وتوفي في بلاد إيران عام ١٠٥٩ هـ

ومنهم ولده الشيخ إبراهيم قرأ على أبيه وغيره ، وتوفي بطوس عام ١٠٨٠ هـ انتهى (١)

ولم يتضمّع التشيع في بعلبك لما تقلص ظل الامارة الحرفوشية منها ، وبقي فيها حصين البناء حتى اليوم ، وان أهل بعلبك ليها بهم السوربون لما يعهدونه فيهم من البسالة والشجاعة ، وهم كالعراقيين في كونهم قبائل وعشائر ، ولهم زعماء ورؤساء يوم كانوا يحملون السلاح وحتى اليوم ، وانا انتفّس البسالة فيهم يوم يقدون إلى العتبات المقدسة زائرين ، ولم نخل بعلبك اليوم من الرجال ذوي الشأن (١) وقد ذكر هؤلاء الثلاثة الشيخ الحر في «أهل الآمل»

كما ذكر السيد علي خان في السلافة محمد بن علي وذكر وفاته في شهر ربيع الثاني من عام ١٠٥٩ هـ وذكر له عدة مصنفات وشعراً رقيقاً جزلاً .

والشرف سوى زعماء القبائل امثال آل حيدر (١) وقد نخرج كثير منهم في العلوم الحديثة ففهم الطيب ومنهم الصحفي ، وغير ذلك ، وتولى منهم إبراهيم بك حيدر وزارة الزراعة في إحدى الوزارات اللبنانية ، وأما في الوقت الحاضر ففهم صبحي بك حيدر مديراً المعارف حيث لا وزارة في لبنان اليوم ، وان المدير هو القائم بوظيفة الوزير (٢) وكالسيد أحمد الحسيني الجلي الكسرواني الذي كان وزيراً للعدلية في إحدى الوزارات اللبنانية

(١) وكان منهم في العراق رستم حيدر جاء مع الملك فيصل وهو يهد من حاشيته ومستشاريه ، وكان رئيس ديوانه ، ثم وزيراً للمالية في الوزارة السعيدية الاولى ، والاقتصاد والمواصلات في الوزارة الكيلانية الاولى ، وفي الوزارة المدفعية الاولى ، وكان آخر أمره وزيراً للمالية في الوزارة السعيدية الثالثة فاعتدى عليه موظف كان في الشرطة مفصولاً قبل زمن ، وهو برتبة مفوض شرطة فاطلق عليه طلقات من مسدسة ، وبعد أيام فارق الحياة فكان لفقده رنة أسف وأسى في العراق ، ودفن في المقبرة الملوكية ، وكان ذلك في شهر ذي الحجة من عام ١٣٥٨ ، وهو يعد من خير الرجال ذوي الكفاية والمقدرة والتدبير في كل وظيفة ووزارة يستلم زمامها بيده ، وشأنه في ذلك أشهر من ان يطرى ويعرف .

(٢) ذلك في عهد التأليف .

أيضاً (١) وغيرهم (٢)

ولم ينحصر التشيع في سوريا في البلاد التي جرى عليها الذكر ، بل يوجد اليوم شيعة كثيرون في بيروت ولبنان الصغير وشرق الأردن والقدس (٣) وغيرها نسأله تعالى لهم ولنا حسن التوفيق والسعادة .

الشيعة في مصر

لا بدع لو نقول : إن التشيع دخل مصر في اليوم الذي دخل فيه الاسلام ، لا سيما وقد ذكر المقرئ في خطط مصر (٧٤:٢-٧٥) ان جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله شهدوا فتح مصر ، وعد منهم انقداد بن الاسود الكندي وابا ذر الغفاري ، وابا رافع مولى رسول الله « ص » وابا ايوب الانصاري ، وذكر ان عمار بن ياسر جاءها ايام عثمان ، وهؤلاء من عرفت مجاهرتهم بولاء المرتضى عليه السلام وبالدعوة له فكانت تلك الروح تنمو يوما بعد آخر ، حتى اذا اجتمعت البلاد على عثمان ، وكان ممن جهز عليه أهل مصر ، ولما ولي الامر امير المؤمنين عليه السلام بايعوه بكل رغبة ، ولم يكن إلا النزر من أهلها على غير رأيه .

ومن الدلائل على شيوع التشيع لعلي عليه السلام في مصر قبل ولايته عليها ما ذكره المقرئ في « ١٤٩ : ٤ » وقال : وبعث قيس بن سعد الانصاري على مصر فدخلها مستهل ربيع الاول سنة سبع وثلاثين ، ومصر يومئذ من جيش علي إلا أهل خربت الخارجين ، وما ذكره

(١) وما زال يتمتع بالحياة والصحة ويشغل الوزارة بعد الأخرى .

(٢) وما زال الشيعة مشتركين في وظائف الدولة في عهد الاستعمار الفرنسي وعهد استقلال لبنان اليوم ، وليس في لبنان استثناء في الوظائف ، بل تعطى لابناء البلاد حسب النسبة والقدرة .

(٣) فقد لحقت قرى شيعية من جبل عامل في القدس وما زال منهم طلاب علم في النجف .

ابن الاثير « ٣ : ٦١ » قال في بيان الاقوام الذين جاءوا لمقاومة
عثمان من أهل الكوفة والبصرة ومصر : وجاءهم - أي جاء الى أهل
الكوفة والبصرة النازلين بالقرب من المدينة - ناس من أهل مصر
وكان هوام في علي ، وقال « ٣ : ١٠٦ » في حوادث عام ٣٦ بعد
خطبة قيس وأمر الناس بالبيعة لأمير المؤمنين : فقام الناس فبايعوه
واستقامت مصر وبعث عليها عماله إلا قرية منها يقال لها خربت ، الى
غير ذلك من الشواهد .

فكانت تولية قيس على مصر ثم محمد بن أبي بكر وهما من علمت
بولاتهما لأبي الحسن وأهل البيت وجهادها دونهم أحد الدعام
لارتكاز التشيع في مصر ، فحققت لهذا وذلك بنود التشيع فيها ،
وكانت جنوده ، ولكن ما أسرع ما دانت الأيام عليه ، حيث
وافى مصر عمرو بن العاص - الذي كانت مصر أمينة الوحيدة ،
ومن أجلها ساوم معاوية بالأعلى منها ثمن - ففتح مصر بعد حرب
طاحنة ، وقبضوا على محمد وقتلوه ، ولم يشف أحقادهم ما ارتكبوه منه
حتى جعلوه في جيفة حمار وأحرقوه بالنار (١)
وانت على خبر بما كانت عليه معاوية وابن العاص من عدا
المرتضى وحربه ، وهل يتظاهر الناس بالولاء لأمير المؤمنين عليه السلام
وعمره على مصر .

(١) الخطط « ٤ : ١٥١ » وابن الاثير وغيرها .

نعم مع تلك المجاهرة بعداء أبي الحسن ، وهاتيك الحرب العاتية
كان التشيع باقيا في مصر ، بل استمر طيلة ملك معاوية وهو رصين
الاساس ، يقول المقرئ « ٤ : ١٥١ » فلما قتل علي عليه السلام
واستقر الامر لمعاوية كانت مصر جندها وأهل شوكتها عثمانية ،
و كثير من أهلها علوية .

ولكن لما تعاقب بنو أمية على ملك مصر تغلب فيها أنصارهم
وأهل هوام ، فصاروا يتظاهرون بسب أمير المؤمنين عليه السلام ،
وكان بدء ذلك أيام مروان ، يقول المقرئ (٤ : ١٥٢) بعدما
ذكر استيلاء مروان بن الحكم على مصر : ومن حينئذ غلبت
العثمانية على مصر فتظاهروا فيها بسب علي سلام الله عليه وانكفت
السنة العلوية والخوارج .

فكيف لا ينزوي التشيع في البيوت والملك ورجالهم تطارده
وتحاربه ، فما زال أمير المؤمنين عليه السلام يسب على الأعواد في
مصر من ولاية الأمويين وأشياءهم ما دامت أعلامهم خافقة في مصر ،
بل وبمدها بامد بعيد في بعض كورها - إلا ما كانت من أيام ابن
عبد العزيز - شأن الأمويين في كل بلاد لهم عليه سلطان ، فكان
التشيع لعلي وبنيه عليهم السلام رهن القلوب ، وبين حنايا الضلوع ،
يقول المقرئ « ٤ : ١٥٢ » فلما قتل مروان وانقضت أيام بني أمية
بيني العباس سنة ١٣٣ خدت جرة أصحاب المذهب الرواني وهم

الذين كانوا يسبون علي بن أبي طالب ويبرأون منه وصاروا منذ ظهر
بنو العباس يخافون القتل ، ويخشون أن يطاع عليهم أحد ، إلا طائفة
كانت بناحية الواحات وغيرها فانهم اقاموا على مذهب الروائية
دهراً حتى فنوا ولم يبق لهم الآن بديار مصر وجود البتة .

الشيعة والعباسيون بمصر

لما قوضت اعلام دولة بني مرران ، ونبتت دولة بني العباس ،
نطاعت الشيعة من الزوايا واطهروا ما انطوت عليه القلوب ، زعماء منهم
أن بني العباس على رأيهم في الولاء الي وبنيه ، والذي جعلهم يحسبون
ذلك في بني العباس الرحم الوشيعة بينهم وبين آل أبي طالب .
وما اظهروه بدء الدعوة ومطاردة بني امية من الشعار طلباً بدم الحسين
عليه السلام والانتصار لبني علي عليهم السلام واخذاً بترائهم من
بني امية . فما نهضت دولة بني العباس إلا وجل انصارها وقوادها
وامل طاعتها من العلويين رأياً ومذهباً . ولكن ما استتب للعباسية
أمر الملك إلا وقلبوا لبني علي وشيعتهم ظهر الحزن . فكانوا عليهم
أشد من الامويين عداً وظلماً . وقتلاً وصلباً ، وتعذيباً وحبساً ،
وتشريداً ونفيّاً . الى ما سوى ذلك من ضروب الجور والاضطهاد .
وقد اغتر الشيعة ببني العباس في اول وهلة حين اظهروا الطلب
بدماء اهل البيت ولم يملحوا انهم يسرون حسوا في ارتقاء . وليست

هذه باول مرة يفتر الشيعة بمن يظهر لهم الولاء . ويخطب منهم الود .
حتى اذا عبروا بهم الى ما ربههم . وصفت لهم مجاري المياه ، وقبضوا
على اعنة الحكم . شنوا عليهم الغارة . واوردوهم مناهل العطب .
بدلاً من أن يقدروا لهم الايادي البيض . وحسن الصنيع . ولا ادري
أكان ذلك لسلامة في ضوائر الشيعة . وصفاء في القلوب . أم لسداجة
فيهم . حين لا يبعدون غوراً . ولا يتدفعون بالحزم للايام المقبلة .
ومن الحزم مساواة الظن . كما يقول الصادق عليه السلام .

فلما رأى الشيعة ما يعمل به العباسيون مع العلويين واوليائهم .
صاروا ينتهزون القرص في الوثبة على بني العباس في كل ناحية . فما
وجدوا علويًا يتحفز للوثبة إلا وأخذوا بيده . واعطوه القيادة
من انفسهم .

قدم الى مصر علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن
علي بن أبي طالب عليهم السلام وهو اول علوي قدم مصر . فبايعه
كثير من الناس . وقام بامر دعوتهم خالد بن سعد بن ربيعة بن حبيش
الصدفي . وكان جده ربيعة بن حبيش من خاصة علي عليه السلام
وشيعته (١) ولكن القضاء والقدر حالاً دون قيام دولة علوية في ذلك
العهد . فخابت نهضة هذا العلوي . كما فشلت وثبات غيره من اولاد
الحسين عليها السلام ، تلك الوثبات التي كانت لهم في الكوفة والبصرة

(١) خطط المقرئزي « ٤ : ١٥٣ »

والحجاز واليمن وفارس وسواها .

فكان التشيع في مصر كنور على علم الى ان جاء عهد المتوكل ،
الذي عرف الواقفون على سيرته ما كان يظهره من العداء لعللي
وبنيه ، ويعمله من الفظائع مع العترة الطاهرة وشيعتهم في كل مصر له
عليه سلطان ، يقول ابن الاثير في حوادث عام ٢٣٦ « ١٨ : ٧ » :
وكان المتوكل شديد البغض لعللي ولاهل بيته ، وكان يقصد من
يلغيه عنه انه يتولى عليا واهله باخذ المال والدم ، وقال في فوات الوفيات
« ١ : ١٣٣ » : وكان المتوكل معروفا بالنصب وهجاء الشعراء
دعبل وغيره .

كتب للمتوكل الى واليه بمصر يأمره باخراج آل ابي طالب من
مصر الى العراق فاخرجهم امير مصر اسحاق بن يحيى الختلي لعشر
خلون من رجب سنة ٢٣٦ و قدموا العراق فاخرجوا الى المدينة في
شوال منه ، واستتر من كان بمصر على رأي العلوية ، حتى ان
امير مصر ضرب رجلا من الجندي في شيء فاقسم عليه بحق الحسن
والحسين إلا عفا عنه ، فزاده ثلاثين درة ورفع ذلك صاحب البريد
الى المتوكل ، فورد الكتاب من المتوكل على امير مصر بضرب ذلك
الجندي مائة فضر بها ، وحمل بعد ذلك الى العراق ، وتبع اوالي بعد
ذلك الشيعة فحملهم الى العراق ، ودل على رجل يقال له : محمد بن
علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب انه بويج له ،

فأحرق الوضع الذي كان به ، وأخذ وضرب بعض من بابه
بالسياط ، وأخرج العلوي هو وجمع من آل ابي طالب الى العراق ،
الخطط « ٤ : ١٥٣ و ١٥٤ »

وقال المقرئ « ٢ : ١٠٢ » عند ذكر يزيد بن عبد الله الذي
ولاه المتوكل على مصر : وتبع الشيعة وحملهم الى العراق ، وجرت
على العلويين في ايام ولايته شدائد .

فكيف ترى حال الشيعة اذن والسيوف على رؤسهم ، والضرب
والتبديد نصب اعينهم ، فهل يجهرون بالولاء ، وامامهم كل هذا
الجهد والبلاء .

أقضت دولة المتوكل الذي حارب اهل البيت واوليائه ، فقضى منهم
ما شاء وشاء له شئانه وبفضه ، فحسب العلوية والشيعة بمصر ان
ايام الجور والاعتساف قد تصرمت ، وانهم سوف ينتشقون نسيم
الراحة ، ويرزون من زوايا الاختفاء وجوس البيوت ، ولكن
خابت امانتهم فقد وجدوا من ابنة المنتصر ما لا يحسبون .

قال المقرئ « ٤ : ١٥٤ » كتب المنتصر لما ولي الحكم الى
عامله بمصر ان لا يقبل علوي ضيعة ، ولا يركب فرسا ، ولا يسافر
من القسطنطين الى طرف من اطرافها ، وان يمنعوا من اتخاذ العبيد
إلا العبد الواحد ، ومن كان بينه وبين أحد من الطالبيين خصومة من سائر
الناس قبل قول خصمه فيه ولم يطالب بينة ، ولم تطل أيام المنتصر .

ولكن ما يذكره القريزي لا يتفق مع ما هو المعروف من سيرة
للمنتصر مع العلويين قال ابن الاثير في حوادث عام ٢٤٨ (٣٦:٧):
وأمر المنتصر بزيارة قبر علي والحسين وآمن العلويين وكانوا خائفين
أيام أبيه، وأطلق وقوفهم، وأمر بردفك الى ولد الحسن والحسين، وقال:
وذكر ان المنتصر لما ولي الخلافة أول ما أحدثه ان عزل صالح بن علي
عن المدينة واستعمل عليها علي بن الحسن بن اسماعيل بن العباس بن
محمد، قال علي: فلما دخلت عليه أودعه قال لي: يا علي إني أوجهك
الى حمي ودي ومد ساعده، وقال: الى هذا أوجه بك، فانظر كيف
تكون لقوم وكيف تعاملهم يعني آل أبي طالب.

الى كثير امثال ذلك مما هو مسطور في بطون الكتب ومعروف
عنه حتى اذا قام المستعين من بعده سرح في أيامه والى مصر سنة
رجال من الطالبين الى العراق في رمضان سنة ٢٥٠ ثم اخرج ثمانية
منهم في رجب سنة ٢٥١

ووثب في هذه الآونة افراد من العلويين في مصر، فكان
نصيبهم الفشل وانتقاض الامر عليهم، فمنهم عبد الله بن احمد بن
محمد بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن
أبي طالب عليهم السلام، الذي كان يقال له ابن الارقط، وكان
قد خرج جابر بن الوليد المدلجي بارض الاسكندرية في ربيع الآخر
سنة ٢٥٢، واجتمع اليه جمع كبير والتحق به عبد الله هذا، فقتله

أبو حرمة وضم اليه الاعراب، وولاه (بنا) و (بوسير) و (سنبود)
وبعد حروب جرت بينهم وبين أمير مصر كانت الدائرة على
أبي حرمة، فأسر واستأمن ابن الارقط، فاخذ وأخرج الى العراق
في ربيع سنة ٢٥٣، ففر منهم ثم ظفر به وحبس، ثم حمل الى العراق
في صفر سنة ٢٥٥ (١)

ومنهم بفا الأكبر، وهو احمد بن ابراهيم بن عبد الله بن
طباطبا بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي عليهما
السلام، وكان خروجه بالصعيد في إمرة ارجون التركي، وبعد
حرب نشبت بينه وبين اصحاب ارجون فر هارباً فمات (٢)

ثم خرج بفا الأصغر، وهو احمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا
فيما بين الاسكندرية وبرقة في جمادى الآخرة سنة ٢٥٥، والامير
يومئذ احمد بن طولون وسار في جمع الى الصعيد فقتل بفا في الحرب
وأُتي برأسه الى القسطنطينية في شعبان (٣)

ومنهم ابن الصوفي العلوي ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله
ابن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، خرج بالصعيد

(١) الخطط ٤ : ١٥٤

(٢) نفس المصدر .

(٣) الخطط ٢ : ١١٣ و ٤ : ١٥٤ والكامل لابن

الاثير في حوادث عام ٢٥٥ ٧ : ٧١

ودخل (أسنا) في ذي القعدة سنة ٢٥٥، فبعث إليه طولون بجيش خان
به ابن الصوفي، ثم جهز له جيشاً آخر وبعد الالتقاء انهزم ابن
الصوفي، وترك جميع ما معه، وقتل رجاله، فأقام ابن الصوفي
بالواح سنتين، ثم خرج إلى الأشمونين في المحرم سنة ٢٥٩، وسار إلى
أسوان لمحاربة أبي عبد الرحمن العمري، فظفر به العمري وبجميع
جيشه، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وخلق ابن الصوفي بأسوان، فبعث
إليه ابن طولون بعثاً فاضطرب أمره مع أصحابه فتركهم ومضى إلى
عذاب، فركب البحر إلى مكة فقبض عليه بها، ثم حمل إلى ابن
طولون، فسجنه ثم أطلقه فصار إلى المدينة ثم مات بها (١)

أعادت هذه الوثبات من العلويين في مصر شيئاً من الحياة
إلى الشيعة، فجماعهم بمجرون أحياناً بما يعتقدون، وينبرون المقاومة
بدأ ولسانا، ففي إمارة هارون بن خوارية بن أحمد بن طولون أنكر
رجل من أهل مصر أن يكون أحد خيراً من أهل البيت فوثب إليه العامة
فضرب بالسياط يوم الجمعة في جمادى الآخرة سنة ٢٨٥، وفي إمارة

(١) الخطط ٢: ١١٣ و ٤: ١٥٤ و ١٥٥ والكامل
لابن الأثير في حوادث عام ٢٥٦ ٧: ٧٩ وفي حوادث
عام ٢٥٩ ٧: ٨٦ غير أنه ذكر في نسبة أنه ابن محمد بن علي
ابن أبي طالب عليها السلام، ولم يذكر أنه ابن محمد بن عمر بن
علي عليه السلام كما ذكره المقرئ.

ذكا الأعور على مصر كتب على أبواب الجامع العتيق ذكر الصحابة،
فرضيه جمع من الناس وكرهه آخرون، فاجتمع الناس إلى دار ذكا
في رمضان سنة ٣٠٥ يتشكرونه على ما أذن لهم فيه، فوثب الجند
بالناس فنهب قوم وخرج آخرون، ومحي ما كتب على أبواب
الجامع، ونهب الناس في المسجد والأسواق وافطر الجند يومئذ.

وما زال أمر الشيعة يقوى بمصر إلى أن دخلت سنة ٣٥٠ ففي
يوم عاشوراء كانت منازعة بين الجند وبين جماعة من الرعية عند
قبر «كلثوم» (١) بسبب ذكر السلف والنوح، قتل فيها جماعة
من الفريقين، وتعصب السودان على الرعية فكانوا إذا لقوا أحداً
قالوا له من خالك، فإن لم يقل معاوية وإلا بطشوا به، ثم كثر القول
معاوية خال علي، وكان على باب الجامع العتيق شيخان من العامة
يناديان في كل يوم الجمعة في وجوه الناس من الخاص والعامة معاوية
خال وخال المؤمنين وكتب الوحي وردف رسول الله صلى الله
عليه وآله، وكان هذا أحسن ما يقولونه، وإلا فقد كانوا يقولون:
معاوية خال علي من ههنا، ويشيرون إلى أصل الأذن، ويلقون
أبا جعفر مسلماً الحسيني فيقولون له ذلك في وجهه، وكان بمصر

(١) ذكر ابن جبير في رحلته عند ذكر المشاهد في مصر
مشهدين لموليتين تسميان بام كلثوم أحدهما ابنة القاسم بن محمد
ابن جعفر الصمدق عليه السلام والآخرى ابنة محمد بن جعفر
عليه السلام.

اسود يصيح دائماً معاوية خال علي ، فقتل بنيس ايام
القائد جوهر .

ولما ورد الخبر بقيام بني حسن بمكة ومحاربتهم الحاج خرج
خلق من المصريين في شوال فلقوا كافور الاخشيدي باليدان ظاهر
مدينة مصر ، وضجوا وصاحوا معاوية خال علي ، وسألوه ان يبعث
لنصرة الحاج على الطالبيين .

وفي سنة ٢٥٦ كتب في صفر على المساجد ذكر الصحابة
والفضل فامر كافور الاخشيدي بازالته ، فحدثه جماعة في اعادة
ذكر الصحابة على المساجد فقال : ما احدث في ايامي ما لم يكن ،
وما كان في ايام غيري فلا ازيله ، وما كتب في ايامي ازيله ، ثم امر
من طاف في المساجد وازاله من المساجد كلها (١)

فما كان ذلك التساب والتحريش والجدال ، والنهب والقتال ،
إلا لظهور التشيع وارتفاع مناره ، فكان ذلك سبباً لتمام مناوئته
عليه ، واظهارهم الشنآن والبغض اليه وبنيته عليهم السلام ، وكفى
من ذلك البغض ان يصرخوا دائماً معاوية خال علي ، وان كافور
مع تعصبه على الشيعة اضطر لمصانعتهم لتكثرتهم وتقوي أمرهم ، وخاف
عقبى التمالى عليهم .

(١) المخطوط د ٤ : ١٥٦

السيرة والفاطميون بمصر

قامت الدولة الفاطمية بافريقية ، وبثت الدعوة بمصر ، فاجابها
وكاتبها كثير من المصريين ، وهاجموا مصر عدة مرات فما استطاعوا
فتحها ، حتى اذا مات كافور ولم يبق على مصر امير يدبر أمرها
كاتبوا المعز لدين الله الفاطمي ، فزحف قائده جوهر على مصر فوقف
دونه الاخشيدي والكفورية بعد ان اعطاهم الامان فرفضوه ، وبعد
حرب طفيفة تغلب عليهم ، واعلن الامان لاهل مصر ، ففتحوا
الاسواق وسكن الناس كأن لم تكن فتنة ، وكانت دخوله لمصر
عام ٣٥٨ ، انظر الكامل لابن الاثير في حوادث هذا العام .

دخل القائد جوهر الى مصر وبني القاهرة ، فاعلن التشيع قبل
أن يأتي اليها المعز لدين الله الفاطمي ، فمن مذهب التشيع الذي هدف
به ، وآثارها التي نشرها ما امر به من الاذان في جميع الجوامع
« بحمي على خير العمل » (١) والاعلان بتفضيل علي عليه السلام على
غيره ، والجهار في الصلوة على النبي وعلى علي وفاطمة والحسين عليهم
الصلوة والسلام .

(١) سبق منا البرهان على ان هذا الفصل من فصول الاذان

وامر الامام بجوامع مصر ان يجهر بالبسملة في الصلوة وكانوا
لا يفعلون ذلك ، وزيد في صلاة الجمعة القنوت في الركعة الثانية .
واما المواريث فامر بان يعمل بها حسبما يلي ، أن لا يرث مع
بنت الميت أخ له ولا أخت ولا عم ولا ابن عم ولا ابن أخ . وان
لا يرث مع الولد إلا الزوج أو الزوجة والابوان أو الجدان ، وان
لا يرث مع الام إلا من يرث مع الولد .

وخاطب ابو طاهر محمد بن احمد قاضي مصر : القائد جوهر في
بنت وأخ كان قد حكم قديماً فيهما بالنصف للبنت وبالباقى للأخ ،
فقال : لا افعل ، فلما ألح عليه قال له : ايها القاضي انما هذا عداوة
لفاطمة عليها السلام ، فامسك ابو طاهر ولم يراجع به بعد في ذلك (١)
وفي ربيع الاول سنة ٣٦٢ عزز سليمان بن عروة الخنيسب جماعة
من الصيارفة ، فشنبوا وصاحوا معاوية خال علي بن ابي طالب ، فهم
جواهر أن يحرق رجة الصيارفة ولكن خشي على الجامع (٢)
هذا كله والخليفة الفاطمي المعز لدين الله بعد في افريقيا ، فلما
وافى مصر ونزل بقصره من القاهرة المعزية أمر في شهر رمضان

(١) المخطوط « ١٥٦ : ٤ » وكامل ابن الاثير في حوادث
عام ٣٥٨ .
(٢) المخطوط « ١٥٦ : ٤ »

عام ٣٦٢ (١) فكتب على سائر الاماكن بمدينة مصر : خير الناس
بعد رسول الله صلى الله عليه وآله امير المؤمنين علي بن ابي طالب
عليه السلام ، وأمر بأن يعل في الجامع الازهر (٢) مختصر أيبه
في الفقه عن أهل البيت ، ويعرف هذا المختصر بالافتصار (٣) الى غير
ذلك مما يطول شرحه .

وقد أمر بامور اخرى مما تشهد بتمسكه بالدين وعمله بنظام
الشريعة كلبس النصارى واليهود القيار (٤) وان يشدوا الزنار في
اوساطهم ومنع من عمل الفقاع ويبيع في الاسواق ، ومن ان يدخل
أحد الحمام بغير منزر ، وان تكشف امرأة وجهها في طريق ، وان
تشي خاف جنازة ، وقبض على جماعة وجدوا في الحمام بلا منزر
فضربوا وشهروا (٥) الى غير ذلك .

فيمثل هذا استمرار ، وعلى مثل ذلك جرت سيرته الى ان لحق

(١) وكان دخوله الى القاهرة في الخامس منه انظر الكامل
في حوادث عام ٣٦٢

(٢) أسس هذه المدرسة الكبرى ووقف لها الوقوف العظيمة
القائد جوهر ووسع فيها وفي وقوفها الفاطميون ؛ كل ذلك
ليدرس فيها فقه آل البيت وذهبهم .

(٣) المخطوط « ١٥٦ : ٤ »

(٤) وهو علامة اهل الذمة وغيارم السواد .

(٥) المخطوط « ١٥٧ : ٤ »

بر به (١) وقد بلغ من العظمة والشأن في أيامه أن دعي له بالمغرب
كله وديار مصر والشام والحرمين وبعض أعمال العراق .

ولما انتهت الخلافة إلى الحاكم بالله كانت مظاهره في التشييع أكثر
وأعماله في سبيل إعلائه أوفر ، ومع ذلك كله فقد سمح للناس بأن
يجري كل على مذهبه ، ويعمل حسب اجتهاده ، وفتح دار الحكمة
كلية - بالقاهرة ورتب فيها المدرسين وفقه واللغة والطب والتنجيم
والنحو والقراءة وغيرها ، وحملت إليها الكتب من خزائن القصور ،
حتى حصل فيها من الكتب في سائر العلوم ما لم ير مثله مجتمعاً ،
ودخلها الناس لتحصيل ، وأجرى على من فيها الارزاق السنية ،
وجعل فيها كل ما يحتاجون إليه من الحبر والأقلام والحابر والورق (٢)
وهذه من محاسنه التي سجلها له التاريخ ، وأضف إليها ما شدد
به التكبر من بيع الفقاع ، ومنع النساء من اتباع الجنائز ، ومن
زيارتهم للمقابر ، فلم ير في الأعياد بالمقابر امرأة واحدة ، ومنع الناس

(١) وكانت وفاته في القاهرة لاربع عشرة خلت من ربيع
الآخر عام ٣٦٥ وكان مولده بالمهدية بأفريقية في ١١ رمضان
عام ٣١٩ ، وكانت مدة خلافته بالمغرب وديار مصر ٢٣ عاماً و ١٠
أيام ، المخطوط (٢ : ١٦٧) وأما قائده جوهر فقد امتدت حياته
إلى عام ٣٨١ وفيها كانت وفاته انظر تاريخ أبي الفداء (٢ :
١٣٥) .

(٢) المخطوط (٤ : ١٥٨)

من الفناء والهبوط ويبيع الثغنيات ، ومنع النصارى من ركوب الخيل ،
وان لا يستخدموا مسلماً ، ولا يشترؤا عبداً ولا أمة ، وتبست آثارهم
في ذلك فلم منهم علة ، ومنع من تقبيل أحد له الأرض ، وان
لا يقبل ركابه ولا يده (١)

فعل هذا ومثله اقتضت أيامه ونصرت دولته ، فكم مرة منع
من سب السلف وعاقب عليه ، وكم أمر بمحو ما يكتب منه على
الحيطان والمساجد ، وبقطع الألواح التي ينقش عليها من ذلك .
وفي أيامه خطب له قرواش بن القلندر بن المسيب أمير بني عقيل
بأعماله كلها ، وهي الموصل ، والانباء ، والمدائن ، والكوفة ،
وغیرها (٢)

فعل مثل ذلك ونظائره كانت تسير أيامهم ، وعلى تلك السنين
نهج جميعهم ، وبالإشارة إلى تلك الشؤون غنى عن الاطناب فيها ،
إذ ليس القصد أن تستقصى أحوال الدولة الفاطمية ، وإنما الغرض
الاقصى أن نعرف سير التشيع في أيامهم ، فمن أجزائهم للكثير من

(١) المخطوط (٤ : ٧٣)

(٢) كما ذكر ذلك أبو الفداء (٢ : ١٤٧) ، وقد فقد
الحاكم ليلة السابع والعشرين من شوال عام ٤١١ ، وعمره ٣٦
ربيعاً وأشهر آ . وخلافته ٢٥ عاماً وإياماً . فانه ولد عام ٣٧٥ ،
وتقلد الخلافة وهو ابن ١١ عاماً و ٥ أشهر و ٦ أيام . المخطوط
(٤ : ٦٨) وتاريخ أبي الفداء (٢ : ١٥٨)

الاهمال التي ذكرنا شيئاً منها قوي التشيع وتقلب على مصر ، وكاد
ان يستولي عليها اجمع .

وابن اظهر مصداق لهذه الكلمة الدارجة « الناس على دين
ملوكهم » هي مصر ، فانها في المذهب والرأي تقلبت مع ارباب
الدولة ورجال السلطة ، فقد وافقت الامويين ، وجارت العباسيين ،
وتظاهرت مع الفاطميين ، وافقت مع الايوبيين ، وهكذا تجاري
الملوك ، وتسابر الامراء ، في كل آن وزمان الى الوقت الحاضر .

وان الفاطميين مظاهر في التشيع كانت من أقوى الاسباب
لتشره في مصر ، - منها - يوم عاشوراء ، وان اظهار شعائر الحزن
يوم العاشر من المحرم لم يكن اول من أمر به الفاطميون في مصر ،
بل ان الشيعة كانت عليه ايام الاخشيديين وكافور ، انظر الخطط
٢٥ : ٢٩٠ وانما اتسع نطاقه في ايامهم ، فكانت مصر في
دولتهم في اليوم العاشر من المحرم تبطل البيع والشراء ، وتعطل
الاسواق ، ويجتمع أهل النوح والنشيد ويطوفون بالازقة والاسواق ،
ويأتون الى مشهد كثوم ونفيسه (١) وغيرهما وهم نائحون باكون ،

(١) قال ابن خلكان : هي ابنة الحسن بن زيد بن الحسن
ابن علي عليها السلام ، زوجة اسحاق بن جعفر الصادق عليه السلام ،
دخلت مع زوجها الى مصر ، وقيل مع ابيها ، وكانت من النساء
الصالحات التقيات ، ويروى ان الشافعي لما دخل مصر حضر اليها
وسمع منها الحديث ، وكان المصريين فيها اعتقاد عظيم . وهو الى
الآن باق كما كان وكانت وفاتها في شهر رمضان عام ٢٠٨ .
وقبرها معروف باجابة الدعاء عنده . وهو مجرب رضي الله عنها .

ويضون الى الجامع الازهر أو الى دار الخليفة ، وربما حضر الخليفة
وهو حاف وعليه شعار الحزن ، فيقرأ مقتل الحسين عليه السلام ، ثم
ينشد الشعراء ما قالوه في الحسين وأهل البيت عليهم السلام الى أن
ينتصف النهار فيدعى الناس الى مأدبة الخليفة ، ولا تكون المائدة
كوائد الاعياد ، من فرش احسن البسط واختيار انفس الاطعمة
وتوفر الالوان ، وغير ذلك من مظاهر الملوكية وابهة السلطنة ، بل
تفرش الحصر ، ويمد سباط الحزن ، ويغير لون الخبز عمداً ، ويجملون
على السباط الباناً ساذجة وجيناً وعسلاً وامثال ذلك ، ثم يخرجون بعد
تناول الطعام على تلك الهيئة التي كانوا عليها من النوح والبكاء ،
ويستمر الحال الى ما بعد العصر (١)

ومنها يوم الغدير ، وهو اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة ،
الذي اقام فيه الرسول صلى الله عليه وآله علياً خليفة من بعده وإماماً
وهادياً ، والبويهيون في العراق قد سبقوا الفاطميين الى تأييد هذا
اليوم واقامته عيداً يظهر فيه مراسيم الزينة .

ولو اردنا ان نسطر جميع ما كان يصنعه الفاطميون في هذا اليوم
لخرجنا عن خطة الكتاب غير اننا نوجز البيان عنه .

يخرج الخليفة في هذا اليوم على احسن بزة واجمل هيئة ، وقد
أعد لا كابر الدولة والقضاة وعامة الناس مجلس قد فرش باخر البسط ،

(١) انظر الخطط « ٢ : ٢٨٩ - ٢٩١ »

ونصب فيه مئبر فيجلس عليه القاضي والمطاء حوله ومن بعدهم الامراء
والاجناد ثم عامة الناس ، ويجلس الخليفة في محل يشرف المجلس .
ثم يصعد الخطيب فيتلوا خطبة النبي (ص) التي خطبها ذلك اليوم ،
ويذكر اصعاد أمير المؤمنين اليه ، ويصف تلك الحال وما قاله
النبي (ص) في حقه ، فاذا نزل القاضي صلى بالناس ركعتين ، ثم
يجرون مراسم التهانني من التصافح وغيره .

وفي هذا اليوم يزوجون الأيامى ، وينعمون على الفقراء والمساكين ،
ويفرقون الهبات على كبار الدولة والامراء والرؤساء والضيوف
والاساتذة والمدرسين وغيرهم ، وينحرون ويعتقون الرقاب ، الى
امثال ذلك من اعظام هذا اليوم ، واجراء مراسم التهانني ، وتوفير
الصلوات والهبات ، وعلى مثل ذلك يجري الوزراء واكابر الدولة (١)
فينفق الخليفة في هذا اليوم ما لا يحصى من الاموال ، ومثله الوزراء
وكبار الدولة .

ومنها انهم كانوا يحملون ايام مولد النبي وعلي والزهراء
والحسنين عليهم السلام اعياداً ومواسم جليظة ، ينفقون فيها الاموال
الجسيمة ، ويظهرون فيها الجندل والبشر ، ويعمل الناس مثل عملهم
من الاطعام وصنع الحلوى وغير ذلك من اظهار شعائر الاعياد .
ومنها ، انهم نصبوا قنهاء يملكون الناس فقه اهل البيت ، واجروا

(١) الخطط ٢ : ٢٢٢ و ٣٨٩

لهم رواتب ومخصصات سنية ، وانفقوا على المتعلمين والحضور لاستماع
الحديث الاموال الجليظة .

فهذا ومثله جعلوا التشيع يسير في مصر ويستولي على البلاد ،
ويكون مذهب اهل البيت المذهب المعروف بين عامة الناس .

وان المشهور بين ارباب السيرة والتاريخ - ولم تتحققه - أن
الفاطميين كانوا اسماعيلية في المذهب والرأي ، وصاروا على مذهب
الامامية ايام الوزير ابي علي الافضل بن امير الجيوش بدر الجمالي
الامامي المذهب في دولة الحافظ لدين الله ، ولما قتل الوزير عام ٥٢٦
عاد المذهب اسماعيليا ، وكيف كان فان المذهب الامامي في دولتهم
كان ينتشر ويسرع في سيره ، من دون ان يجد عشرة في سبيله ،
أو يشاهد حاجزاً دون قصده .

ولو اردنا أن نقيم الادلة على انتعالم المذهب الاثني عشري
لهكان لنا مقسم من القول ، كما أن الزعم بانهم اسماعيليون مذهباً قد
يكون له وجه من التاريخ ، غير ان آثارهم في الامامية أظهر .

الشيعة والايوبيون بمصر

كانت الشيعة مخبئة على القاهرة ، وضارباً أطناباً في القرى والبلدان ، الى ان قوي صلاح الدين يوسف الايوبي ، وبلغ من الشأن ان اتوزره العاضد لدين الله الفاطمي ، فكان جزاؤه منه حينما عرف من نفسه اقوة والقبلة ان حجب على العاضد ومنعه من الخروج واستلب جميع ما لديه من الصفايا والاموال حتى لم يبق عنده إلا فرساً واحداً ، وبعد ذلك استلب منه ، ثم شرع في قلب الدولة والدعوة للمستنصر بامر الله العباسي بيفداد ، فساعده الطالع على ما اراد ، فدعا للعباسي والفاطمي مسجى على فراش المرض فلم يعلم بالحال حتى جاءه الموت (١) ولما تمهدت للايوبي قواعد الدولة اوقع بالامراء والجند ، وانشأ بمدينة مصر مدرسة للفقهاء الشافعية ، واخرى المالكية ، وصرف قضاة الشيعة كلهم ، وفوض القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس المارني الشافعي ، فلم يستتب عنه في اقليم مصر إلا من كان شافعي (١) وذلك عام ٥٦٧ الخ طط (٣ : ٣٧٩) وابن الاثير وغيرهما

المذهب (١) فنظاير الناس من ذلك اليوم بما كان عليه هوى الملك ، وكيف لا يختفي مذهب اهل البيت والايوبي يستقدم العلماء الذين على رأيه ، ويبنى المدارس ويخصص لها الرواتب ، ويحمل الناس على عقيدة الاشعري ، ومن خالف ضربت عنقه ، وساعد على ذلك ان السلطان نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي تنصب فنشر مذهب ابي حنيفة في بلاد الشام ، فما زال من ذلك الوقت تنتشر مذاهبهم وتقوى ، وزداد فقهاؤهم ، وتكثر بمصر والشام ، وجروا على ذلك في جميع البلاد ، التي لهم عليها سلطان ، وعودي من مذهب بغيرها وانكر عليه . ولم يول قاض . ولا قبلت شهادة أحد . ولا قدم للخطابة والامامة والتدريس انسان مالم يكن مقلداً لاحد المذاهب الاربعة . وافنى فقهاؤهم في طول مدة الايوبيين وبعدم بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ما عداها (٢)

وما قنع الايوبي بما ارتكبه من الفاطميين ومذهب اهل البيت حتى ناصب العداء لبيت الطاهر نفسه . فقابل الشيعة والفاطميين بالعكس مما كانوا يعملونه يوم عاشوراء . قال المقرئ (٣ : ٣٨٥) : كان الفاطميون يتخذون يوم عاشوراء يوم حزن تنعطل فيه الاسواق

(١) وقال ابن الاثير في حوادث عام ٥٦٦ : ١١ : ١٣٧ : عزل قضاة المصريين و كانوا شيعة واقام قاضياً شافعيًا في مصر فاستناب الشافعية في جميع مصر في العشرين من جمادى الآخرة . (٢) انظر الخطط (٤ : ١٦١)

ويعمل فيه السباط العظيم المسمى سباط الحزن ، وكان يصل الى الناس منه شيء كبير . فلما زالت الدرلة انزع الملوك من بني ايوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسعون فيه على عيالهم وبقسطون في المطاعم . ويصنعون الحلوات . ويتخذون الاواني الجديدة . ويدخلون الحمام جريا على عادة اهل الشام . التي منها لهم الحجاج ايام عبد الملك بن مروان . ليرغموا بذلك آناف شيعة علي بن ابي طالب . الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن على الحسين بن علي . لانه قتل فيه . وقد ادر كنا بقايا مما عمله بنو ايوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط .

لا أدري اذا كان الايوبيون اعداء بني فاطمة فهل ساء لهم ان يعادوا الرسول واهل بيته ولماذا صنعوا يوم مقتل الحسين عيداً وقد بكاه الرسول وحزن عليه قبل ذلك اليوم بعشرات السنين والحسين في الاحياء . وان الاغرب ان يطرى الايوبي ويكال له المدح جزافاً وهو صاحب يوم عاشوراء . فانا لله وانا اليه راجعون .

مصر والتشيع اليوم

بتلك الاعمال القاسية ودواها عهداً طويلاً نسي التشيع من مصر . وانمحي اثره . غير ان فيها اليوم ثلة من الشيعة . وهم بين مهاجر اليها وحديث عهد بالتشيع . وان عامة المصريين يميلون لاهل

البيت . غير انهم لا يجدون من يعرفهم حقيقة هذا البيت الطاهر . وينصح لهم عن منازلهم من الله ورسوله صلى الله عليه وآله . ولهم مظاهر بالحب والليل كثيديد المشاهد المنسوبة لاهل البيت كشهد رأس الحسين عليه السلام (١) ومشهد السيدة

(١) قال المقرئ في « ٤٨٣ : ٢ » : إن الافضل بن امير الجيوش لما ملك القدس ودخل عسقلان وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن علي فاخرجه وعطره وحمل في سقطة الى اجل دار بها وعمر المشهد ، فلما تكامل حمل الافضل الرأس الشريف على صدره وسعى به ماشياً الى ان احلته في مقره ، وكان حمل الرأس من عسقلان الى القاهرة يوم الاحد ثامن جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هـ ، وبذكر ان هذا الرأس الشريف لما اخرج من المشهد بعسقلان وجد دمه لم يجف ، وله ريح كريخ المسك ، وقال : وكانوا ينحرون يوم عاشوراء عند القبر الابل والبقر والغنم . ويكثر من النوح والبكاء ويسبون من قتل الحسين ، ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم ، ثم ذكر له بعض البركات المشاهدة المرئية .

وقال ابن بطوطة في رحلته « ٢١ : ١ » : ومن المزارات الشريفة المشهد المقدس العظيم الشأن حيث رأس الحسين بن علي عليها السلام وعليه رباط ضخيم عجيب البناء ، على ابوابه حلق الفضة وصفائحها ايضاً كذلك ، وهو موفى الحق من الاجلال والتمظيم ، وقال ص ٣٤ عند ذكر القدس الشريف : وبها المشهد الشهير حيث كان رأس الحسين بن علي عليها السلام قبل ان ينقل الى القاهرة . -

زينب (١) وغيرها. وكافأهم على التقيل والابتهاال والتضرع الى الله تعالى
في قضاء الخواارج عند تلك المشاهد. ولربما يخرجون في ليالي الجمع وهم يحملون
الاعلام السود وبايديهم السلاسل الحديدية يضربون بها ظهورهم كما
تصنع الشيعة عند اظهار شعائر الحزن على اهل البيت. ويذهبون
على هاتيك الحال التي هي مظهر الشجى والحزن الى قبر السيدة
زينب. الى ما سوى ذلك من امثال هذه الشعائر والمظاهر التي
تدلنا على شدة ميلهم الى العترة الطاهرة (٢)

ولكن هناك اليوم فئة من ارباب الاقلام وحملة الثقافة الحديثة
تنقم على هؤلاء المساكين هذا الولاء لآل الرسول «ص» وهذه
المظاهر التي ترشد الى الحب والتوجع على ما أصابهم. جريا على
ما جبلت عليه غرائزهم. فكأنما ولاء آل الله والحزن على ما نابهم
- اقول وهو الى اليوم عظيم البناء لا يقصر عن كثير من
مشاهد اهل البيت في العراق عدا مشاهد الاثمة المعصومين
عليهم السلام.

(١) ذكر ابن جبير في رحلته مشاهد كثيرة في مصر
لاهل البيت، ومنها مشهد زينب ابنة يحيى بن زيد بن علي بن
الحسين عليها السلام، وقد بلغني ان له كرامات باهرة مشهورة.
(٢) حكى لي من شاهد واعظا في احد المشهدين رأس
الحسين أو السيدة زينب وحوله جماعة صاغين لحديته مرتاحين
به وهو يسرد عليهم الاحاديث في المهدي وظهوره عجل الله فرجه
وسهل مخرجه.

من الوحشية النافرة والشناعة المفقودة.

وهذه الفئة هي التي تحمل رايات العداء للشيعة. وتلصق بهم كل
عيب وتذنب لهم ما ليس من مذهبهم ولا من عقيدتهم البتة. من
دون ان تستند في ذلك الى ركن وثيق من كتب الشيعة الامامية
التي دخلت كل مصر وانتشرت في كل قطر. وانما تعتمد على كتب
السلف مما جاهر بعداء الشيعة. وهل يصلح ذلك عذراً لها وكتب
الشيعة منشورة بين الناس عامة، ولو كانت تلك الفئة تخلص للمجتمع
وتكتب بحسن نية لرجع احمد أمين عما سوده من صحائف في نيز الشيعة
في كتابه «فجر الاسلام» وقد وعد بان يبيض ما سود يوم زار
التجف الاشرف واعترف بذنبه، وكنا نتنظر بفارغ الصبر ان يقرن
بعين القول والعمل، فلمّا مثل لطبع الجزء الاول من كتابه
«ضحى الاسلام» وحمله البريد الى العراق ووقفنا على ما حرره فيه
وجدناه قد ذر الملح على الجرح، وزاد في تسويد صحائفه الاول التي
جاء بها كتابه فجر الاسلام، فكأنما لم يزد الووقوف على الحق
إلا بعداً عنه، والاعتراف بالخطأ إلا إصراراً عليه.

نسأله تعالى ان يوفق المهدي من أحب الهداية وآثر البصر على
العمى انه سميع مجيب.

الشبهة في ابراه

كانت فارس بعد ما فتحها المسلمون تتهاافت على اعتناق الاسلام،
فما تم فتحها إلا واصبحت من الاقطار الاسلامية، وكانت بدء اسلامها
لا تعرف التشيع بل حتى ايام ابي المؤمنين عليه السلام، فان التاريخ
لم يذكر انهم اشتركوا في حروبه الثلاثة، على انه دعا عماله لنصرته،
كما لم يذكر انهم اظهروا ولاءه في عهده، وهكذا الحال ايام نهضة
الحسن عليه السلام وامارته تلك الليالي القليلة، بل لم يذكر ان
أجداً منهم كان مع الحسين عليه السلام يوم العطف سوى غلام تركي،
وهذا كان غلاماً للحسين عليه السلام ولم يكن جاء لنصرته، على اهم
ذلك العهد كانوا منبئين في الحجاز والعراق.

نعم ان التشيع كان يسائر الاسلام كثفاً لكثف، ويدخل معه
حيث دخل جنباً لجنب، غير انه ربما أبطأ سيره في بعض البلاد، كما
هو في فارس أول عهده، وإنما ظهر التشيع فيها بعد القرن الاول من
الهجرة، ايام الباقر والصادق عليهما السلام وردلة بني امية فقد كان

لها شيعة في فارس يكتبون اليها بالمسائل، ويحملون اليها حقوق
الاموال، واول ما ظهر بخراسان، وهم الحجر الاساسي لصرح الملك
العباسي، وبعد ان تغلب بنو العباس على البلاد كان اكثرهم شيعة
لهم، فان التشيع أول بزوغه لم يكن إلا موالاة علي واهل البيت،
وكانوا لا يرون اهل البيت إلا بني هاشم، فلا يعرفون فرقاً بين
علوي وعباسي، وما اتضح الفرق، وعرف الناس من هو المقصود
من اهل البيت «الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»
والذين هم أحد الثقلين، ومن أمر النبي «ص» بوجوب التمسك بهم
والركوب في سفينتهم، إلا بعد زمان مضى من دولة بني العباس،
ولا يعرف يومئذ حقيقة الموالاة ومن هم اهل البيت الا اهل البصائر
والخواص من ارباب الولاء.

نعم ان هناك فرقاً جلياً بين فريقين - اشباع بني امية -
و - اشباع بني هاشم - فكان جل فارس تبغض الامويين وتوالي
الهاشمين، بعد ما لمسوا من بني امية وولاتهم سوء السيرة والسيرة،
وشاهدوا الاعمال المنكرة التي بعث الرسول «ص» لازالتها من على
البسيطة، واستئصال شأفتها من جسم المجتمع البشري، وما كانت
نمضتهم مع يحيى بن زبد لانه حسيني علوي فحسب، بل لانه هاشمي
يناهض البيت الاموي. اللهم إلا عند نفر قلائل. لان عامة فارس
يوم ذاك تجهل معرفة اهل البيت على الوجه الاكمل. وما ظهر التشيع

بمعناه الخاص إلا بعد مجيء أبي الحسن الرضا عليه السلام إلى إيران .
وكان المأمون غير مدافع لأرباب الولاء عن حضورهم لديه وتهاقهم
عليه . فكان الوصول إليه والاجتماع به ومناظرة العلماء له في فنون
العلم بأمر المأمون وفاج المناظرين وانقطاع حججهم ، وظهور كراماته ،
ومشاهدة فضائله ، بلغت ذوي البصائر إلى إحقيقته بالأمر ، وأنه وآبائه
معدن العلم النبوي ، وخزان الوحي ، والائمة حقاً ، ففي أيامه ارتفع
منار التشيع في قم ، وقضت دوراً معها وهي تحتوي على جملة
العلماء وثقات الرواة .

على أن الإمام عليه السلام لم تزد إقامته في خراسان على السنتين
فظهرت له مع قصر المدة من الفضائل ما أرغمت الناس على الاعتقاد
بإمامته ، فلما وقف المأمون على ما عرفه الناس من فضل أبي الحسن
عليه السلام خشي أن يظهر أمره فيصبح والناس من حوله هائفة بإمامته ،
فدبر الأمر باغتياله بالسم ، فكان ماذبر وأراد .

فمن ذلك اليوم أخذ التشيع يسير وينتشر ، ولكنك خير بما
كان عليه العباسيون من الحرب لبني علي عليهم السلام وشيعتهم ،
فكانت سيرتهم تلك حجر عثرة في طريقه أحياناً .

وقد تكونت من الشيعة دول وإمارات في فارس أخذت بيده
وعاضدته ، وبنت على أسسه الثابتة . وأقامت أركانه . أمثال الإمارة
الطاهرية . والدولة العلوية . والسلطنة البويهية . والحكومة المغولية .
وغيرها .

الإمارة الطاهرية في هرات

مؤسس هذه الإمارة ، ورأس هذه الأسرة ، واليه تنسب ،
هو القائد طاهر بن الحسين الخزاعي ، ولده المأمون هرات وقاعدتها
خراسان عام ٢٠٥ ، وكان ذلك بعد ما فتح له بغداد ، وقتل الأمين ،
واستقرت البلاد المأمون ، ورجع إلى عاصمة ملكهم بغداد .

وتولى هرات من الطاهرية عدة أمراء ، وهم طلحة وعبد الله
أبنا طاهر ، وطاهر بن عبد الله بن طاهر ، ومحمد بن طاهر ، وفي أيامه
ضعفت إمارتهم ، فاستولى عليه يعقوب بن ليث الصفار حين حاربه ،
فقبض عليه وعلى أهل بيته ، وانقرضت إمارتهم بقبضه عام ٢٥٩ ،
وكان يتولى بعض أعمال هذه الولاية منهم بعض الأمراء كعبد الله
ابن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، وسليمان بن عبد الله وغيرهما .

قال ابن الأثير في حوادث عام ٢٥٠ : « ٧ : ٤٠ » في الحرب
التي وقعت بين الحسن بن زيد العلوي الذي ظهر بالديلم ، وبين
سليمان بن عبد الله الطاهري : ولما نشبت الحرب بينهم سار بعض
قواد الحسن نحو سارية فدخلها ، فلما سمع سليمان الخبر انهزم هو ومن
معه ، وترك أهله وعياله وقله وكل ماله بسارية ، واستولى الحسن
وأصحابه على ذلك جميعه ، إلى أن قال : وقيل أن سليمان انهزم
اختياراً ، لأن الطاهرية كلها كانت تشيع ، فلما أقبل الحسن بن زيد

الى طبرستان تأثم سليمان من قتاله لشدة في التشيع ، وقال :

نبئت خيل ابن زيد اقبلت حيناً تريدنا لتحسينا الامر بنا
يا قوم ان كانت الانباء صادقة قالويل لي وجميع الطاهرينا
اما انا فاذا اصطفيت كتائبنا اكون من يديهم رأس المولينا
قالعذر عند رسول الله منبسط اذا احتسبت دماء الفاطميننا
واخبار الطاهرية ملء كتب التاريخ ، وشأنهم في البسالة
والفتوح لا يجهل ، ويسير التشيع في ركابهم ايها ساروا .

الدولة العلوية في الديلم

الحسن بن زبير

ولي الامر في الديلم اربعة من العلويين ، اولهم الحسن بن زيد ،
وكان بالري فشخص الى الديلم بدعوة من اهلها ، فاتفقت كلمة الديلم
واهل كلاروشالوس والرويان على بيعته ، فبايعوه كلهم ، وطرردوا
عمال ابن اوس ، فلاحقوا بسليمان بن عبد الله الطاهري ، وانضم الى
الحسن جبال طبرستان كاصمغان وقادشان ، وانضم اليه ايضاً ليث بن
قتادة وجماعة من اهل السفج ، ثم استولى على آمد وكنز جمعه بعد
استيلائه عليها ، وكانت له مع الطاهريين عدة حروب ، فتارة تكون
له الغلبة عليهم ، واخرى لهم عليه ، ومرة يتغلبون على طبرستان ،
واخرى يسلبها منهم ، ولقد استفحل امره حتى ملك الري

- ٢٠٢ -

وجرجان (١)

ولما ضعفت اماره محمد بن طاهر الطاهري وتغلب عليه يعقوب
ابن ليث الصفار قويت شوكة العلوي ، ولكن يعقوب لم يشأ ان
يقر العلوي على ما تحت يده من البلاد ، فجهز جيشاً لقتال العلوي
عام ٢٦٠ فانهزم العلوي ولحق بالديلم واستولى يعقوب على آمد
وسارية ، وسار لطلب العلوي فتعلق بجبال طبرستان ، واعترضت
يعقوب الامطار والارحال فلم يخاض إلا بمشقة وفي عام ٢٦١ رجع
العلوي واستولى على طبرستان ، واستمر مستولياً على هذه البلاد الى
ان وافته الاجل المحتوم في رجب عام ٢٧٠ ، وكانت ولايته ١٩ عاماً
ومائة أشهر وستة أيام (٢)

محمد بن زبير العلوي

ولما قضى الحسن قام من بعده اخوه محمد ، وكانت ايامه كلها
حروباً ووقائع ، فتارة مع الصفارية ، واخرى مع اسماعيل بن احمد
الساماني ، فاصابته جراحات في معركة هائلة كانت بينه وبين محمد بن
هرون الذي تولى حربه من قبل اسماعيل ، وأمر ابنه زيد ، ثم مات

(١) انظر كامل ابن الاثير في حوادث عام ٢٥٠ « ٤٠: ٧ »
وحوادث عام ٢٥١ ص ٥٣ ؛ وعام ٢٥٢ ص ٥٧ وعام ٢٥٥ ص ٦٦
وعام ٢٥٧ ص ٨٢

(٢) ابن الاثير « ١٣٦: ٧ »

- ٢٠٣ -

محمد بن زيد بعد ايام من جراحاته عام ٢٨٧ (١)

ومحمد هذا وقيل اخوه الحسن هو الذي بعث بالاموال الكثيرة
لتشييد المرقدين الطاهر بن العلوي والحسيني ، كما اشرنا الى ذلك في
الكلام على النجف وكر بلاه .

الحسن بن علي الاطرش

ولما توفي محمد بن زيد دخل الديلم الحسن بن علي بن الحسن بن
عمر بن علي بن الحسين عليها السلام ، المعروف بالاطرش ، واقام
فيهم ثلاث عشرة سنة يدعوهم الى الاسلام فاسلم منهم خلق كثير
 واجتمعوا عليه ، وبنى في بلادهم المساجد ، واسلم على يده من الديلم
الذين هم وراء سعيدروز الى ناحية آمد . وهم يذهبون مذهب الشيعة .
وكان سبب صممه انه ضرب على رأسه بسيف في حرب محمد بن
زيد فطرش (٢)

(١) ابن الاثير « ٧ : ١٦٦ » وقال : وقيل حضر عنده
خصمان احدهما اسمه معاوية والآخر اسمه علي ؛ فقال : الحكم
بينكما ظاهر ، فقال معاوية : ان تحت هذين الاسمين خبراً فقال
محمد : وما هو ؛ قال : ان ابي كان من صادقي الشيعة فسباني معاوية
ليكفيني شر النواصب ، وان ابا هذا كان ناصبياً فسباه علياً خوفاً
من العلوية الشيعة ؛ فتبسم اليه محمد واحسن اليه وقربه .

(٢) ابن الاثير « ٨ : ٢٦-٢٧ »

وكانت طبرستان يومئذ تحت سلطة الساماني فاراد العلوي
الاستيلاء عليها . وبعد حرب جرت بينه وبين واليها من قبل الساماني
ظفر العلوي بالجند واستولى على طبرستان . وتسمى بالناصر . ثم
رحلت اليه جنود الساماني من خراسان عام ٣٠٤ قتلوه .

الحسن بن القاسم الداعي

ثم قام من بعده صهره الحسن بن القاسم العلوي ويعرف بالداعي ،
فاستولى على الري واخرج منها اصحاب الساماني . ثم استولى على
قزوين وزنجان وابهر وقم . رظهر في ايامه اسفار بن شيرويه الديلمي
وعظم امره وقويت شوكته . فاستولى على طبرستان . وكان
الداعي بالري . فلما بلغه خبر اسفار عاد ووقعت بينهما حرب دامية
قتل فيها العلوي الداعي . وذلك عام ٣١٦ وكان انهزام معظم
اصحابه على تعمد منهم للهزيمة ، وبذلك كان يأمر اصحابه
بالاستقامة ومنعهم من ظلم الرعية ! وشرب الخمر ! وكانوا يفضونه
لذلك ! وكان عزيمتهم ان يقبضوا على الحسن الداعي وينصبوا ابا الحسين
ابن الاطرش ويخطبوا له ! ولما علم بذلك قتل من اراد هذه
الوقعة منهم .

واحسن اسفار بن عامر هرون بن بهرام يريد الدعوة لابي جعفر
العلوي ، فدعاه اليه وامره ان يتزوج الى احد اعيان آمد ، وبحضر

عرسه ابا جعفر وغيره من رؤساء العلويين ، وضرب له يوماً خاصاً ،
ففعل ذلك ، فوافى اسفار الى آمد وقت الموعد وحجم على حين غفلة
على دار هرون وقبض على ابي جعفر وغيره من اعيان العلويين وحملهم
الى بخاري واعتقلهم بها ، الى ان اخلصوا ايام فتنة ابي زكريا (١)
وتلاشى امر العلوية بالدليم وطبرستان .

فكان بهذه الدولة العلوية للتشيع نمو ورفعة ، ونمو وانتشار .

الشيعة والبوهرية (٢) في ايرانه (٣)

كان ابتداء سلطان آل بويه في شيراز ثم سرى نفوذهم الى

(١) ابن الاثير « ٥٩ : ٨ »

(٢) آل بويه من الديلم ونهضي سلسلتهم النسبية الى الملوك
الكمروية ، وكان ابتداء ملكهم في شيراز عام ٣٢١ وانتهاه
عام ٤٤٧ ؛ واول من ملك منهم الاخوة الثلاثة ، عماد الدولة علي
ابن بويه ، وكانت وفاته عام ٣٣٨ ، ومعه الدولة احمد بن بويه
وكانت وفاته عام ٣٥٦ ، وركن الدولة الحسن بن بويه ، وكانت
وفاته عام ٣٦٦ ؛ وآخر ملوكهم الملك الرحيم ، ويقال : إن قبيلة
« خافان » في العراق تنتمي اليهم .

(٣) قد يحسب الفارسي اننا نريد البحث عن حال البويهيين .
والشيعة في ايران خاصة كما يقتضيه العنوان ، ولكننا عممنا
البحث وذكرنا العراق وغيره لعدم سلطان آل بويه ، وما خصصنا
العنوان في ايران إلا لان البحث عنها .

ايران والعراق ، بل والى جميع بلاد بني العباس ، وكانوا ارباب التدبير
في جميع المملكة على عهد دولتهم ، وليس للخليفة العباسي
إلا مراسيم الخلافة ، وهذا معلوم الشأن ، لا يجهله من سبر شيئاً
من التاريخ .

وكان القسنن في عهدهم يغلب على أكثر البلاد من فارس
والعراق ، وهم على ظهورهم في التشيع لم يحاربوا القسنن ، كما فعل
الكثير من ملوك اهل السنة مع الشيعة ، ومع قوة شوكتهم وغلبتهم
على الخلافة والبلاد أحسنوا السيرة مع الرعية ، ولم يتعصبوا للشيعة
على السنة ، بل وقعت في ايامهم حوادث بين الشيعة والسنة كان
التحريش فيها من السنة ولم يراعوا في ذلك السلطان ، ولم يعاوا بسطوته ،
ولكنهم لم يوقعوا باهل السنة انتصاراً للشيعة .

ولو سبرت تاريخ ابن الاثير والمنتظم ما بعد عام ٤٤٠ لعرفت
تأثير تلك الحوادث على راحة البلاد والسلطان يومئذ لآل بويه ، وهم
أهل الحول والطول .

طبع آل بويه على خدمة المذهب ، شأن الملوك والامراء ذلك العهد
اذا مذهبوا بمذهب ، فانهم ينتصرون لما اتحلوه جهدهم ، وقد
ما اتصل اليه معارفهم ومداركهم ، فكانت ايام آل بويه كلها ايام سعي
وترويج لمذهب اهل البيت ، فتجدد يسلكون كل سبيل لنصرته ،
واعلاء شأن العترة النبوية .

كانوا في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، وهو يوم غدیر خم ،
الذي رقی فيه رسول الله صلى الله عليه وآله منبراً صنعته المسلمون له
من حذوج الابل ، وخطب عليه مبيتاً فضل اهل بيته وفضل المرتضى
الى آخر ما قاله وهو بخطب : الست أولى بكم من انفسكم ، فقال
المسلمون : بلى ، فلما اخذ الاقرار منهم بذلك ، قال : من كنت
مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه .

هذا بعض ما قاله الرسول (ص) في شأن ابي الحسن عليه السلام ،
فكانت الشيعة ترى هذا اليوم عيداً من أجل الاعياد ، لأن
الرسول (ص) نصب فيه المرتضى للناس من بعده اماماً وخليفة وأولى
بالناس من انفسهم ، فكان ملوك الشيعة أجدر باحترام هذا اليوم
واعظامه ، قالوا يهيمون اعظاموا هذا اليوم مجاهدين في تديسه ، وصنعوا
فيه مالا يصنعون في عيد سواه ، من اظهار الفرح والجلل ، ولبس
الخر الثياب ، والتأنيق في المطامير ، وبسط الموائد وعليها اطيب الاطعمة
الرائحة والغاد ، واكثر الانفاق والاعطاء ، الى ما سوى ذلك ما يدعوا
اليه ولاؤهم المرتضى وتبجيل هذا اليوم واعزازه ، وتبعمهم على ذلك
ملوك الشيعة وامراءهم في كل قطر ، ومنهم الفاطميون في مصر .

ويشهد لنا كان عليه الشيعة من تظاهروهم بالجلل هذا اليوم واتخذوه
عيداً ما قاله ابن الاثير في حوادث عام ٣٠٨ هـ : ٥٤٠ وفيها
عمل اهل باب البصرة - محلة ببغداد - يوم السادس والعشرين من

ذي الحجة زيتة عظيمة وفرحاً كثيراً ، وكذلك عملوا ثامن عشر
المحرم مثلاً يعمل الشيعة عاشوراء ، وسبب ذلك ان الشيعة بالكرخ (١)
كانوا ينصبون القباب ، وتعلق الثياب للزينة في اليوم الثامن عشر
من ذي الحجة وهو يوم القدير ، وكانوا يعملون يوم عاشوراء من
المآثم والنوح واظهار الحزن ما هو مشهور ، فعمل اهل باب البصرة
في مقابل ذلك بعد يوم القدير بثمانية ايام مثلهم ، وقالوا : هو يوم دخل
النبي صلى الله عليه وآله وابو بكر الفار ، وعملوا بعد عاشوراء
بثمانية ايام مثلاً يعملون يوم عاشوراء ، وقالوا : هو يوم قتل مصعب
ابن الزبير (٢)

(١) كانت الكرخ محلة واسعة ببغداد في الجانب الغربي
محاطة بسور واهلها كلهم شيعة ليس فيها من غيرهم احد البتة ،
كما يقوله ياقوت في المعجم ، وتسمى الجانب كله بعد ذلك باسمها .
(٢) أي بأس على الشيعة اذا كان يوم الفار يوم عيد ،
ويوم قتل مصعب يوم حزن ، وكيف يكون ذلك مقابلاً ليوم
عاشوراء ، اليس يوم القدير يوماً شهده من المسلمين ما يزيد على
مائة الف وهنأوا عليها بذلك الولاية حتى ابو بكر وعمر فقالا له
بخ بخ لك اصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، فوجب
ان يشترك المسلمون كلهم في سرور هذا اليوم ، واما يوم الحسين
فحقوقي ان يحزن له المسلمون اجمع ، اليس الحسين سبط الرسول
ورب محبته وخاس اصحاب الكساء ومن اهل البيت الذين اذهب
الله عنهم الرجس وسيد شباب اهل الجنة ، وكانت حادثته جادثة

وكان الشيعة كما يقول ابن الاثير : يعملون يوم عاشوراء من
الآثم والنوح واظهار الحزن ما هو مشهور ، ولكن آل بويه عموه
على البلاد كلها وما قصره على الشيعة فحسب ، قال معز الدولة
احمد بن بويه امر الناس في العاشر من المحرم ان يلقوا دكا كينهم
ويطلوا الاسواق والبيع والشراء ، وان يظهروا النياحة ويبسوا
قبابا عملوها بالمسوح ، ففعل الناس ذلك ، انظر ابن الاثير في حوادث
عام ٢٥٢ .

فكيف نرى شأن هذا اليوم والملوك من آل بويه تتخذ يوم
حزن ونياحة وتامر الناس بذلك ، وكيف لا تقوى الشيعة على
الاستمرار على تلك الشعائر والملوك تأخذ بأيديهم .

وكان هذان اليومان مظهرآ شيعياً ومن ثم يؤيدها ملوك الشيعة ،
ويخالفها اهل السنة وجعلوا يومين يحاولون ان يقابلوا الشيعة فيها ،
وان حتى ان لا يخالفوا الشيعة فيها ، كما ان يومي الخلاف لا يصلحان
لخلاف ، ولذا تجد السنة اليوم يشتركون في كثير من مظاهر الحزن
في اليوم العاشر مع الشيعة ، بعد نسيان تلك المقابلات الدميعة المسية
عن التعصب الاعمى .

- موجعة لم يقع مثلها في الدهر ، وكفى باعثا على الحزن واليكا .
عليه ان نواصي الرسول «ص» وتمثل امره ، فقد بكاه وحزن .
عليه ، وامر بذلك قبل ان يقع رزؤه بعشرات السنين .

وما اقتصر آل بويه على خدمة المذهب بمظاهر السرور يوم
الغدیر وشعائر الحزن يوم العاشر من المحرم فحسب ، بل كانوا يبذلون
جهدهم في خدمة اهل البيت من شتى الوسائل ، فكانوا يحترمون
علماء الشيعة بجميع طرق الاحترام من التبجيل والعناية وبذل الاموال
الكثيرة ، حتى ان عضد الدولة كان يركب في موكب العظيم لزيارة
الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان طاب ثراه ، وحتى قال ابن الاثير
في حوادث عام ٣٧٢ : ٩ : ٨ : وكان - أي عضد الدولة - محبا
للعلوم واهلها ، مقربا لهم ، محسنا اليهم ، وكان يجلس معهم يعارضهم
في المسائل (١) فقصده العلماء من كل بلد وصنفوا له الكتب ، ومنها
الابيضاح في النحو ، والحجة في القراءات ، والملاكي في الطب ، والتاجي
في التاريخ ، الى غير ذلك .

وكلام ابن الاثير هذا يشهد بحسب لعامة اهل العلم لا الشيعة
خاصة ، وهذا يرشدنا الى ما قلناه عن آل بويه اولا من انهم لم

(١) ولعل قصده وهو الاعمى تنشيط الحركة العلمية ،
وحمل طلبة العلوم على الجد والتحصيل ، وتكثير اربابها ، ومن
ثم كان مقصداً لرجال العلم ، واهل الان تؤولف باسمه الكتب ، وفي
ذيل كتاب التمهيد للباقلاني في ترجمته ص ٢٤٦ قال ابو عبد الله
وغیره كان عضد الدولة فناخسرو بن بويه الديلمي يحب العلم
والعلماء وكان مجلسه يحتوي منهم على عدد عظيم في كل فن واكثرهم
الفقهاء والمتكلمون وكان يعقد لهم مجالس للمناظرة .

يعارضوا مذاهب أهل السنة ، بل أنه دليل على تأييده لهم من كل مذهب .

واسكنوا الشيعة في المشاهد المقدسة وخصصوا لهم الرواتب ، واجزلوا لهم العطاء ، فإن تلك المشاهد إذا سكنت خف لها القاصدون ، وسهل على الزائرين الإقامة فيها .

واقاموا الابنية الضخمة وعليها القباب الرفيعة لتلك الضرائح العسكرية ، حتى أن عضد الدولة استقام في المشهد العلوي لتعمير المرقد الشريف هو وجنده قرياً من سنة ، فعمره عمارة كانت الغاية في العظمة والفخامة ، والاتقان في ذلك العهد ، وبنى الدور والرباطات ، واجزل العطاء للمولين والعلماء والمجاورين وسدنة المرقد وقوامه ، وأصلح القناة التي أوجدها آل أعين فاشتهرت بقناة آل بويه ، وعلى مثل ذلك جرت أعماله في المشهد الحسيني على من شرف وآله وصحابه أزكى التحيات .

وما زالوا يفسدون هذه المراقدة العسكرية زائرين وهم أحياء ، وتنقل أجسامهم إليها وهم أموات ، وقد وجدت لهم قبور في صحن المرقد العلوي خلف المرقد مما يلي باب الصحن المعروف بباب الطوسي . وجملة القول أنهم اجتهدوا في خدمة المذهب ما استطاعوا ، واحبوا التشيع ما أقدروا ، حتى أن بعض المؤرخين اعترف بانتشار التشيع في عهدهم ، ونكث الشيعة في دولتهم ، وآثارهم في إيران

والعراق شاهدة عليه ، وقد خلاها التاريخ لو اندرست . ومن وقف على تاريخ إيران قبل دولتهم وفي أيامهم عرف ما كان لهم من الأثر الجليل في حفظ التشيع نشرها وكفى لاستقامة التشيع وانتشاره استبصارهم لمثل صاحب بن عباد (١) المزارح في التشيع والتفاف في بيته ، ولو اردنا بسط القول في خدماتهم الدينية والمذهبية ومناصرتهم للتشيع لآتسع المجال ، وخرجنا عن الصدد فإن البيان عن آثارهم تقصر عنه مثل هذه الصحائف النزر .

(١) كان وزيراً لفخر الدولة آل بويه ، وكان طالماً ادبياً متكلماً شاعراً جليلاً القدر في العلم والأدب والدين والدنيا ، اجتمع حوله من العلماء والشعراء ما لم يجتمع حول سواه اللهم إلا سيف الدولة آل حمدان ، ولا جله ألف ابن بابويه طاب ثراه عيون الاخبار ، والشعالي بقيمة الدهر في أحواله وأحوال شعرائه ، وذكر ابن خلكان من مصنفاته كتاب الإمامة ذكر فيه تفضيل علي بن أبي طالب وأثبت إمامته ، وكتاب المحيط في اللغة ، وقد رأيت أنا نسخة منه في مكتبة الشيخ محمد السماوي في النجف نسخها بثلثمائة ، وهو تلخيص كتاب العين للخليل قد حذف منه الشواهد الشعرية وأحسن ترتيبه وتبويبه ، وقد بلغ من شأن المصاحب أن مدحه الشريف الرضي في حياته ورثاه بعد وفاته ، وكانت ولادته عام ٣٢٩ ووفاته عام ٣٨٥ .

الشيعة والمغوليون (١) في إيران

لم تهم دولة ذات شأن بين الدولتين البويهية والمغولية - على بعد الهدد بينهما - تناصر التشيع ، وتأخذ بيده ، بل ربما قامت بعض الدول ذات الحول والطول فقاربت الشيعة وناصبتهم العداء ، كالدولة الساجونية ، وأعمالها في محاربة الشيعة ببغداد وغيرها مسطورة في كتب التاريخ (٢)

بغت الدولة المغولية واستولى هولاكو على إيران ، وحمل على العراق في المرة التالية ، وفضى على بني العباس ، فأعطى الحرية للمذاهب ومنها مذهب أهل البيت في البلاد التي تحت نفوذه كلها ، كان هولاكو يحترم الأديان وأربابها ، ويعظم أهل العلم والصلاح ، وإن كانوا من غير أهل ملته ، ومن ثم جمع بين علماء الفريقين الشيعة

(١) كان ابتداء دولة هولاكو في إيران عام ٦٥٠ ، وانتهاء دولة سلالة بموت أبي سعيد عام ٧٣٦ .

(٢) في تاريخ الحضارة الإسلامية تأليف (فهرست) نقله من التركية حمزة طاهر ص ٨٥ : ضمن السلاجقة تفوق أهل السنة في إيران ولكنهم لم يقدرُوا على إزالة الشيعة منها إزالة تامة فالحقبة بين القرنين الخامس والسادس الهجريين كانت عهد جدال ديني عنيف في إيران .

والسنة يوم جاء فاتحاً للعراق ، وما أباح ببغداد لأنها بلد إسلامي ، فكانت فعلته عداوةً للإسلام ، بل لأنها حاربت وقاومته ، وهو سفاك فتاك ، يفتك في كل بلد يحاربه ويتغلب عليه وإن كانوا من أهل دينه ، فكانت الأديان في عهده كلها حرة ، وبهجه سار الملوك بمن سلطته (١) ، وإن الشيعة ليكفيها في حياتها وحياة مذهب أهل البيت إطلاق الحرية لها فحسب ، وأما المعاضدة والمناصرة من أمير أو وزير فذاك فوق المرغوب فيه والمطلوب .

ولما أطلق هولاكو للأديان والمذاهب الحرية ، ومنها مذهب أهل البيت ، ولم يتعرض بسوء لأهل الحلة والمشهدين الشريفين العلوي والحسيني وكلام شيعة ، حسب البعض أنه أسلم واعتنق مذهب التشيع ، إلا أن ذلك وهم ، لأن ما سبق وحده لا يصلح برهاناً ، لاسيما والحرية عامة ، وأما سلامة هذه البلاد الشيعية فكانت

(١) ومن إطلاقهم الحرية للأديان أن العاصم عطاء الملك الجويني صاحب ديوان الدولة الأيلخانية المغولية أيام السلطان أباقا بن هولاكو قام بحفر نهر من الفرات إلى النجف ، وحيث لا يصل النهر إلى أرض النجف لارتفاعها عن مجرى الفرات مما يلي الكوفة حفر قناة من النهر إلى النجف وأجرى الماء إلى النجف في رجب عام ٦٧٢ ، وقد عمل رباطاً في النجف ، ووضع أساسه في هذه السنة كما في فرحة الغري لابن طاووس طاب ثراه . مع أن أباقا يؤمّن لم يكن على مذهب الجويني .

بتدبير عطاها واهل الرأي منها ، قامهم اخذوا منه الامان لها قبل
فتحه لبغداد ، وانما جلب هذا الوهم هو ان السلف اعتادوا على
اضطهاد الشيعة ، والشيعة اذا رفع عنهم الحجر اطلعوا رؤسهم وظهر
أمرهم ، وهذا أحد الاسباب لتضييق مناوئهم عليهم ، وسد ابواب
الهواء عنهم ، وجعلوا ان مثل هولاء ان سلب الحرية من مذهب
فلا وجه لسلبه من الشيعة خاصة لانه - ان بقي على الكفر - كان
عدواً لمذاهب الاسلام كلها .

أسلم من ملوك المفلول اربعة ، تكودار بن هولاء كو ونسبى باحمد ،
وغازان بن ارغون بن بقاء بن هولاء كو ونسبى بمحمود ، ويقولان
اخو غازان ونسبى بمحمد خدا بنده ، والقاء آن بها درخان ابو سعيد
بن محمد خدا بنده .

قاما احمد فلم تطل مدته ، فانه لما مات اخوه ابا قاخان بن
هولاء كو خان استولى على العرش ، ولكن تغلب عليه ابن اخيه ارغون
ابن ابا قاخان بعد حرب ومقاومة .

واما غازان فانه لما تغلب على بايدو واستقرت له الامور اسلم
وأسلم معه من الجند مائة الف أو أكثر وهل تشيع بعدما أسلم ، ذلك
ما لا يمكن البتة ، غير ان هناك امارات دالة على تشيعه منها انه
لما جاء الى العراق في عام ٦٩٦ توجه الى الحلة وقصد مشهد أمير المؤمنين
عليه السلام فزار ضريحه المقدس وأمر العلويين بشيء كثير . ثم

قصد مشهد الحسين وفضل مثل ذلك ، وهكذا فعل يوم جاء العراق
عام ٦٩٨ (١)

ومنها انه بنى ببغداد عام ٦٩٦ درراً لضيافة العلويين الذين
ينزلونها ، ومماها دور السيادة ، وانفق عليها اموالاً طائلة ، ووقف
عليها الاملاك والضياع .

ومنها انه حفر ثلاثة انهر من الفرات كان احدها لمدينة
كر بلاه (٢) الى امثال ذلك فغلب على الظن تشيعه ، لأن امثال
هذه الامور لا يصنعها غالباً إلا من جرى دم التشيع في عروقه .

واما يقولان من محمد خدا بنده فكان بدء اسلامه على مذهب
ابي حنيفة ولما وفد عليه نظام الدين عبد الملك الشافعي ، وهو اعلم
وقته من اهل السنة ، جعله قاضي القضاة في جميع ممالكه ، وكان
ينظر علماء الحنفية بمحضر السلطان فيفلجهم ، ولما ظهرت له الغلبة
وحسن السلطان مذهب الشافعي عدل عن الحنفي اليه ، غير انه
عند ما كثرت المناظرات بين عبد الملك نظام الدين وبين علماء
الحنفية ، وكان ينسب كل منهم الى مذهب الآخر من الرأي والفتوى
مالاً يستحسن في الدين مثله ، ظهر عليه الملل والضجر ، وسأم الحال ،
بل قيل : عدل برهة عن دين الاسلام ، وكان احد امرائه المقربين

(١) انظر الحوادث الجامعة في حوادث هذين العامين .

(٢) مختصر تاريخ بغداد ص ١٤١

من الشيعة وهو الامير طرمطار بن نجوبنجشي ، فاخذ بطلعه على محاسن مذهب اهل البيت ويدعوه اليه ، فتمايل له ، وفي هذه الآونة ورد على السلطان السيد تاج الآوي الامامي مع جماعة من الشيعة فوقعت بينه وبين نظام الدين مناظرات يحضر السلطان ، ثم جاء بعد ذلك الى العراق وزار مرقد امير المؤمنين عليه السلام ، فرأى ما تقوى به مذهب الامامية عنده ، فعرض ما شاهده على امرائه ، فخرضه على اعتناق مذهب اهل البيت من كان منهم شيعياً ، فامر باحضار العلماء من الشيعة ، فاحضر له العلامة الحلي الحسن بن يوسف ابن المطهر ، فامر السلطان قاضي القضاة نظام الدين بمناظرة العلامة ، واعد لهم مجلساً حافلاً بالعلماء واهل الفضل ، فوقعت المناظرة بينهما في الخلافة - والسلطان يسمي تلك المناظرة - فظهر الفلج على قاضي القضاة ، وانتصر العلامة عليه ، فظهر السلطان التشيع من حينه ، وامر به الجند واهل المملكة ، واجرى في جميع بلاده مراسيم المذهب الامامي ، وجعل السيد تاج الدين محمد الآوي نقيب المالك .

فكانت هذه المناظرة سبباً لانتشار مذهب آل محمد (ص) في ايران حتى مد أروقه على جميع بلادها .

واما ابنه بها درخان ابو سعيد فانه من يوم امتلاكه ناصية الحكم كان على مذهب اهل البيت ، وبموته كان انقطاع دولة المغول .

وجملة القول إن من ازهى عصور التشيع كان عصر المغولية ، لان الشيعة انتشقت طلق النسب في عهدهم ، وظهر علماءهم مناظرين ومحاججين ، وكان ذلك العصر يفخر بعلماء جهابذة قلما يجتمع علماء كثير في عصر مثله ، وهم امثال آل سعيد ومنهم المحقق صاحب الشرائع والعلاوة وابوه وابنه ، وآل طاووس ومنهم العالم البر مجد الدين والسيد ان الشريفة رضي الدين وغياث الدين ، وكانا نقيبى الطالبين في العراق في عهد المغوليه ، وكالحاجا نصير الدين الطوسي إمام الفلاسفة والكلام ، والذي تولى وزارة الارقاف في الممالك المغولية في عهد هولاء كوا ، الى كثير سواهم .

الشيعة والصفوية (١) في ايران

لما ان فرضت دولة المغول انقسمت بلادهم الى دول صغيرة شيعية ، احتلت كل دولة قسماً من المملكة المغولية كاللولة الجبانية ، التي امتلكت آذر بيجان والعراق العجمي وديار بكر وبعض حدود الروم ، والدولة الايلخانية ، التي امتلكت قسماً من ايران من حدود آذر بيجان الى العراق العربي والفرات العربي ، وبعد حين استقر ملكها في العراق فقط ، والسرمدانية التي تغلبت على خراسان وسبزوار وغيرها ، والمرعشية ، التي استولت على آمد ومازندران ، الى غيرها من الدول ، وما قامت دولة تحكم بلاد ايران كلها بعد

(١) كان بدء الدولة الصفوية عام ٩٠٥ وانتهى عام ١١٤٨ حين قبض نادر شاه على زمام الحكم ، وقطع الخطبة عن الشاه عباس الثالث ، وكان نادر يومئذ القائد الوحيد ، والصفوية علوية موسوية ، وزعم بعض المؤرخين الذين يميلون عن الصفوية بل عليهم ان آباء الشاه اسماعيل كانوا من الصفوية اهل الطوائف وزعمائها ، وكانوا من السنة ، وان اول من اظهر التشيع وجاهر به الشاه اسماعيل ولو سردنا عليك بعض تلك الكلمات لعرفت كيف نشوء النزعات المذهبية اوجده الحقائق ، وكيف بضيع الحق من جراء ارضاء النفس بالقذع الشائن ، والصباب القبيح .

يقول الى ان نهض الشاه اسماعيل (١) واخذ بملك البلاد من فارس كلها ، واسترجع العراق واستولى عليه .

والشاه اسماعيل في العتبات المقدسة في العراق آثار جليلة ، منها بناء حرم السكاظمين عبيد السلام والمسجد الكبير الذي حلف الحرم ، وهو اليوم معروف بمسجد الصفوية .

وهو اول سلطان من الصفوية ، واول هممه من ترويج مذهب الامامية في جميع البلاد التي امتد اليها سلطانه ، وقوي فيها نفوذه ، وكان يرسل الدعاة والمبشرين الى البلاد التي يريد احتلالها ، يدعوهم الى اعتناق مذهب اجداده اهل البيت قبل فتحها ، وكان ينشر بهذا الشأن ترويج مذهب آل محمد (ص)

وكان محباً للعلماء والعلويين حسن السيرة معهم ، واتخذ منهم لقباء والصدور ، فكانت دولته جامعة بين السلطة الزمنية والروحية ، واستعان بالعلماء في نشر الوية المذهب ، وتشيد اركانها ، وخطب اسماء الائمة الاثني عشر عليهم السلام على المنابر ، ونم له ما اراد

(١) كان نهوضه عام ٩٠٥ ووفاته في اربيل عام ٩٣٠ وبها دفن ، ولقد اعتمدنا كثيراً فيما نكتبه عن الصفوية والافشارية والقاجارية على كتاب «آثار الشيعة الامامية» الجزء الثالث الذي هو في ملوك الشيعة لحضرة الفاضل البجائي المعاصر الشيخ عبدالعزيز الجواهري كما اعتمدنا عليه في موارد اخرى من هذا الكتاب .

من نشر المذهب الجعفري على جميع ربوع ايران ، فلم تعترض في طريقه عقبات كأداء تحول دون ما اراد .

وعلى نهجه سار الملوك من سلالة ، فان نهر الطهاسية حوالي الحلة من آثار الشاه طهماسب (١) بن الشاه اسماعيل ، وقد امر بحفره ليجري الماء الى النجف ، ولكن بالرغم من تلك الجهود العظيمة لم يصل الماء الى النجف لارتفاع ارضها عن مجرى النهر .

بل خطا الشاه عباس الاول (٢) خطوات كانت اوسع من خطوات الشاه اسماعيل في نشر اعلام مذهب اهل البيت ، فله آثار مهمة ، وخدمات جليلة ، تشهد بما كانت له من مساع ونصرة ، ولا غرابة فقد كان المرشد الى تلك الحسنات الجميلة العلامتان الجايلان الشيخ محمد بهاء الدين العاملي المعروف بالشيخ البهائي والسيد مير محمد باقر الداماد .

وبلغ من اعظامه للآئمة من اهل البيت انه في احدى زياراته العديدة لمرقد الامام الرضا عليه السلام مشي راجلا من قاعدة ملكه اصفهان الى مرقد الامام في خراسان ، ومعه اكابر الدولة ، والمسافة (١) ولد في ٢٨ من ذي الحجة عام ٩١٩ ؛ ومملك عام ٩٣٠ وتوفي في صفر عام ٩٨٤ .

(٢) ولد عام ٩٧٩ وجلس على عرش الملك رسما عام ٩٩٦ وقبض في عام ١٠٣٧

تقدر بـ ١٩٩٩ فرسخاً ، وفي زيارة اخرى كانت عام ١٠٢١ وسم الصحن الشريف ، وحدث فيه عمارات سامية ، وقنوات مهمة ، واما آثاره القيمة التي اودعها خزانة الامام الرضا عليه السلام من الجواهر والتحف الثمينة والفرش والمصاحف والكتب الى ما سواها فما اكثرها ، وهكذا كانت هداياه لخزائن الآئمة في العراق وضرانهم .

ومن حسناته الخالدة في ايران الى اليوم المساجد والمآذن في اصفهان وغيرها والقنوات والابنية في طرق العابرين للمشاهد المقدسة في العراق . وان من آثاره الحميدة بناء الصحن العلوي القائم اليوم . وكان بناؤه بنظر وهندسة الشيخ البهائي المذكور . كما هو معروف بين الناس . وتقارقه الاسن . وعليه شواهد (١) كما ان من آثاره

(١) إلا ان حجة الاسلام السيد حسن الصدر ادعى في كتابه الوجيز - نزهة اهل الحرمين في عمارة المشهدين - ان بناء الصحن الشريف كان من آثار الشاه عباس الثاني وان اياه الشاه صفي هو الذي اشتغل ببناؤه وعاجله القدر قبل ان يتم ، فآئمة الشاه عباس الثاني ؛ وعلى اي حال فان الظاهر ان النهر المعروف بالملكربة ونهر الشاه هو من آثار الشاه صفي لا الشاه عباس الاول ؛ لان الماء جرى من قناته الى النجف عام ١٠٤٢ ؛ والشاه عباس الاول قبض عام ١٠٣٧

في النجف آباراً واسعة كثيرة وهي الى اليوم تسمى (الشاه عباسيات)
واما اعزازه لاهل العلم وتقديره للعلماء . ورواج سوق العلم
في اوانه . وما وقفه على العلماء والعلميين فهو معروف لا يجمله أحد .
وجملة القول ان الدولة الصفوية لم تكن دولة سياسية فحسب .
بل كانت دولة تهتم لخدمة الدين وترويج الشريعة . لاسيما اول
ملوكها الشاه اسماعيل وحفيده الشاه عباس الاول . وآثارهم في ذلك
ماثلة للبيان . وكان ذلك دأبهم الى آخر عهدهم وتغلب السلطان
نادر شاه الافشاري على دولتهم .

وكانت تلك العصور وما قبلها عصوراً تنخر فيها الملوك بترويج
الشريعة . لعل سبب ذلك هو ان الروح السائدة في الناس تلك
العهود هي الروح الدينية . اولان الملوك تحترم العلماء وتقديرهم وتبكر
بآرائهم . وهل يهم العلماء بغير تنفيذ نظام الدين ونوايس الشريعة .
واذا كان رأي العالم وقوله أثر في سير الدولة تغلب على البلاد
نظام الشرع وراجت قوانين الدين . ومهما خالف الملك في نفسه
احكام الشريعة فهو يحافظ على المظاهر الدينية وانماه للشريعة .

وكان قوام نشر الاديان ذلك الزمن الفئت بتعاقد الملوك
والعلماء . ولا نجد عمداً تروج فيه الخلاعة ومناينة أنظمة الشريعة
الا والملوك فيه يعتمدون العلماء ولا تصفي لنصائحهم ولا تستند
بآرائهم ودعواتهم الصالحة .

الشيعة ونادر شاه (١) في ايران

انك خير بما تم لنادر شاه من الفتوح ، واستيلائه على ايران
والهند والعراق والبحرين والافغان وبخارى وغيرها بمدة وجيزة ،
ولم يكن نادر كالصفوية في اهتمامه بشؤون الدين وترويج العلم وتقديره
للعلماء ، ولم يسمح لهم في التداخل بشؤون الدولة ، كما سمحت الصفوية
من قبله ، نعم لم يقصر عن الصفوية في خدمة المراقدين الشريفين لائمة
اهل البيت ، فان لسان القبة والخزانة العلويتين ، اللتين طلى الاولى
منها بالذهب الابريز ، وملا الثانية بنفائس العقود والجواهر وغيرها
يوم عاد من الهند فاتحاً . ليفصح ناطقاً عما صنعه نادر شاه من الحسنات
المشكورة والخدمات الجليلة ، كما يشهد لولائه واخلاصه ما صنعه من
العارة في المشهد الرضوي بطوس ، وقد جلب له الحجر الرخامي من
آذربيجان ، وما عقده من الصلح مع العثمانيين على شروط منها ، اعلان
الدولة رسمية المذهب الجعفري كالماذهب الاربعة ، ومنها بناء ركن
خاص له في مكة المكرمة ، ومنها حماية الحاج الفارسي في طريق مكة
ولكن آل عثمان ماوفوا له بهمد ولا شرط خصوصاً رسمية المذهب
وبناء الركن .

ولما جاء الى العراق جمع بين علماء الفريقين - الشيعة والسنة -

(١) ولد نادر عام ١١٠٠ وتسلم عرش السلطنة عام ١١٤٨
وقتل في جمادى الاولى عام ١١٦٠

وأصرهم بالمناظرة وتوحيد المذهب ، وتم له ما اراد من الاجتماع
والمحاجة ، ولم يفلح في الثانية وان اظهروا الوحدة زناً فميراً حذراً
من بطشه .

ثم ما زالت ايران بعده ذات حروب وقتن ، وما استمرت سلالاته
في الحكم الا سنين قلائل ، قضوها بالحرب والجلاد ، الى ان قامت
الدولة الزندية ، وليس لها شأن كبير يعرف في خدمة المذهب والشيعة
لأن سلطانها لم يعم ايران ولان اياها انقضت بالحروب مع اول ملوك
القاجاريين اغا محمد خان .

الشيعة والقاجارية (١) في ايران

كان ابتداء نبوغ القاجارية ايام الشاه نادر ، وما تمهدت لهم
ايران الا بعد تقويض الدولة الزندية على يد اغا محمد خان عام ١٢٠٢
ولما اعتلت القاجارية امرة الحكم اعادة النفوذ الروحاني ، وخدمت
العلم والعلماء بشتى السبل ، وقد انقاد بعضهم للعلماء كفتح علي شاه (٢)
(١) اول من ملك منهم جميع البلاد الايرانية هو السلطان
محمد خان ، وقد ملك زهاء ٢١ عاماً ، وقتل عام ١٢١١ ، وآخر
ملوكهم احمد شاه ؛ وكان سقوطه عن العرش يتيقن رضا شاه عليه
عام ١٣٤٤ .

(٢) جلس على العرش عام ١٢١٢ وتوفي عام ١٢٥٠ ، وفي
ايامه زار الصدر الاعظم امين السلطنة العتبات المقدسة في العراق
وحفر نهر الشاه وارصله الى خندق الكوفة واجرى منه قناة
محكمة البناء تشق وادي السلام ؛ وتنتهي الى النجف .

حتى كاد ان يخلع نفسه ويقلد الحكم ذلك العالم الزعيم لو اراده ، وشأنه
في اعزاز ا كابر العلماء واثلاء شأنهم معروف لا يجهل ، ومن جراه
تمسكه بالدين واعماله برجاله الف له العلماء المكتب العديدة ، ومنهم
الدلالة الاكبر الشيخ جعفر ، وقد الف له كتاب « كشف الغطاء »
وكفاك شاهداً على علوه ، فقام هذا الشاه عند اهل الدين ، واكباره
لرجال العلم واعتنائه بأمر الشريعة ما طراه به الشيخ المزبور في دياج
الكتاب ، وقد احتفى الشاه بالشيخ الاكبر يوم زان ايران واكبره
اكباراً لا مزيد عليه ، وقد الف له ايضاً المرزا محمد جعفر الاستربادي
(كتابه نجم الهداية) والمولى علي اكبر الايجي الاصفهاني كتاب
« زبدة المعارف » في اصول الدين والاخلاق والمعارف ، الى غيرهم
ومن حسناته - وما اكثرها - طلي القبة الحسينية والابواب
بالذهب ونصب شباك من الفضة على الضريح الاقدس ، وبناء قبة على مرقده
العباس عليه السلام ، وطلي قبة السيدة فاطمة بنت الامام موسى بن
جعفر عليها السلام المدفونة بقم بالذهب ، وبناء صحن وسيمع لها ،
وبناء صحن الرضا عليه السلام ، واهداه عدة قناديل ذهبية لحرمه
المقدس ، ونصب ضريحين فضيين على مرقده السيد عبد العظيم (١)
(١) هو ابن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي
ابن ابي طالب عليهم السلام ؛ وعن ثواب الاعمال ان رجلاً من
اهل الري دخل على الهادي عليه السلام فقال له : ابن كنت ؟
قال : زرت الحسين عليه السلام ، قال : اما انك لو زرت قبر
عبد العظيم عندكم كنت كمن زار الحسين عليه السلام

المدفون بالقرب من - طهران - ومرقد السيد احمد (١) بشيراز الى
ماسوى ذلك من بناء المدارس والمساجد وغيرها مما ينبغي عن شدة
تمسكه بعري الدين ، وتوفقه لخدمات اهل البيت الطاهر ونصرة
مذهبهم .

ولم يقتصر على ترويج الدين والعلم فحسب ، بل روج الادب
ايضا ، فانه كان يجزل العطاء للشعراء والادباء ، فذاع عنه ذلك حتى
قصده ارباب الادب من الفرس والعرب فمدحوه ، والفيت في نشر احواله
الكتب المفصلة ، ولهم معه في ناديه الادبي مطارحات ونوادير وظرائف
ونبع في ايامه من الفرس شعراء مجيدون .

ولا تنس ما قام به حفيده ناصر الدين شاه (٢) من الخدمات
الكبيرة للمذهب والعناية بشأن العلم وذريه ، فهو حقيق بان يسمى
« ناصر الدين » .

وقد عرف الناس كبير عنايته بالروحانيين يوم زار المرقد المقدسة
في العراق عام ١٢٨٧ هـ ، وما اظهره من الاحتفاء بهم واهتمامه بالاجتماع
بهم ، واجزال العطاء لهم .

(١) وهو المعروف اليوم بشاه جراح وهو ابن الامام
موسى الكاظم عليه السلام وكان ابوه ابو الحسن موسى محبة
ويقدمه ووهب له ضيعة المعروفة بالسيرة ، ويقال انه اعتق الف
مملوك ، الى غير ذلك مما هو مذكور في كتب الرجال من فضله
ورعاية الامام الكاظم له .

(٢) ولد في صفر عام ١٢٤٧ هـ ، واعتلى العرش عام ١٢٦٤
وقتل عام ١٣١٣ هـ .

وهو الذي طلى بالذهب قبة الامامين العسكريين عليها السلام
في سامراء يوم زار العتبات ، وايوان المشهد الرضوي ، وقبة السيد
عبد العظيم .

وكان من رجال الادب والشعر والظرف ، وله ديوان شعر ،
وقد ألف له كتاب مرآة البلدان ، وكتاب فاصخ التواريخ وغيرها
وجملة القول ان الفاجاريين كانوا من مروحي مذهب اهل
البيت وناصرهم ، ومعاضدي العلم والعلماء ، وفي ايامهم كانت ايران
زاهرة بالعلماء لكثرة من فيها منهم ، واما المهاجرون منها الى النجف
الاشرف فلربما ناهزوا العشرة الآف ، فكانت روضة العلم في ايران
والعراق بفضل اعتمادهم بشأن اهل العلم زاهية المنظر ، طيبة المجتنى
الى ان حدثت الفتن في ايران بسبب الانقلاب الدستوري ، في عهد
الشاه محمد علي وعمت الفوضى فيها ، وعطلت فنكب فيها اهل العلم ،
وانقطعت الصلات من ايران عن المهاجرين منهم الى العراق ، فاضطر
كثير منهم الى العودة الى اوطانهم .

وفي ايامهم انتشرت المطابع الحجرية في ايران ونشرت بفضلها
كتب الفقه والدين وسائر فنون العلم وما زال النفوذ الروحاني مهيما
على ربوع ايران سهاما وجيلما ، الى ان انقرضت دولتهم ، وتربع
على عرشها رضاشاه البهلوي (١) فقلص نفوذهم ، وسعى لتعطيم

(١) احتل عرش الفاجاريين عام ١٣٤٤ وسعى لتجديد
ايران ومشاكلتها للغرب هيئة وبزة حتى السفور ، فخرج شطر -

شوكتهم ، وتقليل عددهم ، فكان بفض مادبر واراد (١) فكانما
احتل عرش القاجارية ليقاوم سيرتهم من كل ناحية ، ويداني القرب
من كل وجه ، زعماً منه ان الرقي بالخلاعة والانهاك بالشهوات ومحاربة
الانظمة الدينية ، نسأله تعالى ان يبخار لهم وله ولبلاده ما فيه الصلاح
والسمادة ديناً ودنيا .

وصفوة البيان أن فارس في القرن الاول بعد الفتح كانت
لا تعرف الولاء لاهل البيت ، وإنما تبع فيها التشيع وعرف فيها
الولاء في القرن الثاني في عهد الامويين ، وظهر في اخريات الثاني
وفي الثالث في الثلث الاول من دولة بني العباس وبعد حلول الامام
الرضا في خراسان ، وما بعد ذلك الاوان ، وانتشر في الرابع والخامس
ايام آل بويه ، وتراجع القهقري ايلما في عهد السلاجقة ، واتسع
نطاقه في عهد المغول وما بعده من القرن السابع الى ان وثب الشاه

من ايران في عهده عن النظام الاسلامي ، الى ان قضت على حكومة
انكلترا يوم احتلوا ايران لمواصلة الروس فخلعوه ونصبوا مكانه
ولده محمدرضا ، واسروه الى ازمات في المنفى تحت اسرهم .

(١) وما انقلب عرشه الا وفشل تدبيره ، وعادت المياه الى
مجارها ، فما اكثر المظالم في الزمن ، فبحن على قرب العهد
شاهدنا من تبدل الحكم والوضع وكل شيء في ايران والعراق
بل وفي العالم كله ما لا يقع في قرون ، ولو سجل المرء مشاهداته
وملموساته طيلة هذا الزمن في طومار لكانت جمة اغرائب حتى
لا يكاد يصدقها المرء لو استعرضها يوماً وهو الرائي والمشهد .

اسماعيل في اوائل القرن العاشر ، وما عم التشيع بلاد فارس إلا في
هذا القرن ، وما زال فيها حتى اليوم من السنة قوم من الاكراد في
سنة ومن العرب في عربستان ، وقد يوجد في غيرها .

واذا نجت لك هذه الحقيقة مدعومة بالبرهان والوجدان ،
عرفت ان الفرس هي التي اعتنقت التشيع ، وما عم بلادها إلا بعد
قرون جمة ، لا ان التشيع اخذ عن فارس ، انرى يصح ان يكون
ما نبغ في عهد الرسالة ويجرى في عروق صفوة الصعابة يكون مستقاه
مشي القهقري من القرن العاشر ، رحماك ربي ما هذا الخطل والبهتان ،
بلى ، ان العناد والاصرار على الخلاف ليوقعان المرء من حيث يدري
ولا يدري في انكار الشمس وهي ضاحية ، والعمى عن نور القمر ليلة
البدر ، وما نقصد من هذا القول إلا تنبيه اهل البصائر ورواد الحق
الى التماس الحقائق من جديد السبيل دون ملتويات المغاور ، التي تبعد
بك عن القصد ، بل توقعك في الطوى البعيدة ، وهل هو إلا العطب .

الشيعية في الهند (١)

كان الهند يغزى أيام الخلافة الثاني ، وكان غزوه من قبل بلاد الافغان وقارس ، وهاجت جنود المسلمين السند أيام أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وعادوا ظافرين ، وقد أسروا الألوف منهم ، ثم تواتت الغزوات على السند والهند أيام الأمويين ، فتمكنوا من إخضاع جملة

(١) لم تحضرني الوسائل الكافية للكتابة عن التشيع في الهند ، ولا سيما وأنا أجهل اللغة الأوردية ولا أحسن الفارسية ، فلذلك كلفت حضرة الفاضل المذهب السيد محسن النواب للكهنة صاحب مجلة «الاديب» العربية بالأمس يوم كان في لكهنؤ ، واحد طلبة الفقه الجعفري اليوم في النجف (*) بتعريب ما يدخل في المطلوب من هذا الكتاب عن بعض المصادر الفارسية والهندية فقام أحسن قيام ، فانا أشكره حقاً على هذه المساعدة ، وقد اعتمدت في هذا الموضوع على ما عر به حضرته و على بعض المصادر العربية .

(*) وقد رجع بعد ذلك الى الهند فهو اليوم فيها حفظه الله وزاد توفيقه .

من البلاد ، وفي أيامهم أسلم بعض ملوكها ، ولما انتهت الدولة للعباسيين استتب لهم الأمر في هاتيك البلاد ، وانت جد خير بان شطراً من الولاة والأمراء والقواد والجنود كان يحمل بين اضلاعه ولاء أهل البيت الطاهر ، وهذا من الأسباب لبث روح التشيع في الهند .

قال ابن الأثير في الكامل ٥ : ٢٢٠ : ثم دخلت سنة ١٥١ ، وفيها عزل المنصور عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة عن السند ، واستعمل عليها هشام بن عمرو التغلبي ، واستعمل عمر بن حفص على أفريقية ، وكان سبب عزله عن السند أنه كان عليها لما ظهر محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن ، فوجه محمد ابنه عبد الله المعروف بالاشتر الى البصرة فاشترى منها خيلاً عتاقاً ليكون سبب وصولهم الى عمر بن حفص ؛ لأنه كان ممن بايعه من قواد المنصور ، وكان يتشيع ، وساروا في البحر الى السند ، فأمرهم عمر أن يحضروا خيلهم ، فقال له بعضهم : انا جئناك بما هو خير من الخيل ، وبما لك فيه خير الدنيا والآخرة ، فأعطنا الأمان أما قبلت منا وأما سترت وأمسكت عن اذاننا ، حتى نخرج عن بلادك راجعين ، فأمنه فذكر له حالهم وحال عبد الله بن محمد بن عبد الله ، وأنه أرسله أبوه اليه ، فرحب بهم وبايعهم ، وانزل الاشتر عنده مخفياً ، ودعا كبار أهل البلد وقواده وأهل بيته الى البيعة فاجابوه ، فقطع ألويهم البيض وهياً أبسه من البياض ليخطب فيه ، ونهياً لذلك يوم الخميس ، فوصله مركب فيه رسول من امرأة عمر بن حفص تخبره بقتل محمد بن

عبد الله ، قد دخل على الاشتر فاخبره وعزاه ، فقال له الاشتر : امري قد ظهر وودي في عنقك ، قال عمر : قد رأيت رأيا ، ههنا ملك من ملوك السند عظيم الشأن كبير المملكة ، وهو على شوكته أشد الناس تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو وفي . ارسل اليه فاعقد بينك وبينه عقدا فوجهك اليه فلست ترام معه . ففعل ذلك وسار اليه الاشتر فأكرمه واظهر بره . وتسلمت اليه الزيدية حتى اجتمعت معه اربعمائة انسان من اهل البصائر .

ثم ذكر ابن الاثير ان آخر أمره ان قتل وقتل معه الملك السندي . وبعث بسراري الاشتر وولده الى المنصور . فسيرم الى المدينة . وكان المتولي لفنك بها اسفنج اخو هشام بن عمر وعامل المنصور .

وهذا مما يرشدك الى وجدان الروح الولاية لآل محمد « ص » ذلك الأوان . بين ابناء هاتيك البقاع وبين المهاجرين اليها والذي ينبيك عن صدق هذا الشأن . هو ان بعض ملوك الهند كتب الى الصادق عليه السلام يعلمه بالهداية على يديه . وارسل بعض الهدايا اليه (١)

(١) كانت تلك الهدايا تحتوي على جارية وعطر وحل وحلي فابى الصادق « ع » من قبولها ، لان الرسول قد خان الجارية وقد اعلم الصادق الرسول بالخيانة ؛ وقد اعترف الرسول بالخيانة بعد الانكار الشديد وهذه من كرامات الصادق -

خير ان التشيع لم يلاق رواجا في ذلك الحين . ولعل وقوفه من الظهور والانتشار اقله دعائه وانصاره في بلاد الهند يومئذ .

نعم ان الذي اتفقت عليه كلمة المؤرخين هو ان ظهور التشيع جليا في الهند كان من بلدة - كجرات - وسببه الروابط التجارية التي كانت بين العرب والهنود ايام الجاهلية ، ولما بزغ بدر الاسلام في جزيرة العرب كانت تلك الروابط باقية ، ولم تنقطع لهذا الحادث الفجائي الذي أدهش الجزيرة ، وجلى غياهب الشرك عن مماتها ، وكان جبل تلك الاوصلة رابطة متينة لنشروا التشيع في الهند ، بعد ان كان ابتداء ودب

قال المسنن « آرندط » في كتابه « برينك آف اسلام » : ان راجات الوثنيين في شمال كجرات كانوا يحسنون المعاملة مع وعاظ الشيعة وتجارهم ، ويحسنون اليهم ، وقد اعتنق التشيع جماعة كبيرة من الوثنيين بمساعي هؤلاء الوعاظ .

وقال بعض افاضل البواهر في كتابه « المجالس السيفية » ان المستنصر بالله الفاطمي (١) خليفة مصر ارسل الواعظ عبد الله الى

- عليه السلام واعلام امامته ، راجع المناقب لابن شهر آشوب في احوال الصادق في باب اتيانه بخوارق العادة .

(١) ولي الامرو هو ابن ثمان سنين واستقام فيه ستين عاما ومات لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة عام ٤٨٧ هـ ، وكان امير جيوشه بدر الجمالي اماميا ولما عم الجذب بلاد مصر ايام المستنصر استوزر بدرأ ، فهدله البلاد وجلب لها الاقوات من -

دعاء الجن لينعم عندم اللغة الهندية ، ثم يسافر الى الهند لتبليغ ، فلما ورد عبد الله الهند اتفق ان وروده الى كجرات ايام الراجه جي سنكيه وكان متعصباً جداً على الاسلام ، وشديد الفساد للمسلمين ، بخلاف من مضى قبله من الراجات ، فلم يقدر عبد الله على بث الدعوة ونشرها جهاراً ، بل ادرع بالتقية ، وقد مر يوماً اثناء اقامته على بئر جف ماؤه منذ امد غير قصير ، فانبع الماء بدعائه ، فاعتنق التشيع لذلك رجلاً من شاهد الحال من قاطني كجرات المسلمين ، وهما « كاكا كيلا » و « كاكي كيلي » ولكن مع ذلك كان عبد الله لا يخلع لباس التقية ويخشي من الجهر بالدعوة للتشيع حقناً لدمه ، فسافر الى العاصمة وفق اشارة زينك الشيعيين الجديدين يرشد « المهنت » (١) عابد الصنم الكبير ، فلما وصل الى « المهنت » المشار اليه وجده يعلم الاطفال حروف الهجاء ، فكلّمه باحاديث اعجبه جداً ، ثم استأذنه بالحديث مرراً ، فلما خلا الواعظ عبد الله بالمهنت صار ينظره في مباحث عرفانية فما زال به حتى اسلم وتشيع ، وكان « بهارمل » الوزير الاعظم للراجه سنكيه يتبع المهنت وبصفي الى قوله ، فادخله المهنت في رتبة - الاماكن النائية ، وكان ابنه ابو علي الافضل وزيراً للحافظ لدين الله ، ولما كان ابو علي صاحب السيطرة والتدبير اعلن المذهب الامامي الاثني عشري ، وجعله المذهب الرسمي في مصر وقتل عام ٥٢٦ .

(١) المهنت لقب زعيم المذهب عند الوثنيين .

الاسلام والولاء بعد مواظب بليغة . وثرة ، وحجج بالغة ، اخذها المهنت عن الواعظ ووعاها منه ، وما اكتفى عبد الله الواعظ بتشيع هذين العظيمين ، بل كان مطمح نظره نفس الراجه جي سنكيه ، وقد علم ان الراجه شديد الاخلاص والارادة للصنم الكبير ، وكان الصنم معاقاً في وسط القاعة في الهواء بغير دعامة ولا عمد ، فانضح لديه بعد التروي والامعان ان هناك جواذب مغناطيسية بتوازنها في الجذب قد اوقفته ومنعته من السقوط ، فاقدم يوماً بجرأة على تلك الاحجار المغناطيسية فانزعها من الجدران ، فخر الصنم الكبير ساقطاً على الارض ، وما كان الراجة على حسن ظنه السابق بالمهنت والوزير بها رمل ، فزاد سقوط الصنم في الطين بلة ، واشتد غضبه ، وحاصر المعبد بمسك كثير ، فظهر عبد الله الى الراجة وتلا عليه آيات من الكتاب وادعيه فصار جسمه يلتهب ألماً ، فابع عما قصده ، ثم صار ذلك ميالاً لان يسلم ويتشيع .

وفي ص ٨٤٢ من كتاب « جرنل ايشيا نيك سوماتى بنگال » ان المستنصر بالله ارسل واعظاً الى الهند وتشيع بمساعيه الراجي جي سنكيه امير كجرات .

ثم رحل عبد الله الى « بن » و « سده پور » وهما بلدان من بلاد « دكن » وادخل بسبب دعوته الالوف من الوثنيين في الاسلام ثم علم يعقوب بن بهارمل الوزير العلوم الدينية ، وانا به في الدعوة والتعليم ، وارسل يعقوب ابن عمه فخر الدين الى « راجبوتانه » بلدة

في الهند . ولكنه لم يتجح نجاحاً يذكر . واستشهد بعد سنين . وبعد وفاة يعقوب قام ابنه علي مقامه في الدعوة والارشاد ، ثم بعده ابنه اسحاق . والذي يظهر ان اسحاق أو الذين خلفوه كانت لهم مصاع جلية في الدعوة والتبليغ في شمال الهند ؛ وذلك لان سلطان تغلق الذي كان في القرن الثامن من الهجرة ملكاً على « دهلي » عاصمة الهند اليوم وعاصمة الدولة المغولية بالامس يكتب في مذكراته اليومية ان بدعة الرافض في هذه الايام اخذت ترتقي يوماً . وصار مخلصو الدولة بتشييعون مراراً . فارتأيت أن اقطع هذه التجربة من اصلها . فأمرت بقتل دعاة الروافض وحرق كتبهم . وهدرت دم كل من يتوهم فيه أنه شيعي . فمن ظلم هذا السفاك الفتاك وقف انتشار التشيع في شمال الهند الى قرون .

التشيع في الازمنة الوسطى

والدولة البهمنية

زعم الشاه عبدالعزيز صاحب كتاب « التحفة الانبيائية » ان الملوك البهمنية كانوا كلهم من الشيعة الفلاة . ولكن محمد بن القاسم الملقب بفرشته المؤرخ الشهير صرح بان حسن كان هو مؤسس الدولة البهمنية كـان من الموالين لنظام الدين العالم الشهير في اهل السنة ومن المعتقدين به الاعتقاد الخاص . وابن هذا من نسبتهم الى التشيع .

فالحق ان قول فرشته اقرب الى الصواب لانه ورد الهند بعد انقراض دولتهم بقرن . والشاه عبدالعزيز من بعدهم باربعة قرون . وفرشته اقرب لزمانهم ومن ذلك تعرف انه اقرب لمعرفة احوالهم . وكانت الدولة البهمنية قد استقام سلطانها اكثر من قرنين . ولما تصرم من عمر هذه الدولة قرنان مالت الى الزوال تدريجاً . لان آخر خلفاء حسن كانغو قد غرهم الجهل . ولم يشفقوا الثقافة الضرورية للملوك ولما اثلث عروش دولتهم انقسمت بلادهم الى امارات خمس العادل شاهية . والنظام شاهية . والقطب شاهية . وهذه الدويلات الثلاث شيعية والبريد شاهية . والعماد شاهية . وهاتان سنتان .

العادل شاهية والتشيع

كانت عاصمة هذه الدولة (بيجابور) ومؤسسها يوسف عادل شاه . وقد دخل عاصمة البهمنية وافداً من ايران وهو شاب ، وكان من مخاضى السلطان حيدر الصفوي ، والد الشاه اسماعيل رأس الدولة الصفوية . فتقرب بحذقه وحسن رأيه من الملك نظام شاه البهمني . حتى ارتفع عنده وعز لديه . بل وبلغ من الجلالة والشرف ان احد اولاد الملوك البهمنية تزوج ابنته الصغيرة (ستي بي بي) ولما اخذت تستقل عمال البهمنية فيما تحت ايديهم من البلاد نشر يوسف لواء الاستقلال على (بيجابور) وكان قائده العزم والثبات والنشاط . وفي بدء استقلاله وافته الانباء بان الشاه اسماعيل الصفوي خطب في

إيران باسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام. وأعلن بان المذهب الرسمي في إيران هو المذهب الجعفري. وسعى حينئذ لترويجهم. فارتاح لذلك يوسف عادل شاه. وقوت عزيمته على الخطبة يوم الجمعة باسماء الأئمة الاثني عشر. واطاف الى الاذان الشهادة لولي بالولاية. وذلك عام ٩٠٤ هـ، وهو أول من اقترح الخطبة باسماء الاثني عشر عليهم السلام في الهند، وسعى لترويج التشيع فيها (١).

ثم ارسل العالم الجليل السيد احمد المروي الى الشاه اسماعيل مستنجداً به فوعده النصر، فكان هذا الوعد امضاءاً لعزمته، وتعزيزاً لقواه، وإماتة لقوى اعدائه، فكانت اعماله متوالية في خدمة مذهب أهل البيت، وترويج معارفهم الى ان لقي ربه.

ثم ملك من بعده ابنه الشاه اسماعيل عادل شاه، وكان ارسخ قدما في التشيع من ابيه، ولقد قهر جنده على لبس القلانس الاثني عشرية وهي تحتوي على اثني عشرة زاوية، وكان ذلك شعار الصفوية في التشيع، رمزاً الى انهم ينتمون الى الأئمة الاثني عشر في المذهب، وامر باعلان البراءة من اعداء آل محمد صلى الله عليه وعليهم في جميع شوارع

(١) تاريخ فرشته [١١ : ٢] وقد سبق ان ابتداء الدولة الصفوية عام ٩٠٥ هـ فلا يتفق ذلك مع ما سبق في الاصل الا ان يكون امتلاك الصفوية جميع بلاد إيران كان عام ٩٠٥ هـ، واتباع يوسف عادل شاه للشاه اسماعيل في الخطبة قبل ان يستولي الشاه اسماعيل على إيران كلها.

العاصمة (بيجاوردكن) وسكنها. ثم قام من بعده ابنه ابراهيم عادل شاه ولكنه اظهر النفس فاسقط من الاذان الشهادة لولي بالولاية، ومن الخطبة اسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ومات وبه عاهات عديدة.

ثم ملك من بعده ابنه علي عادل شاه وقبل ان يقبض على ازمة الحكم حيث كان ابوه على فراش المرض اذن على طريقة الشيعة، وكان هذا بفضل العالمين الجليلين الشهيدين الخواجه عناية الله الشيرازي والملا فتح الله الشيرازي، لانها كانا القائمين بتربيته، الفارسيين في قلبه حب أهل البيت والولاء لهم، وهذا هو الذي قتل ابراهيم ابوه عادل شاه لهذين العلين، وقتله لهما لم ين ولد له علياً عما حمله بين اضلاعه من رلاء آل محمد (ص)، وكان ابوه قد ابعده الى قلعة مرج بعد قتل ذينك المجاهدين، وجعل عليه الحرس والعيون، ولما بلغ اباه اذ انه بالشهادة لولي بالولاية حارل ان يعهد لابنه الاصغر طماسب بولاية الامر، ولكنه علم ايضا انه يوالي أهل البيت.

ولما قبض علي عادل شاه على اعنة الامر اعاد الصلوات الودية مع الدولة الصفوية، وقد استرجع ما اغتصب من ممالك العادل شاهية، بعد حروب كان المظفر الموفق فيها، فكان هذا نهجة في التشيع، وتلك انتصاراته وهاتيك شوكته وقوته، الى ان قتل عام ٩٧٤

فقام من بعده ابنه ابراهيم عادل شاه الثاني وكان غلاما حدث

السن ، فقصت عليه واستولت على بلاده الملوك المغولية في دهلي ،
وبه اقرضت الدولة العادل شاهية مأسوفا عليها .

القطب شاهية والتشيع

كانت هذه الحكومة في كولدكنة دكن وحيدر باد ، ووسسها
السلطان قلي قطب شاه ، وهو ايراني ايضا ، وكانت ولادته في قرية
سعد آباد من قرى همدان ، وورد الهند أيام ملكها محمود البهمني
فاكرمه وجعله من امرائه ، ولقبه بقطب الملك ، ثم صار قائده العام ،
ولما تضرعت اركان دولة محمود نهض فيمن نهض للاستقلال ،
ومضى نفسه بقطب شاه ، وبني قلعة كولدكنة واعتصم بها ، وكان
ايضا من مخلصي السلطان حيدر الصفوي ، ولما رفع الشاه اسماعيل
راية التشيع ، وروج مذهب اهل البيت ، واتبعه في ذلك يوسف عادل
شاه ، اعلن به ايضا السلطان قلي قطب شاه ، وسار عليه وهو هادي
البال مطمئن خاطر ، وجرى على مذهب اهل البيت مجدا ، وجاهرت
الشيعة في بلاده بما تعتقده ، وهكذا انسجت على هذا المنوال سلالته ،
ولم تختلف أو تخالف أسرته المملوكية في ذلك (١)

وحدث له مع ملوك عصره وقائع كان النصر فيها حليفه . وقد
قتل عام ٩٥٠ وكان قد فاهز التسعين . وكانت مدة حكمه ٦٠ عاما

[١] ملخصا عن تاريخ فرشته « ١٦٨ : ٢ »

قضى منها ١٩ عاما في نيابة محمود البهمني . و ٤٤ مستقلا بالحكم .
قرب من بعده على دست الحكم ابنه جمشيد قطب شاه .
واستقامت ايامه سبع سنين ومات بمرض الدق عام ٩٥٧ . وليس له
في التشيع آثار مسطورة .

ثم ولي الاصر من بعده ابنه ابراهيم قطب شاه . وكان ذات يد
وعقل . وطالت ايام دولته فكانت ٣١ عاما . وتوفي عام ٩٨٨ عن
٥١ عاما .

ثم قبض على ناصية الحكم من بعده ابنه محمد قلي قطب شاه .
وكان عاقلا حليما وبلغ من الشهرة في الحلم انه يعرف حتى اليوم بالسلطان
الحليم وكان شجاعا مقداما فتح عدة بلاد . وبني بلدة حيدر آباد .
واوجد كثيرا من المدارس والمدشفيات في مملكته ، وفي ايامه انتشر
مذهب الامامية في الهند ، وكان مجاهدا في اعلاء شعائر المذهب ،
وكان يأمر بعقد المآتم الحسينية في جميع بلاده ايام عاشوراء .

واحكم روابطه الودية مع الشاه عباس الصفوي حتى ارسل اليه
الشاه عباس خاتبا منه ابنته للاحد اولاده فاجابه الى ما طلب وسيرها
اليه (١) وكانت وفاته عام ١٠٢٠ هـ

ثم استلم ازمة البلاد نجده محمد قطب شاه . وكان معروفا بالبر
والصلاح . ومن آثاره الجميلة المسجد الجامع في حيدر آباد المعروف

(١) عن تاريخ فرشته « ١٧٤ : ٢ »

بمكة مسجداً . ولم يتم بناؤه على عهد . وله كان مجلس بمحضرة العلماء
والادباء . وكان شديد التمسك بولاء اهل البيت . مناصراً لمذهبهم
مات عام ١٠٣٥ هـ

ثم تولى عرش الملك ابنه عبد الله قطب شاه . وسار على نهج
آبائه من اعلاء كلمة التشيع ونصرته لمذهب اهل البيت . وكان محباً
لاهل العلم والادب . مكرماً لهم . وقد وفد عليه الكثير منهم وألفوا
باسمه عدة كتب وأمر ببناء عدة مدارس . وفي عصره انتشرت
المسألة الحسينية في عاصمته وكانت وفاته في الثالث من المحرم
عام ١٠٨٣ هـ

ثم علا اريكة الحكم من بعده ابنه ابو الحسن قطب شاه .
المعروف بتاناشاه ، وقد حدثت له حروب مع « اورنگ زيب عالم
كير » ادملوك الغول في دهلي كان في آخرها النصر حليف عالم كير
فقبض على « ابو الحسن » وسجنه . واستولى على مملكة القطب شاهية
وذلك في عام ١١٥ هـ

انظام شاهية والتشيع

كانت عاصمة هذه المملكة احمد نكر ، ومؤسس هذه الدولة الملك
حسن ، وكان على مذهب اهل السنة ، وامتد عليه الى ان مات .
ثم استقل بالحكم من بعده برهان نظام الشاه ، وهو اول من

اختار مذهب آل محمد صلى الله عليه وعليهم ، وجاهر بالتشيع ، بعد
ان كان شديد التعصب للسنن ، وسبب ذلك ان الشاه اسماعيل الصفوي
كان قد ارسل العالم الجليل شاه الطاهر الى دكن يدعوهم الى ولقاء اهل
البيت واعتناق مذهبهم ، ولما ورد الى دكن ورأى شدة التعصب من
ملوك احمد نكر للسنن ، اتفق من الاعلان بمهمته فاتفق ان مرض
عبد القادر ابن الملك برهان نظام شاه مرضاً شديداً ، وعجزت الاطباء
عن شفاؤه ، ولما آيسوا واظهروا العجز عن علاجه طلب العالم الشريف
جليل شاه الطاهر مواجئة الملك ، وبعد ان اجتمع به قال له : اني ادعو
بشفاء ولدك على ان تعتنق مذهب آل الرسول « ص » اذا عوفي ،
فاجابه الى ذلك ، ولما نام الملك مساء ذلك اليوم رأى في منامه محمداً
وخلفاؤه الائمة الاثني عشر عليه وعليهم السلام ، وهم يقولون : اللهم
بحق علي واولاده اشف عبد القادر ابن الملك ، ولا تخلف ميعاد ولدنا
الطاهر ، فلما اتقه الملك مضى الى ام عبد القادر فرآها في دهشة وعجب
فسألها عما اعتراها من الاستغراب فاجابته بان الغطاء الذي على
عبد القادر تحرك من دون محرك وانبط عليه ، وقد كان من شدة
المرض لا يستطيع ان يحرك يداً ولا رجلاً ، وهذا هو السبب لاندھاشي
نجوا اليه ورفعوا الغطاء عنه فوجدوه صحيحاً سوياً كأن لم
تكن فيه علة ولا مرض ، وكأنه لم يمر عليه ذلك الداء العضال القوي ،
اتى الاطباء ، فمن ذلك اليوم اختار برهان شاه مذهب اهل البيت
واعتمد ولائهم ، وذلك عام ٩٤٤ هـ ، واخذ من يومه يجهر بالتشيع .

وبجري عليه في عامة شؤونه . حتى في توظيف ارباب الدولة . وحتى في البراءة من اعداء آل محمد (ص) بكل صراحة وظهور . وامر بذلك في الشوارع والاسواق والمعابد والمساجد (١) وكانت وفاته في سنة ٩٦١ .

ثم قبض على صولجان الحكم ولده حسين شاه ، واستمر في الامر احد عشر عاما فمات عام ٩٧٢ .

ثم ملك ابنه مرتضى نظام شاه . وكان شجاعا ذا رأي شديد في تدبير الملك . وبصيرة في الحروب وخبرة بالسياسة . اتفق مع سلاطين ييجانور . وكولسكنده على حرب راجات جنوب الهند الوثنيين فزهمهم مراراً . وفي ايامه اتسع نطاق ملكه . وكان مؤبداً لمذهب اهل البيت . وقتل عام ٩٩٦ وحمل جثمانه الى الحائر الحسيني بداستيداعه في الارض زمانا .

ثم ارتقت الى عرش البلاد زوجته (چاندي بي) وكانت مثقفة سائسة قوية القلب . قادت الجنود بنفسها بعد وفاة زوجها . وهزمت مراراً جيوش الشهنشاه اكبر . اعظم ملوك المغول في دهلي . واختل نظام احمد نكر بعد وفاته لمنازعات داخلية . وتولى الحكم من بعدها خمسة من النظام شاهية . ولكن لم تقم لهم شوكة . ولم تطل مدتهم . واقترضت دولتهم بابتلاء شاهجان احد ملوك المغول على احمد نكر

(١) عن تاريخ فرشته ٢ : ١٠٩ - ١١٣

- ٢٤٦ -

ولم يلاق في فتوح بلادهم صعوبة تذكر . وكان زوال ملكهم في عام ١٠١٦ م فسبحان الدائم الذي لا اقضاء لملكه ولا زوال .

الشيعة والتشيع في الهند

ان للصفوية القدح المعلن في بث روح التشيع في الهند . واعلاء مذهب اهل البيت . وفيما مضى اكبر شاهد على ذلك . فانه لم يمتدق النظام شاهية مذهب اهل البيت . ولم تجاهر به العادل شاهية والقطب شاهية . الا بفضل مساعيهم الجيلة .

يقول (المستر راس) في كتابه (ايران وايرانيان) : ان الملوك الصفوية لم يدعوا الخلافة كملاك الروم . لكونهم شيعيين . ولكنهم تمكنوا من بث روح الدين الاسلامي اكثر من سلاطين آل عثمان بحذقهم واستقلالهم . وكانوا - لانهم ساءة شيعيون - محترمين عند ملوك دكن . وبلغ من احترامهم لهم ان يرسلوا بناتهم الى ايران لمصاهرتهم . وقد ادخلوا (بابر) (همايون) ملكي المغول الشهيرين تحت سيطرتهم . لنصرهم لها . وجعلوها كمبدين بلا ثمن . الى ان مالا الى التشيع . ولم يكتفوا بذلك بل كانوا يرسلون من وقت لآخر الشعراء والاهماء الدعوة الى التشيع في الهند . من مثل عرقي ونظيري الشاعرين الشهيرين . والحكيم فتح الله . والقاضي نور الله التستري . العالم الشهير . والحق انه لو لم نحن الاقدار على الدولة الصفوية لكانت اليوم في الهند سلطة شيعية وحيدة . انتهى .

- ٢٤٧ -

وفي الحقيقة اننا لانستطيع ان نحكم حكماً باتماً بتشيع (بابر) و «هايون» ملكي المغول . ولكن دب التشيع الى المغول من (ممتاز محل) (١) وهي ابنة ميرزا غياث رزير الشاه ط (طهماسب الصفوي) فانه تزوجها الشاه جهان احد ملوك المغول قارلدها مراد وشاه شجاع وكانا مجاهدين بالتشيع (٢)

نعم يمكن ان يقال بتشيع (اورنگ زيب عالم گير) احد ملوك المغول . وقانع بلاد دكن . لانه اوصى ان توضع التربة الحسينية في كفته . ومنع ان يشتري كفته من اجرة كتابة القرآن . فانه كان يكتب المصاحف ويبيع بها . لانه زعم ان الشيعة تقول بحرمتها وقد ظهر ولده الاكبر على علماء السنة في مناظرة مهمة وادرج في الاذان الشهادة ليلي عليه السلام بولاية الله (٣)

ولما كان هذا الزمن تقريباً زمن اضمحلال الدولة الصفوية لم يتظاهر غير هؤلاء من ملوك المغول بالتشيع . فكان من معز الدين جهاندار شاه الى اكبر شاه الثاني كلهم من السنة نعم مال الى التشيع اخر ملوكهم (بهادر شاه الظفر) بفضل مساعي العلامة المفتي السيد (١) وهي التي تآثرت بدم القتل غيلة ظلمها وعدوانا العالم الشهير القاضي نور الله النسماني ، وقتلت به الجم الغفير من سبب قتله

(٢) ١ كسفورد تاريخ الهند

(٣) تاريخ الهند ص ٩ لمؤلفه شمس العلماء ذكاه الله

- ٢٤٨ -

محمد عباس التستري المجتهد الشهير . ونجم الدولة دبير الملك اسد الله خان الغالب الشاعر الشهير

دولة اوده والتشيع

لم تنحصر آثار الدولة الصفوية في نشر لواء التشيع على ربوع الهند في الملوك المغولية فحسب ، بل استقلت بمساعيهم في الهند دويلات شيعية اخرى ، ارسل الشاه (طهماسب) ١٢٠٠٠ فارساً من جنوده لتصر هايون الملك المغولي والد «اكبر» اشهر ملوك المغول في تحصيل عرشه المغتصب ، وانسلكت جماعة كبيرة من الفرس في بطانة هايون لما وجدوه من الاكرام والاعزاز ، واقامت هذه الجماعة بعد تقاص ظل دولة المغول - دويلات شيعية في عرض الهند وطولها .

واول بطل نشر لواء الاستقلال ، وناهض المغول ، هو ابو المنصور صفدر جنك ، وما كان ملك وقته احمد شاه يقوى على مقاومته ورد جماعته حين اخذ يتدرج في الاستقلال ، فزال تقوى شوكتة الى ان ارتقى على كرسي الامارة لاستقلة في «اوده» (١)

ان اماره اوده لم تنشر لواء التشيع في الهند فقط ، بل كانت باعنائها على بقائه فيها ، واعلاء كلمته ، ونشر معارفه ، واقامة آئمة الحسينية ،

(١) ما ياتي قد ترجم عن قبصر التواريخ ، وعن سير المتأخرين ملخصاً .

- ٢٤٩ -

ومجالس الوعظ، وبناء الحسينيات والمساجد والمدارس العربية، واشباه مشاهد
الائمة عليهم السلام، وهذه الاشياء تصنع في الهند تذكر المرافد منهم وما يجري
عليهم وطبعت الكتب العلمية، ووردت هجمات اعداء القشيم عنه، وكأخت
الدعايات التي تبث ضده من مناوئيه، واكرمت العلماء واعانت منازلهم
ورقت لهم الرواتب، ومنحتهم المراتب، واقبتهم باللقاب جليلة،
امثال سلطان العلماء، وتاج العلماء، وغير ذلك، حتى ان بعض
الملوك منهم اتى مقاليد الامر الى عالم عصره، وانزل جانباً عن
الادارة والتدبير، فلولا مساعي هذه الامارة لما بقي المذهب الشيعي
رسم في الهند، لكثرة من يسمى من الفرق ويمجد ويجهد للقضاء عليه
وجملة القول ان هذه الامارة اسالت الذهب والفضة جداول في سيل
الدين ونشر معارفه واعلاء مذهب آل الرسول (ص)

ولم تنحصر الآثار الجليلة بهذه الامارة في الهند فحسب، وانما
يصل من وقفيتها خيرية اوده لكل من النجف وكربلاء في كل شهر
حتى اليوم ٣٧٥ ديناراً عراقية عن خمسة آلاف روية توزع على اهل
العلم والفقراء، وهذا جزء من تلك الخيرية، وهي خيرية واسعة،
ولها موارد للصرف في الهند اكثر بكثير مما يرد الى العراق.
وما كان ملوك اوده اشياحاً للشيعية وانصاراً للمذهب اهل البيت
فقط، بل كانوا كلهم عدولاً منصفين اسخياء، اولى شفقة على الغرباء
فما اقل امثالهم من الملوك في التاريخ.

ولما توفي ابو البصور صفدر جنك خلفه ابنه شجاع الدولة، ولقد
حارب الانكليز مع شاه عالم ملك دعلي، ومير قاسم والي بنغالي،
ولكنه انهزم، فاسفر عن جعل امارته تحت نظارة الانكليز.
ثم استلم من بعده زمام الامر ابنه آصف الدولة، وكان عادلاً
كرماً يضرب المثل بسخائه، وجعل عاصمة حكومته «لكهنور» بعد
ما كانت «فيض آباد» وتوفي ولم يترك عقباً، لانه لم يتزوج مدة
حياته، وترك آثاراً جليلة سجاها التاريخ في صدائقه البيض، وهو
الذي بذل مبلغاً جسيماً لحفر نهر من الفرات، ليجري الماء الى النجف
فاجراه وأوصله الى الكوفة، ومنه اليوم ري النجف، بواسطة المضخات
والانابيب، ويعرف هذا النهر اليوم بنهر الهندية، واصبح بعد زمن
عمرد نهر الفرات، ومنه تشق الجداول (١)
وبنى في لكهنور حسينية فخمة البناء، تعرف اليوم بحسينية آصف
الدولة وتند من اكبر عجائب العالم، تزورها الناس من شامع الامصار
ومن مختلف النحل والاديان، وحسينية في كور كاه بور، وهما معا
موجودان حتى اليوم، ولهما وقفيتان واسعتان، الا ان الحسينية التي
في كور كاه بور ووقفيتها قد استولت عليها السنة.
ثم ملك من بعده اخوه سعادة علي خان، المدير الضابط، ولكن
قضت عليه سياسة الغرب بكأس من السم القاتل.

(١) وكان تاريخ اجرائه «صدقة جارية» اي عام ١٢٠٨

قلم مقامه ابنه غازي الدين حيدر (١) واسمفل بلقب الملك ،
بإشارة من الانكليز ، وكان متصبلاً في الدين ، شديد التمسك
بالشيع .

ثم ولي الامر بعده نصير الدين حيدر ، وكان قوي التمسك
باهل البيت ، مناصراً للشيع ، وله في نشر التشيع مساع كبرى ،
واقدر اسس روح الخيرات ، وبذل مبالغ طائلة في عزاء سيد الشهداء
عليه السلام ، وبني شيعاً لضريحه .

ثم قبض على مقاليد الامور ابنه محمد شاه ، وكان ملكاً عابداً
ورعاً ، القى ازمة الملك الى مجده عصره سلطان العلماء السيد محمد بن
العلامة ولدار علي غفران آب (٢) وهو يعد من مجددوي المذهب
الجفري في الهند على رأس القرن الثالث عشر من الهجرة .

وليس محمد علي شاه مباني الخيرات ، ومنها وقفه الكبير الشهير
باسم وقف « حبيباد مبارك » وعليه اليوم اعاشة اكثر سكان البلد
وجزه منه بنفق على جامعة عربية هي اليوم وحيدة في شأنها في الهند
تسمى بالجامعة السلطانية ، تدرس فيها العلوم الدينية ومبادئها ،

(١) وزوجته هي صاحبة خيرية اوده وكانت نصرانية
فأصلت متشيعه .

(٢) وهذا اللقب لقب به بعد الموت ، وهو الى اليوم
يعرف به .

فلا دراسة فيها من النحو الى الفقه وأصوله ، وما في اقطار الهند من
مبالغ أو واسط او عالم له حظ من العلوم الدينية الا وينسب اليها .
ثم تولى ابنه امجد علي شاه وحكم في الناس مدة وكان على وتيرة
ابائه السابقين ثم استلم اعنة الحكم واجد علي شاه آخر ملوك اوده ،
وكان جامعاً بين العلم والمال ، شاعراً ذا قريحة حسنة ، وطبع جيد
في الشعر ، وله مصنفات مطبوعة ، بعضها بالهندية ، وبعضها بالفارسية
وديون شعر مطبوع ايضاً وهو ما بين هندي وفارسي ، وكان يحب
العلماء الشيعة حباً جما .

ومن المؤسف جداً ان مخالف الانكليز نشبت في جسم هذه
الامة ، ورفعوا على بلادها لواء الاستعمار ، وتسلطوا عليها تماماً ، بعد
ان كانت تحت نظارتهم ، وذلك بعد منازعات وحوادث جرت بينه وبين
الانكليز ، بل وبينهم وبين ابيه من قبل ، وتلك سنة القوي مع الضيف
في ميدان النضال ، وعند مهمة الاستعمار ، فعزلوا واجد علي شاه بعد
الشجار ، وكان ذلك بدسيسة من وزيره الخائن علي قتي خان ، في
زمن اماره « ولهوري » نائب الدولة البريطانية في عام ١٢٧٤ هـ .

وتوفي الملك واجد علي شاه بعد ما غرس في قلوب الناس حبه ،
وإن اهل الهند الى اليوم تلهج السنتهم بالثناء عليه ، وقيض في بيان
مآثره ، فانه كان شديد الرأفة برعيته .

دولة تالپور ودولة ميرپور

تأسست في الهند هاتان الدولتان (تالپور) و (ميرپور) بعد مدة من استقلال صندرجنگي. وُسس دولة أوده. ولكن قضى عليها الجشع الانكليزي بعدما نسبوا الى اميرها اعداءا لا صحة لها.

دولة بنغال و بهار و اريصة

بند و قاة « اورنگ زيب عالم گير » بقليل انحراف امير ايراني اسمه (الله وردى خان) عن الملوك المغولية وأسس - وهو شاب نبه سائنس - في مدة قليلة دولة مستقلة في هذه البلدان . وبقي مدة ملكا عليها .

ثم خلفه على العرش سبطه سراج الدولة . ولكن هزمت جنود الانكليز . على اثر شجار اهلي . وغدر من جنوده به .

فاقاموا مقامه مير جعفر وكان قائد العسكر قبل ذلك . ولكنه ابى من تحمل ضيق الانكليز . فاقاموا محله صهره مير قاسم . ولما أحس بمضض الظلم اتفق مع شجاع الدولة امير اوده . وشاه عالم ملك دهلي على حرب الانكليز . غير ان لانكليز رشوا قواد الجيوش

فانهزم مير قاسم انهزاما قاحشا . فارجع الانكليز مير جعفر الى هذه الامارة ثانيا . إلا انهم لم يتركوا له نفوذا في البلاد . وإنما كانت ملكا في الصورة والسلطة بايديهم . وبعد مدة اضمحل امره . وان أولاد مير جعفر اليوم يعيشون كغيرهم من الرؤساء . يتقاضون مرتبات شهرية من الانكليز .

دولة ترينابلي

ودولة اركات ، ودولة ميسور

تأسست في جنوب الهند الدولتان الاوليان لايريهما محمد علي وچندا صاحب . وكان محمد علي تحت نفوذ الانكليز . وچندا تحت نفوذ فرنسا . ولكن الانكليز سعوا بخدمهم بفرقة الاهلين . واستعانوا باقتراحهم على القضاء على دواي صديقهم وعموم معا . واستولوا على هاتين الدولتين تدريجا .

وتأسست في جنوب الهند أيضا دولة ناشة تعرف بدولة ميسور . أسسها الامير الشجاع الذي النبى حيدر علي ، بعد ما قتل راجنها ، وقوي امره في مدة وجيزة في جنوب الهند كله .

ثم قام من بعده ابنه السلطان « تيبو » ولم يكن كآبيه فطنة وحذقا . وإن ما ناله شجاعة وبسالة . ومن ثم لم يقدر على مقاومة انكليزها ، وان هزمهم مرارا ، وكان في آخر حروبها ان الانكليز

حاصروا عاصمة ملوكه ، باعانة نظام حيدر اباد ، وصرهات ، قوم
من الوثنيين ، ثم قتلوه .

ومن غريب ما يحكى عن قوته انهم قتلوه وهو قابض على
سيفه ، فارادوا انتزاعه من يده بعد القتل فلم يستطيعوا على ذلك ،
لشدة امساكه عليه ساعة حياته ، فدققره والسيف بيده ، وبعد قتله
استولى الانكليز على بلاده .

وتأسست في الهند بعد اضمحلال الدولة المغولية دول عديدة
نظمية متعاقبة ، ولكن اصطادها أجمع ، الانكليز بجبايل خداعهم
بامر ع وقت .

الدول الشيعية الحاضرة

الدول الشيعية الحاضرة هي : رامبور ، بيكن بلي ، خير پورستند
وهذه الدويلات الثلاث كدول مستقلة ، لها أنظمة خاصة ، غير
أنها تحت نظارة الانكليز ، وحاصل كل دويلة منهم يربو على
ملايين الروبيات .

واما حيدر آباد دكن فهي اكبر دولة مستقلة في الهند ، وقد
نسب التثيم الى ملكها الحاضر « عثمان علي » وعلى ذلك دلائل
وامارات ، امثال تظاهرة في عاشوراء بالكابة والحزن ، وغيره

لما تم العزاء ، وجلسه فيها ، وجعله يوم الغدير عيداً رسمياً كما عليه
عامة الشيعة ، الى غير ذلك ، ولكن لما سألته رعيته رسمياً عن هذه
النسبة لم يسجل على نفسه الاعتراف بها . وانما اجاب بانه من الفضلة ،
يعني بذلك من الذين يفضلون علياً امير المؤمنين على من تقدم عليه
من الخلفاء .

الهند الشيعية في الزمان

توجد الشيعة اليوم في جميع اقطار الهند ، وليس في الهند بلد إلا
وفيه ناس من الشيعة ، وهناك بلاد تخص بهم ، واخرى يكونون
الاكثرية بها ، واليك أسماء البعض من هذه البلاد .

(لكنهور) وهي المركز الوحيد للشيعة الاثني عشرية في الهند ،
وعاصمة مملكة اوده القانية ، ومنبع علمائها قديماً وحديثاً ، ولها تقدم
على جميع البلاد الهندية في الحضارة ، وتعد اليوم من اكبر البلاد
العلمية ، وفيها مدارس عربية ، أهمها الجامعة السلطانية . التي اشرنا
اليها عند ترجمة محمد علي شاه أحد ملوك اوده ، ومنها مدرسة الواعظين
وهي تختص بالتبليغ ، والمدرسة الناطمية ، وقد أسسها العلامة السيد
ابو الحسن ، كما أسس الجامعة السلطانية ، وكان من اكبر علماء الهند
فضلاً وورعاً ، ومادة الجامعة السلطانية من وقف حسيناد مبارك
كما اسلفناه ، واما الناطمية فمن وقف وقف ناظم صاحب ، فسميت

باسمهم ، والتناظر عليها اليوم العلامة السيد نجم الحسن ، وهو ناظر أيضا
على مدرسة الواعظين . ولما اشتغل السيد نجم الحسن عن الناظرية
بمدرسة الواعظين آلت الناظرية الى الانحطاط ، ومالت عمارتها الى
الانهدام ، فانتقل التدريس منها الى الحسينية الناظرية .

وفي لکنه نور الشیء الكثير من آثار الشيعة كالاساجد والحسينيات
واشياء المشاهد المقدسة مالم يشرحناء لخرجنا عن الصدور .

واليها يرجع الشيعة في الهند من كل قطر ومصر في امهات المسائل
الدينية والعلمية ، بل والسياسية وما سواها ، وفيها تقام اليوم المآتم
الحسينية من هلال المحرم الى الثامن من شهر ربيع الاول كما تقام في
عاشوراء من البلاد الشيعية . هذا مع ما تقام فيها جميع ايام السنة
على النحو المألوف في غيرها من بلاد الشيعة ، وان كثرة هاتيك المآتم
ومظاهر الحزن فيها تفوق على المآتم العراقية .

ومن البلدان ، جانبور ، امروها - وفيها مدرسة عربية - بقنا ،
- وفيها مدرستان عريقتان - آله باد ، مظفر پور ، لاهور ، پنجاب ،
بنارس - وبها مدرستان عريقتان - الايمانبة ، الجامعة الجوادية ،
فيض آباد - وبها مدرسة عربية ومديرها العلامة السيد شير حسن ،
وهو ممن تلقى علومه الدينية في النجف الاشرف - سهارن پور ،
ميرت - وفيها مدرسة عربية - حسين آباد مونگیر . خير پورسند .
يكن پلي . سيال کوت . كويته . بمبي . حيدر آباد . جونپور .

كجهوه . نوگانوان . وبها مدرسة عربية . الى ما عداها من
البلاد الكثيرة .

الراجات الشيعية في الهند

الراجة لقب الرئيس الذي هو ادنى مقاما من الامير ، واعلى
مرتبة من الزعيم العام ، ووارد اكثر بلاد الراجات بربرو على
الملايين من الروبيات ، واليك اسما بعض البلدان التي يملك امرها
الراجات ، وهي :

محمود آباد ، سليم پور ، متوپور ، بير پور ، ديوكارن ،
حسن پور ، اصغر آباد ، كشن كنج ، بهتوشو ، بلهرا ،
الى ما سواها .

نفوس الشيعة في الهند

لم نحص نفوس الشيعة في الهند احصاءا مستقلا ، حتى يعلم
عددتها بالضبط ، وانما هي محصاة ضمن نفوس المسلمين عامة ، غير ان
المعروف على السنة الخبراء ان نفوس الشيعة ٠٠٠ - ٠٠٠ - ٣٥ خمسة
وثلاثون مليونا .

فرق الشيعة في الزهد

ان جمهرة الشيعة في الهند من الامامية الاتني عشرية وفيها قليل من الاسماعيلية (١) والاسماعيلية على فرق والبهرة من فرق الاسماعيلية ولربما يوجد غير الامامية والاسماعيلية من فرق الشاه في الهند كالمزيدية ولكن ليس لهم شأن وذكر.

مهن الشيعة وعرفهم في الزهد

يوجد اليوم في شيعة الهند العالم الكبير، المرجع في التقليد، والشاعر البليغ، والكاتب اقدير، والصحافي الذائع الصيت، والاديب البارع، والمحامي الشهير والطبيب النظامي، والموظف الكبير في دوائر الحكومة، وذو الشخصية البارزة، والضليع بالسياسة والادارة الى غير ذلك، من ولاية وراجات ونواب.

وهم يترفعون عن المهن الدنية، والحرف الوضيعة، كالكناسة والحلة، والسقاية، والحجامة واشباه ذلك، وانما يطمح انظارهم، ومحط همهم، المهن الحرة، والمكاسب الرفيعة، كالتجارة، والمحاماة والتدريس، والطبابة وما ضارع ذلك، وفقنا الله واياهم الى ما فيه صالح الدارين.

(١) الاسماعيلية هم الذين يزعمون ان الامامة انتقلت من الصادق عليه السلام الى ابنه اسماعيل دون الامام موسى الكاظم (ع)

الشيعة في البحرين (١)

كانت البحرين من اعمال الفرس، وكان اهل البادية منهم عربا، واهل البلاد بين نصاري ويهود ومجوس وفرس، وكان الهوالي عليها عن ملوك فارس المذخر بن ساوي. فبث النبي (ص) اليه والي (١) تطلق البحرين قديما على ما بين البصرة وعمان من ساحل بحر الهند مما يلي الجزيرة، فكان يدخل فيها الكويت وقطر والقطيف والاحساء وغيرها من بلاد الخليج، ولكن بعد ذلك تشعبت وصارت امارات عديدة، واذا اطلقت اليوم يراد منها امارة آل خليفة، راحم بلدانها الممامسة والمحرق والرفاع والحد والبديع.

وكان النبي (ص) قد بعث الملاء اليها عام ثمان وقيل ست من الهجرة، وتعاقبت عليها عدة امارات بعد الخلفاء كعبي امية وبنو عباس، وفي ايامهم استولى عليها صاحب الزنج ثم القرامطة ثم الامارة العيونية، وهي التي استلبته من القرامطة، واستمر حكمها نحو ٢٥٠ عاما، ثم امتلكها الفرس الزنجيون، ثم المغول ثم تيمور، ثم تغلب البرتغاليون عليها وعلى القطيف ومسقط، ولم يدم حكمها اكثر من اربعين عاما، وجلاهم عن تلك البلاد السلطان سليمان القانوني بمساعدة انكشار، ثم اخلف امراء جزيرة البحرين.

سيخت مرزبان هجر (١) وإلى أهل البحرين العللاء بن الحضرمي
يدعوم إلى الاسلام أو الجزية ، فاسلم المنذر وسيخت والعرب كلهم
وبعض الفرس ، وصالح العللاء اليهود والنصارى والمجوس على جزية
وهي نصف غلاتها ، وقيل عن كل حالم دينار ، ورجع العللاء بمال
- وكان أكثرهم من الشيعة فرقموا شكواهم إلى الشاه عباس الأول
الصفوي وطلبوا منه الحماية لقربه منهم موضعها ومذهبها ، فأجاب
الشاه طلبهم وخلصهم من سلطة الأجانب ، وبسط الأجانب ؛
وبسط عليهم حمايته الشاهانية ، وما زال علم الحماية الفارسية خافقا
عليها إلى أن انقلب الانكليز ، وصار صاحب الحماية هدوقا وحروب
كان أميرها العام منصور آل مذكور ، فاعتصبها منه آل
خليفة بعد حروب ومعارك ، واستصرخ بحكومة فارس فلم تفتح
وكان آل خليفة أمراء الزبارة ، وهي بلدة في قطر على شاطئ
البحر قبالة جزيرة البحرين ، ثم جاءها أمير مسقط السيد سلطان
عنوة يزبد الاستيلاء عليها بعد أن أحس من أميرها الشيخ سليمان
آل خليفة الضعف ، فصالحه الشيخ سليمان وجعل عنده رهينة
أحد أخوانه ، فارتحل به وبالعنائم إلى مسقط ، وجعل عليها رلده
السيد سعيد أميراً ، ثم استغاث آل خليفة بابن السعود بعد موت
الرهينة ، فاستنقذها ابن السعود ولكن طمع فيها فاستولى عليها
وبعد حين استرجعها آل خليفة بمساعدة أمير مسقط ما لبثوا شغلت
للسعودي حادثة وإلى مصر معه عن البحرين وغيرها ، وهي اليوم
بأيدي آل خليفة تحت حماية الانكليز .

(١) المرزبان الرئيس والزعم بعد الملك .

- ٢٦٢ -

الجزية إلى النبي (ص) وهو مال عظيم جداً ، قيل إن النبي (ص)
ما قبض قبله ولا بعده بقدره ، ثم بعث إليها والياً أبان بن سعيد بن العاص
الأموي ، وكان من أولياء علي عليه السلام وشيعته والمتخلفين معه
عن بيعة أبي بكر ، ولما قبض النبي (ص) فارق أبان البحرين ، ولعله
أول غارس لشجرة الولاية فيها .

ثم لما رجع الأمر لأمير المؤمنين عليه السلام وامتد إليها سلطانه
استولى عليها التشيع ، ومن ثم لم يستطع معاوية - لما ولي الأمر - أن
يعزل عنها ولاية أمير المؤمنين والحسن عليها السلام .

وهكذا دامت محافظة على الانساب لأهل البيت مذهباً ، فلما
ولي عبد الملك وفتح الكوفة بعد مقتل مصعب بن الزبير فر بعض
الشيعة إلى البحرين خوفاً من سطوته ، فأراهم واليها ، فوجه عبد الملك
إليها الجيوش فلم يستطع أن يفتحها حرباً ، فخدع بالمال أهل الشر والجهل
منهم فغذبهم إليه ، وبهم تمكن من إخضاع البلاد ، وقتل أولئك نفر
من مشاهير الشيعة وخيار أهل البلد ، وحمل الباقين على مفارقة التشيع
فأبوا عليه ، وندموا على ما فرط منهم ، وخاف بأهم فصالحهم على
نزع السلاح على أن يرفع الخراج عنهم ، ثم دفن عين السجور ، وكانت
أقوى عين في البحرين ودفن عين عيوناً كثيرة فيها ، يريد بذلك
إضعافهم (١)

(١) عن كشكول العلامة - - الشيخ يوسف البحراني

بإيجاز وتصرف .

- ٢٦٣ -

فدامت على الشيعة لانتخني من اعتناق ساطة حاكم ، ولا ترهب
من التصريح به سطوة ظالم ، وتمثل الشيعة فيها اليوم اكثرية البلاد
الا البادية .

وكان فيها كثير من العلماء والافاضل والشعراء ، ولكن اخرجهم
المواقف الفرضوية فاخرجتهم الى العراق ويران ؛ كان التشاجر زمنا
طويلا بين بعض الامراء عليها . بيا للفوضى ، والخطر على النفوس
والنقائس ، لهجوم الاعراب عليها في كثير من تلك الحوادث ، وانت
خير بما عليه عرب تلك البوادي وعرب نجد من الوحشية وغاظ الطباع
وحب الغارة والنهب والسلب ، فكانت تلك الحوادث العديدة التي
تقع مرة بين منصور آل مذكور وبين آل الخليفة ، واخرى بين
آل خليفة وبين صاحب مسقط ، وتارة بينهم وبين آل السعود الى
غيرها هي السبب لسلب الامن داخل البلاد ، ومغادرة اهل العلم
لاوطانهم ، مقتئين لاجئين الى العراق ويران .

وفيهما اليوم كثير من ابناء العلم ، وفي كل زمن يوجد منهم
جماعة في النجف الاشرف لطلب العلم وفق آل محمد

السبعة في القطيف والاحساء وقطر

اما القطيف وقراما فهي شيعية خالصة ، واما الاحساء وقاعدتها
- هفوف - فالشيعة فيها يشاطرون غيرهم ، كما ان في قطر كثير من
الشيعة ، ولا يزال من هذه البلاد في النجف الاشرف مهاجرون

لتحصيل علم أهل البيت عليهم السلام . وفيها اليوم جماعة من
أهل الفضل .

وكانت هذه البلاد ممتحنة بسلطة آل عثمان . ولما انتزعها منهم
ابن السعود كانت منهم أشد وانكى فان ولاية ابن السعود وجنوده
يتصرفون في هذه البلاد باسم الدين والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر . ما شاءت لهم نفوسهم وشاء لها الهوى غير انها في هذه
الايام أخذت سلطة ابن السعود تخف تلك الوطأة التي كانوا عليها
من الشدة والضغط على الحرية المذهبية . فصاروا اليوم لا يلزمونهم
بمحضور الجمة والجماعة . ويسمحون لهم بقصد المشاهد المقدسة . ولكن
لا يرخصونهم في النظار بشعائر المذهب . لا سيما في عقد المآتم
الحسينية والبكاء على قتلى الطف .

السبعة في الكويت

وبهرو الساهل

اما الكويت فالشيعة داخل البلد يشاطرون غيرهم دون اهل
البادية ، وهم يتمتعون بالحرية المذهبية كاملة ، ولا يجبروا امرؤهم
آل الصباح وهم من اهل السنة فرقا في المعاملة بينهم وبين غيرهم وان شاركهم
في النحلة ، وفي شعبة الكويت اليوم كثير من اهل النروسة لسعة تجارتها ،

وجلبها (وهي ساحلية) من الهند وأوربا ما يحتاجه أهل البادية بل
وأهل العراق ، كما أن ذلك سبب إثراء أمراءها ، ومنها اليوم تقسرب
إلى العراق أموال طائلة من طريق البادية والبصرة .

وأما البلاد الساحلية كعمان ومسقط ودبي وغيرها فالكثير من
أهلها شيعة وهم أيضاً يرفلون بابراد الحرية المذهبية ويقيمون الشعائر
الدينية من غير معارضة من أرباب السلطات وإن خالفهم في النحلة ،
ولا يزال بين ظهرانيهم ناس من أبناء العلم للارشاد وتعليمهم أحكام
الدين كما هو الشأن في الكويت أيضاً ، ويفد عليهم كثير من رجال
العلم وأرباب المنابر الحسينية سوى المقيمين عندهم والجميع يقضون الزمن
الكثير في ساحاتهم وهم في دعة وأمان .

الشيعة في العراق

إن دخول التشيع في الأفغان كان من يوم دخوله في إيران ،
غير أنه لم يجد أنصاراً ونجدة كما وجدها في إيران ، بل ربما ناهضته
السلطات وأهل البلاد واشتدت في مقاومته ، وإن أحسن يوم مر
عليه يوم كانت الصفوية صاحبة السيادة على هذه البلاد ، وأما حاله
في هذه الأزمان فيختلف حسب اختلاف أرباب السلطة ونزعاتها ،
فلربما شاهد الضيق والظنك ، وأخرى الراحة والحرية ، وإن أرغد
عيش مر على الشيعة في هذه الآونة يوم كان ملك البلاد « أمان الله »

خان ، فإنه كان أوسع حرية لهم من سواه ، كما أنه وجد منهم نصرة
ونجدة لأنهم بوسائل وفرسان حرب وطعان - يوم حاربته (باجه سقا)
واستولى عليهم الأسف يوم انتصر ابن السقا عليه ، بل شاهدوا من
ابن السقا الشدة والحذف حية قض على أزمة الأمور ، ولكن أيامه
لم تطل ، حيث توفي نادر خان ملكها بالامس للانتصار على ذلك
الغالب القاتح ، وقد قبض عليه وأعد به ، وإن نادر خان - كما
أخبرت عنه الوفاة من أهل تلك البلاد لزيارة المشاء المقدسة - خير
بسياسة البلاد ، حسن السيرة مع الرعية . وهو من عائلة الملك المغلوب
أمان الله خان . وأما الملك الجديد خلف نادر خان وهو ولده
(ظاهر خان) فهو شاب جديد عهد بالامرة . فلا تستوثق حاله مع
الشيعة إلا بعد أن قبض على الحكم بيد من حديد (١)

وإن التشيع في الأفغان في هذه السنين - وإن كانت السلطة
من غيره - ينتشر ويسير . ويعتقده الناس الذين من غيره . بل حتى
من أهل العلم والعرفان . وإن أهل العلم والمعرفة أجدر باتباع طريقة
أهل البيت إذا اتضح لهم البديل .
وشيعة الأفغان اليوم مع شيعة تركيا وبلاد النتر المنقلة تقدر
بعضة ملايين من النفوس .

(١) وإلى اليوم لم يظهر لنا حاله جلياً مع الشيعة ، واجتمعت
عام ذهاني إلى الحج بشخصيات محترمة من الأفغان فوجدت منه
غلظة على الشيعة .

الشيعة في افريقيا

قلنا ونقول : إن التشيع موافق الاسلام كما دخل مصر أروخيم على قارة ، غير ان انتشاره في افريقيا بعد ان دعا اليه ابو عبد الله الشيعي يوم جاء داعياً الى عبيد الله المهدي الفاطمي ، وابو عبد الله السبب الوحيد لتمهيد الدولة الفاطمية بافريقيا ، وفيها استفحل امرها ، ومنها تغلبت على مصر .

ومضى التشيع في افريقيا منتشراً الى ان قاومته السلطة وأمل البلاد يوم كان أمير افريقيا وصاحب الامر فيها المعز بن باديس ؛ بل حاربته وفتكت به الفتك الذريع ، قال ابن الاثير في حوادث عام ٤٠٧ (٩ : ١١٠) : وفي هذه السنة في المحرم قتل الشيعة بجميع بلاد افريقيا ، ثم ذكر ان السبب في ذلك هو ما ينسب اليهم من سب الشيعيين ؛ وكان المعز بن باديس قد صر على جماعة منهم في القبروان وقد سأل عنهم ، فلما أحس الناس من المعز الميل عنهم انصرفت العامة من فورها الى درب المقل من القبروان وهو مجتمع الشيعة فقتلوا منهم ؛ وذلك كان شهرة المعز واتباعهم طامعاً في النهب ، وانبطت ايدي العامة في الشيعة ، واغرام عامل القبروان وحرضهم ، فقتل من الشيعة خلق كثير ، وأحرقوا بالنار ، ونهبت ديارهم ، وقتلوا في جميع افريقيا ؛ واجتمع جماعة منهم الى قصر المنصور

قريب القبروان فتحصنوا به ، فحصرهم العامة وضيقوا عليهم ، فاشتد عليهم الجوع ، فاقبلوا يخرجون والناس يقتلونهم حتى قتلوا عن آخرهم ولجأ منهم بالمدينة الى الجامع فقتلوا كلهم ، وكانت تسمى بالمغرب « المشاركة » نسبة الى ابي عبد الله الشيعي وكان من المشرق ، واكثر الشعراء ذكر هذه الحادثة فمن فرح مسرور ، ومن باك حزين ، انتهى .

وهذه احدي النكبات الفظيعة التي لاقاها التشيع في حياته وما اكثرها .

ويظهر من ابن الاثير ان هذه الحادثة استأصلت الشيعة في جميع بلاد افريقيا ؛ ولكن من يقف على كثرة الشيعة اليوم في بلاد افريقيا يتجلى له ان روح التشيع ما زالت باقية بعد ذلك الحدث المؤلم ، ولعلها دخلت هذه القارة مرة ثانية بعد فئائها في حادثة المعز . وتقدر الشيعة اليوم في افريقيا بمليون ونصف مليون من الافرنج ويشهد لكثرتهم في الوقت الحاضر ان بعض ذوي العلم من التجف يقدرون قسماً من افريقيا كرنجار (١) وغيرها بين وقت وآخر ، ولو لم يكن فيها من الشيعة نحو هذا القدر لما شد اليها الرحال من

(١) قد يحیی منهم اناس لزيارة العتبات المقدسة كل عام واجتمعت بجماعة منهم في منی في الحج فوجدتهم جمعوا بين الثروة والعقل والصلاح والآداب .

فريق من اهل العلم على بعد المسافة بين البلدين ، وعلى مافى طريق
البحر من الاهوال والخواف .

الشبهة في امريكا

اكثر السوربون ومن بينهم جبال غاملة بالمجرة الى الولايات
المتحدة والارجنتين والبرازيل وغيرها من بلاد امريكا للعمل والتجارة
وقليل منهم للزراعة ، وكان بدء هجرتهم من قبل نصف قرن تقريباً
والشيبة فيها اليوم ماينوف على الحسين الفا ، هم فيها ذوو شأن وعزة
ويقومون شائز الاسلام علنا . واسسوا مسجداً فخماً في اولايات المتحدة
في « دنرويت مشكن » القريبة من العاصمة « نيورك » وبه تقام لهم
الصلاة جماعة . وبين اظهرهم من به السكن لهم في معرفة احكام الدين
وهو حضرة الملازمة الشيخ خليل بزي . ولا تزال مواصلاتهم
مراسلاتهم جارية مع اخوانهم العاملين في لبنان والنجف .

وفي امريكا ايضا من الشيعة غير العاملين قوم من الفرس والهنود
وقليل من العراقيين .

وللامريكانيين ميل الى الاسلام ورغبة فيه بل وتهافت عليه .
واهم الاسباب التي تدفعهم لاعتناق الاسلام هو البحث والتقيب
عن الاديان . والا فليس هناك دعاة من بني الاسلام ذوو كفاية
وقدرة وقوة حجة وعارضة وبصيرة في الاديان لنقوم بهم الحجة .
على ان امريكا هي منبع الدعوة لمذهب « البرهستان » وهذه دعائهم

لا تدمع بلداً الا وولجت . ولا تترك مسلماً الا ونهجت . فتتحم الخارف
ولا نهاب الا خطر . وهذا العراق العربي تنبئك بلدانه وقراه عن
كان يطرقها في كل عام من المبشرين وما ينشرونه من الكتب وينفنون
به من اساليب الدعوة . بل وتعرفك فيهم مستشفياتهم واطباؤهم .

ومكتباتهم ومكاتبهم ومدارسهم وقسهم عما اقرله وادعيه . وهم
حتى اليوم مثابرون على الدعوة وان اخفقوا . ومجدون نحو الغاية
وان لم يصلوا . وان تعجب من هذه المثابرة مع الاخفاق . وذلك
الجد مع الفشل . فان الاعجب منه اننا بنو الاسلام مع ما نراه من
النجاح ملهوساً في نهاقتهم على الاسلام قد اخذتنا سنة الغفلة عن اليقظة
للدعوة . وخامرنا داء الكسل عن النشاط الارشاد . تركناه وحده
سائراً في طريقه يقطع المفاوز والقفار . ويتنقل من بلد لآخر . لانشد
عضده . ولا ناوي واقده . وليتنا تركناه وشأنه لاله ولا عليه دون
ان نالو جهداً في نقض شامخ بنائه . وقلم ثابت اساسه . بما عكفنا
عليه من مخالفة احكامه . وفرطنا فيه من نبدشرائه وقوانينه .

نعم نحن اجري من ليث في قتل بعضنا لبعض . واقوى ساعداً
في ذلك حصون قوم لآخرين . وأسد أفلماً لبش الدفائن من ابناء
ملتنا . واشحد صوارم افكار الحملة على ابناء ديننا . فلا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم . وما هذه الا نفثه مصدور . ورتة آسف .
لا يبلغ صداها سقف البيت . ولو نجد آذاناً صاغية . وقلوباً واعية . لما

فمداد القلم عند هذه الكلمات النزر وهو مليء الجوف أو ينف
عن الجري في هذا الضمار وهو واسع الخلبة

الشيعة في الصين

دخل الاسلام الصين أيام العباسيين أو من قبل . ولا يزال ينشر
ويسير . شأنه إذا خيم على قارة غير أن التبشير النصراني اليوم يقاومه
ويعترض في طريقه . ولكن ذلك لا يصد أبناء الاسلام عن جهادهم
في سبيل بت الدعاية له . وتردج مبادئ الحق .

والله المدين في الصين جرائد ومجلات ومساجد وعلما . فاهم في
« بكين » عاصمة الصين ثلاث جوائد . واحداهن تصدر في الاسبوع
ثلاث مرات . ولهم جرائد اخرى في « تشين » وفي (يون) مجلة
شهرية في بلدة (كدن) ويصدر المسجد في بلدة (كاتن)
مجلة شهرية اسلامية محضة . تصدر كل شهر الف نسخة . وترسل مجانا
الى كبار كتاب المسلمين وعلماهم وزعمائهم في انحاء البلاد ولهم في (كاتن)
ايضا خمسة مساجد من قديم الزمان . وثلاثة منها جوامع عظيمة الشأن
واما العلماء في الصين فاهم من سبحة المعاش ضيقة (١)

واما التشيع فهو يساير الاسلام ويرافقه . فما زال كالا سلام

(١) راجع العرفان ج ١٩ ع ٤ و ٥ ص ٥٠ : المقال المعنون
(الاسلام في الصين اسس واليوم) .

يسير في بقاعه . وينسرب الى جماعاته ومجتمعاته . حتى كثر في هذه
الآونة . وانتشر في هذه الازمات . فتقدر الشيعة اليوم في الصين .
بأحد عشر مليوناً من النفوس ولعلها كذلك في باقي السنين . ولا نعرف أن
لهم صلة مع العواصم الشيعية والبلاد النواحية لاهل البيت . ولم نطلع حتى
اليوم على مواصلة او مراسلة لهم مع اهل الدين والعلم في النجف .
ولما كان المسلمون بفرقتهم في الصين كثيرين . وهم اكثر
من غيرهم معارفاً وعلوماً فقد يتقلدون المناصب العالية في الدولة الصينية
كالوزارات والقيادات وغيرها . واحسب ان ليس هناك من فرق
بين الشيعة والسنة في اقامة الشعائر الاسلامية ومظاهر الوحدة والاتفاق
قائماً حتى اليوم لم نسمع ولم نقرأ على كثرة نفوس الفرقتين بالشجار
والشغب بينهما . بدأ اوقفنا ألسانا . كما يقع في سائر البلاد التي تجمع
هاتين الطائفتين . نسأله تعالى ان يمن على فرق المسلمين بالتكاتف
والتعاقد وجمع الشتات وتوحيد الكلمة . انه خير موفق ومعين .

الشيعة في جاوى

إن في جاوى اليوم كثيراً من الشيعة . ويقدرون مع شيعة
مالاكا وجزائر المحيط الهندي بمليون نسمة . ولبعدهم عنا لا نعرف عن
حالهم الا النزر القليل . ولبعض العلويين المأخريين الذين في جاوى
مراسلة مع بعض علماء النجف الاسلام . والعلويين اليد الطولى في

نشر مذهب أهل البيت هناك . وكان منهم العلامة السيد محمد
السيد عقيل طاب رmse من المجاهدين في خدمة مذهب آبائه وله
وؤلفات عديدة منها ، النصائح الكافية ، والعتب الجليل على أهل
الجرح والتعديل (١) وتقوية الإيمان ، والقول الفصل ، وكان يقيم
في « سنغافورا » من توابع الهند .

وكانت جريدة لعلوية الحضر ميين اسمها « حضر موت » ترد
لبعض النجفيين ، وكنت اطلع عليها احيانا ، ولهم جمعيات ونواد
ادبية علمية تربط اوامر بعضهم مع بعض ، غير ان بعض أهل مصر
بل وبعض المناوئين لهم مذهباً من أهل البلاد لا يزالون يعارضونهم
في نشر مذهب أهل البيت ، بل ربما سعوا بهم عند « هولانده » وهي
الدولة المستعمرة لهم ، زاعمين انهم يسعون لبث روح الاستقلال في
الجاويين ، ليحملوها بتلك السعاية على النكابة والفتك بهم ، ولكن
« هولانده » لم تعر سمعاً لتلك الوشاية الكاذبة ، والسعاية
الضالة ، كما كانت تفصح بذلك جريدة حضر موت (٢)

(١) قرظت هذا السفر النفيس بعد وروده الى النجف
ووقوفي عليه باشارة من ذلك العالم الذي كانوا يراسلونهم ، بقصيدة
نشرت في بعض الصحف المحلية مطلعها :

هداة الحق اهدي للسبيل ونورهم كفاك عن الدليل
(٢) ولا نعرف عنهم شيئاً بعد هذه الحرب النائرة ، وماذا
حل بهم بعد مطالبة الجاويين بحقوقهم من الاستقلال .

الشيعة في روسيا

كان الشيعة في البلاد التي تحت الحماية والسلطة الروسية حرية
واسعة في الشعائر الدينية ، كبلاد بخارى والقوقاس وغيرها ، وكانوا
قبل الحرب العالمية عام ١٣٣٢ هـ يتواردون بكثرة لزيارة المشاهيد
المقدسة ، ويفدون مهاجرين لطلب العلم الديني ، وإلى اليوم منهم جماعة
في النجف الاشرف ، حالت دون وصولهم لاطنائهم ، ودون الصلات
لهم من بلادهم ، هذه السلطة الحاضرة .

ولمادالت الايام - والايام دول - بامبراطورية الروس وجبارتها
المالكين ، وعاد الحكم فيها للشيوعيين ، ضيقوا عليهم أشد التضيق ، ولم
يسمحوا لهم بالخروج من البلاد لزيارة بل ولا للتجارة ، والمعروف
عن هذه السلطة انها منعت المسلمين عامة من التظاهر بشعائر الاسلام
وربت الناشئة على المبادئ الشيوعية جبراً واثن دامت الحال على
مانسمع فلا تسمع ولا ترى - لا سمح الله - للاسلام في البلاد التي تحت
سيطرة روسيا ائراً ولا تحس له بحركة .

وتقدر الشيعة قبل اليوم في روسيا بعشرة ملايين ، ولا نعلم قدرهم
اليوم ، نفس الله عنهم هذا الكرب ، وخلصهم من نير الظلم ، انه سميع
محيب .

الشيعة في سائر البلاد

لا يريد ان استعرض حال كل شعبي تظله السماء ، او كل بلد يقطن فيه شيعة من كل قارة في المعمورة ، وانما اريد تنبيه المشاعر الى كثرتهم في الوجود ، وانتشارهم في البلاد كافة ، حتى ان بلاد اوربا وعواصمها لا تخلو من هذه الامة ، امثال لندن ، وباريس ، ونيويورك وبرلين ، وغيرها ، وبالاشارة الى ذلك دون بسط القول وسعة البيان عن احوالهم مقم .

الخاتمة

لتلم - هديت الى الرشد - ان ليس من قصدنا احصاء الشيعة واستقصاء البحث عن تطوراتها اجمع ، من يوم بزوغها في افق الوجود الى اليوم في هذا الكتيب الصغير الحجم ، فان ذلك الاحصاء وهذا الاستقصاء يكلفان الباحث ان ينفق زمنا طويلا من عمره في البحث والتنقيب ، وتاليف عدة كتب ضخمة الحجم ، وانما الغرض الاقصى الامام بتاريخ الشيعة وبلاد الشيعة ليقف القاري على انتشارهم في العالم ، وكثرتهم في البلاد ، وان بزوغ بدرهم كان في عهد الرسول صاحب الدعوة صلى الله عليه وآله ، وتكوينهم بدعوته ، وفي عهده وجدوا ، وفي ايامه تسمت جماعة بالشيعة وان ذلك التشيع

هو الذي سار وانتشر في البلاد وان التشيع الى الامة من العثرة ينتسب ، ومنهم يأخذ وما كان هذا شأنه كان جد يرا بالعبادة ، حقيقا بالتقدير ، لاسيما والقائلون به اليوم هم ثلث المسلمين عددا .

واثن دعت السياسة في المصور الاول لمنايذته ومحاربه بشتي الاساليب ونسبة مالا يصح نسبته اليه من العقيدة ، فلا يجوز مثله اليوم ، وقد تقاص ظل تلك السياسة وذهب امر بما فيه ، وتجلت حقيقة هذا المذهب علما وعملا وادبا وخلقا من ممارسة ابنائه ، واستقراء تأليفه ، وكيف يصح ان يقال عنه انه نبغ من فارس ، او انه فرقة هدامة ، او ما شابه هذه النسب الباطلة وما اصله الذي تفرع عنه واليه انتسب الاعلى امير المؤمنين واولاده الاحد عشر ، الذي يقر بفضلهم حتى اعداؤهم ، ويمترف بعلومهم وسموهم بالفضائل حتى من لم يستمسك بحبل ولائهم .

ودونك أيها المنصف البصير كتب الشيعة فاستقرها ، وتبحر في اسانيدها ، واخص عن مداركها ، لتعرف انها لم تؤخذ إلا عن النبي الاطهر وعترته عدل القرآن ، وسفينة نوح ، وباب حطة ، وامان الارض ، الذي امرنا ذلك المنقذ الاعظم بالنسك بهم ، والاخذ عنهم ، والركوب في سفينتهم .

وما الغاية من هذه الكلمة ان ارشد الى فضل الشيعة وميزتهم على الفرق ، وانما اقصد تحذير ارباب الافلام والبصائر من ان يتبعوا

فهي الاوائل الذين صخرتهم السياسة لتدفع الشيعة بالباطيل ، من
دون حجة ودليل ، سوى انهم شيعة ، وان من يريد ان يكتب عن
فرقة لها وجود منبسط في الامم ، ولها كتب وعلماء وادباء وشعراء ،
تناهز اكبر فرقة مسلمة في التأليف والعلم ان لم ترب عليها لا يسوغ
له ان يعتمد على أقوال سلفه وادعاء خصوم تلك الفرقة ، فان ذلك
ليس من الامانة والنصف ، وانما الجدير به ان يستدعي الى اقوال هاتيك
الفرقة نفسها ، والى كتبها اوامة في كل علم وفن ، المنتشرة في كل
بلد ومصر ، وبعد ذلك فليكتب ماشاء بعد اطلاعه على ما تحرره واستناده
الى ما توافقه ، مستبطاً ذلك من اقوالهم ، ذا كراً لمدركه من تحاريرهم .
نسأله تعالى ان يرشدنا وقومنا الى الحق ويلهمنا قول الصدق ،
ويميط عن اعيننا غشاء المصيبة ، وعن صدورنا احن الجاهلية ، انه
مميع مجيب .

وكان العزم يوم شرعت في تأليف هذا الكتاب ان اجعله عدة
كتب في عدة مواضع ، فمن الشيعة في التاريخ ، الى الشيعة في المذهب
الى الشيعة في الاخلاق ، الى الشيعة في الادب ، الى الشيعة في الرجال
الى غير ذلك ، ولكن الحيلولة دون طبع هذا الكتاب يوم تأليفه تقض
عزيتي ، وفقر من همتي ، وقد عرفت الله بنقض العزائم ، ولو تم
ما عزمتم عليه لعرفت الشيعة من كل ناحية ، وان لم تكن مجهولة عند
أهل الخبرة والاطلاع ، ولئن تجاهل أحد في عرفانها كانت له من

مؤلفاتها أفضل معرف ، ومنه نمدد التوفيق والتيسير .
وأستطيع العذر اخواني الكرام عن هفوات اليراع ، راجياً ان
يسدلوا عليها حجاب الصفح والعفو ، فان العصمة لله وحده ، ولمن
اختاره من عباده ، واشكرهم على ما يفتوني اليه من سقطة ، وبرشدوني
اليه من اصلاح ، لتتدارك ما فات في طبعة اخرى . وسأله تعالى ان
يعصم الجميع من الهفوات والعثرات ، ويوفقهم للصواب والصلاح ،
انه ولي الاجابة والتوفيق .

والحمد لله وحده ، وصلى الله وسلامه على خاتم انبيائه ، وخيرة
أوصيائه ، أولاً وآخراً .



مردول الخطأ والصواب

ص	ص	خطأ	صواب
٣	١٩	بن حاتم	ام عدي بن حاتم
٤	٢٦	تتجدد	تتجدد
١٧	٢٨	تنقطع	تنقطع
١٢	٣١	زياتهم	زيارتهم
٤	٣٩	دون	دول
٢	٧٦	العتصم	الستصم
١٧	٧٨	قتيلا	قتلا
١٣	٨٠	الجدل	الجلد
١٢	٨٤	عادوا	عاد
٣	٩٠	لقطها	لقطها
١	٩٣	عنها	اليها

وفي صفحة ٩٥ من سطر ٢ - ٥ وقع سهو قلبي فقد ذكرنا فيها ان النجف صارت عاصمة التدريس ايام آل بويه عندما انتقل اليها الشيخ الطوسي عام ٤٤٨ هـ وهذا شيء سها به القلم لان انتقال الشيخ الطوسي كان بعد اقراض سلطانهم بعام .

٢٠	١١٤	صفتقبله	سيستقبله
٢٢	١٢٠	١٣٢٦	١٢٢٩

مردول الخطأ والصواب

ص	ص	خطأ	صواب
١٧	١٣٢	مملكته	مملكة
١٨	١٣٢	وقفت	وقعت
١٨	١٣٤	فالينظر	فلينظر
١٨	١٤٩	وقع نقصان كلمات بعد قوله خكم . وهي : لاحدهما على الآخر ففضب المحكوم	
١٦	١٥٠	السيد	السيد عبدالرحيم
٧	١٥٥	مناصيف	بناصيف
١	١٨٠	طولون	ابن طولون
١٢	١٨٣	آثارها	آثاره
٢	١٩٠	المجلس	على المجلس
١٠	١٩١	عشرة	عشرة
٦	٢١٠	قبايا	ثيابا
٣	٢١٣	نشرها	نشره
٥	٢٢٠	ايرن	ايران
١٢	٢٢٦	اعادة	اعادت
٥	٢٢٩	فاسخ	فاسخ
١٠	٢٣٦	زينك	ذبنك

مردول الخفا والصواب

ص	ص	خطأ	صواب
٦	٢٣٩	يَتَّقُوا	يَتَّقُوا
٦	٢٤٢	سعداً باد	اسدآ باد
١٣	٢٤٨	المفعول	المفعول
١٦	٢٥١	عليها	عليها
١٠	٢٥٢	ولدار	دلدار
٧	٢٧٢	ترديج	ترويسج
٨	٢٧٣	كالوارارات	كالوزارات

وهناك اغلاط أخرى طفيفه لا تخفى على القارى الكريم .
ونحن نعتذر لكثرة الاغلاط الوجوده في الكتاب لاسباب

كثيرة .

